

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣١٥ - رمضان ١٤٢٣هـ - نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٢م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 315 NOV. / DEC. 2002
ترجمة معاني القرآن الكريم ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام
دفاع عن القرآن الكريم ضد منتقديه
الجذور اللغوية والثقافية للنزاع بين كندا وكيباك
مركزية العنف في الحضارة الغربية
ثقافة الطفل العربي في عصر ما بعد العولمة
التنافذ الأدبي بين العربية والإنجليزية
المسارح الأثرية في سورية
وصف الزلازل في الكتابات العربية القديمة
بسكرة
عروس الزيبان وبوابة الصحراء



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢..، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ - فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١ - ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩ - فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٢١٢ - ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







بِسْكِرة:

عروس الزيبان وبوابة الصحراء

بسكرة: إحدى الحواضر العلمية العربية في بلاد المغرب، وهي همزة الوصل بين مدن الشمال الإفريقي وجنوبه وطريق الحجيج، فيها رفات الصحابي الفاتح عقبة بن نافع الفهري، وثلة من الصحابة والتابعين، وبرز في ربوعها مفكرون وعلماء ومصلحون، فماذا عن هذه المدينة الجزائرية التي كتب عنها عدد من الرحالين المغاربة والمشارقة والأوربيين؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

واحة الفكر

إن مجلة الفيصل هي النبراس الذي ينير للقراء العرب من المحيط إلى الخليج، بل في شتى بقاع الأرض، أفق الثقافة شاملة بين طياتها خلاصة الفكر، فهي بحق واحة الفكر، ومنتدى الأدب، وملتقى الثقافات، وعابرة القارات متحدثة في كل جديد، بل هي الأفئدة العربية، ووتر حساس يعزف عليه الكاتب بصدق. لقد زادتني ثقافتها وموضوعاتها معرفة تامة بالعالم من خلال الاستطلاعات التي تقوم بها متنقلة بين القرى والمدن والمؤسسات والجبال والأدغال في شتى بقاع الأرض، فهنيئًا لهذا الصرح، وتحياتي لكل القائمين عليه.

اسمحوا لي بداية أن أبدي إعجابي الشديد بالمنهل الثقافي العذب الذي يرافقني منذ سنوات كثيرة مضت؛ إنها مجلة الفيصل منبر العربية في زمن بُحت فيه الأصوات الصادقة.

أنا من محبي مجلة الفيصل منذ فترة طويلة، وأتابعها باستمرار لما فيها من موضوعات وافية في جميع المجالات. إلا أن باب دائرة المعارف، ذلك الباب المليء بالموضوعات الثقافية والدينية والعلمية، والذي يشمل كل ما يهمنا من معلومات مفيدة وشائقة، انقطع فجأة من مجلة الفيصل.

أرجو أن يعود إلينا هذا الباب؛ لأنني جمعت عددًا كبيرًا جدًا من حلقاته، وأصبحت في مجلد واحد بمكتبتي لأروي ظمأ قلبي من هذه الرغبة الحميدة.

محمد عبدالستار مأمون منصور

القرشية - مركز السنطة محافظة الغربية

جمهورية مصر

التحرير:

نشكر لك اهتمامك واعتزازك بمجلتك. واقتراحك بإعادة دائرة المعارف طرحه كثير من القراء، ووعدناهم بالنظر فيه ضمن ما يأتينا من اقتراحات عظيمة نعتز بها كثيرًا، ونستفيد منها في عملية التطوير.

علماء العرب

أنا من قرّاء مجلة الفيصل المجلة التي همها الأول المعرفة والثقافة عمومًا، لكنني ألاحظ عدة ملاحظات:

ألسنا نحن العرب والمسلمين الذين قدمنا للعالم الرياضيات والطب والكيمياء والعلوم الأخرى قديمًا.

وما زالت اختراعاتنا واكتشافاتنا في ازدياد، والحمد لله، والدليل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وهي مدينة بسواعد سعودية، وكذلك مستشفياتنا في نهضتها، ومصانعنا العظيمة كالبتروكيماويات وسابك. فهذا محليًا فقط ! ولو نظرنا إلى خارج السعودية لوجدنا علماء العرب سواء من الخليج أو الشام أو العالم الإسلامي عمومًا في شتى مجالات العلوم. وإنني دائمًا أقرأ في صحيفة معينة عن اكتشاف أو اختراع لأحد المسلمين في علم من العلوم دون أن تنشر في صحف أخرى مما يعوق متابعة القارئ لإنجازات العرب.

أقترح أن تقوم المجلة بجمع جميع هذه الإنجازات ونشرها على صفحاتها التي يقرؤها معظم العرب بشكل خاص، والعالم عمومًا.

تركي بن محمد

الرياض - السعودية

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام بإبراز الإنجازات الحضارية لعلماء العرب والمسلمين، ونفيدك أن هناك مجلات علمية متخصصة تتابع هذه الإنجازات، وتلقي الأضواء عليها، ولعل الفكرة التي طرحتها يمكن تبنيها في مجلة الفيصل العلمية، التي سوف تصدر قريبًا من دار الفيصل الثقافية.

مادة الفيصل

استفسر منكم عن طبيعة مواصفات المادة العلمية المطلوبة توافرها في البحوث والمقالات التي تأخذ الأولوية لديكم في النشر.

هل تتقبلون الموضوعات المتعلقة بالأدب، شعرًا ونثرًا، والدراسات النقدية، أم أن الاتجاه العام لمطبوعتكم يأخذ في الحسبان مواصفات معينة حبذا لو أحطت بها علمًا.

محمد طالب

درنة - الجماهيرية العربية الليبية

التحرير:

أهم الشروط التي ينبغي توافرها في المواد التي تنشر الجدية والموضوعية وحسن التوثيق، ولعل المتابعة لبعض الأعداد تعطيك صورة كاملة عن سياسة التحرير.

لماذا التأخير ؟

أهديكم تحياتي وتقديري لما تقدمونه وتبذلونه من جهود مضنية في سبيل الرقي بهذا الصرح الثقافي الإعلامي شاكراً لكم ماتقومون به في هذا الشأن .. وأود أن ألفت عنايتكم إلى بعض الأمور بالمجلة:

ـ مسألة تأخير المجلة ما زالت تقلقنا؛ لأنها تصل في النصف الأول من الشهر العربي الذي تصدر فيه، بينما بعض المجلات تصل في أول الشهر.

ـ المسابقة الثقافية وموضوع الفائزين، فالفائزون دائماً الذين هم من اليمن ولا يوجد أحد من حضرموت إطلاقاً حتى مراسلو المجلة من هذه المحافظة. هل لأن رسائلهم لا تصل أم أنهم لا أحد يراسلكم من هذه المحافظة أم ماذا ؟ ..

نرجو إفادتنا بهذا الشأن؟.

هادي علي هادي بن مغيث

سيئون ـ مي السحيل ـ حضرموت ـ اليمن

التحرير:

كما تمت الإشارة في أعداد سابقة، فإن مسألة التأخير تتعدد أسبابها، ونعمل على حلها بشتى السبل، أما الفوز بالمسابقة فيخضع للقرعة دون أي تدخل.

تصحيح

وردت الأخطاء الآتية في مجلة الفيصل العدد ٣٠٠ ص ١٣٤.

١ـ محمد بن محمد عمر الأَخْسِيْكَثِي حسام الدين: فقيه حنفي من أهل أَخْسِيْكَث

من بلاد فرغانة، وهو «بالثاء» وليس « بالتاء»

الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، ٣٣٤/٣، ١٢٩/٤

٢ـ الحسين بن على بن حجاج، حسام الدين

السِّغْنَاقِي «بالسين»

في بغية الوعاة ٥٣٧/١، ومفتاح السعادة ٢٦٦/٢ وكتائب أعلام الأخيار برقم ٥٠٦ وفي الفوائد البهية ٦٢.

قال اللكنوي: «نسبته إلى سِغْنَاق، بكسر السين المهملة وسكون الغين المبهمة ثم نون بعدها ألف بعدها قاف: بلدة في تركستان».

وقال الزركلي : «نسبته إلى سِغْنَاق ـ بلدة في تركستان» الأعلام ٢٤٧/٢.

أخوكم مروان العطيّة ـ أبوظبي

دولة الإمارات العربية المتحدة

التحرير:

نشكرك هذا التصحيح، وهذا التفاعل مع ما ينشر في المجلة وهو ما نأمل من جميع الإخوة القراء.

ردود سريعة

الأخ محمد محمد البنداري ـ بورسعيد ـ مصر:

نشكر لك وصف المجلة بأنها أحد أهرامات الثقافة في الوطن العربي، ونأمل أن نكون عند حسن ظن القراء دائماً.

الأخت ضحى محمد جمعة حاج علي ـ حلب ـ سورية:

لايمكن تنفيذ اقتراحك بأن ترسل مكافآت نقدية إلى الكتاب، ولكن المطلوب أن يكتب الإخوة الذين يرسلون مقالاتهم إلى المجلة من خارج المملكة أسماءهم بالحرف اللاتيني على أن يكون الاسم ثلاثياً وحسب ماهو وارد في الأوراق الثبوتية التي يتم التعامل بها، لتسهيل عملية صرف الشيكات.

الإخوة : محمد حسين العوامي ـ ذمار ـ اليمن: شعبان أحمد بن صالح ـ سعاد إدريس السقاط ـ الدار البيضاء ـ المغرب :

نشكر لكم إطراءكم، وجميل أن يستفيد الطلاب في الثانوية من موادها، ونأمل في تلقي مشاركاتكم.

الأخ محمد الحسن قاسم «كية» الرقة ـ سورية:

لقد تم إلغاء زاوية عناوين من المجلة، ونعتذر لكم وللإخوة القراء من عدم قدرتنا على تلبية الطلبات الخاصة بالعناوين، ومرحباً بك صديقاً للمجلة، وفي انتظار إسهاماتك الإبداعية.

الأخ محمد عبدالرحمن بنوة ـ الجلفة ـ الجزائر:

سيصل إليك العددان اللذان أشرت إليهما، ونعتذر من عدم قدرتنا على تلبية طلباتك الأخرى، وعليك الحصول على عناوين الجامعات من الإنترنت.

بِسْكِرة

عروس الزيبان وبوّابة الصحراء

فوزي مصمودي
بسكرة - الجزائر

بسكرة، أوفيسيرا، أو سكّرة: مدينة الجمال الأخاذ، والسحرالفاتن، منبت النخيل، ومحطّ الرحيل، بوابة الصحراء، وإحدى الحواضر العلمية العريقة ببلاد المغرب، وهي قلعة حضارية تمتد جذورها عبر حقب زمنية سحيقة تعود إلى عشرات الآلاف من السنين، وهمزة وصل بين مدن الشمال الإفريقي وجنوبه وطريق الحجيج عبر التاريخ، وحاضنة رفات الصحابي الجليل وفاتح بلاد المغرب عقبة بن نافع الفهري، وثلة من الصحابة والتابعين.

كما كانت مصدر إشعاع ثقافي وإلهام شعري، ومركزاً تجارياً مهماً، إذا ذكر اسمها اقترن بالتمور ذات الجودة العالمية من نوع دقلة نور التي تتميز بإنتاجها.

وقد أصبحت طوال عدة قرون قبلة لطلاب العلم والمعرفة، كما برز في ربوعها الفيحاء عباقرة ومفكرون ومصلحون ومناضلون ومجاهدون وعلماء.

وقد أهّلها هذا التراكم الحضاري أن تكون مثوى للرحالين العرب المغاربة والمشارقة والأوربيين الذين دوّنوا مشاهداتهم وملاحظاتهم في كتب وروايات باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية طبع أغلبها.



من أبواب مسجد سيد المبارك بخنقة سيدي ناجي

حدودها ومناخها

تبعد عن العاصمة الجزائر، نحو ٤٢٠ كم من الجنوب الشرقي، يحدها شمالاً ولاية باتنة، وشرقًا ولاية خنشلة، وجنوباً ولاية الوادي، وغرباً ولايتا الجلفة والمسيلة، وتقدر مساحتها بنحو ٢١ ألف كم٢، وقد أصبحت ولاية إثر التقسيم الإداري عام ١٩٧٤م، بعد أن كانت تابعة لولاية الأوراس.

يسود بسكرة، والزيبان

عمومًا، مناخ قاري، فتشتدّ الفروق الحرارية لانفتاحها على المؤثرات الجنوبية الحارة، فترتفع درجة الحرارة صيفًا إلى ٤٨ درجة، بينما تنخفض شتاء إلى ٣ درجات (١)، نسبة التساقط ضعيفة تصل إلى ١٥٠ملم سنويا.

أصل التسمية

ظلت التسمية الحقيقية لبسكرة محل خلاف بين المؤرخين والباحثين وحتى الرحالين العرب والأوربيين لتضارب المصادر التي تتطرق إلى هذه المسألة التاريخية:

- منهم من يرى أن اسمها ينحدر من كلمة فيسيرا أو فيسكيرا، وهي تسمية رومانية تعني المحطة أو المقر التجاري، وذلك لموقعها الإستراتيجي الذي أهّلها لكي تكون منطقة عبور والتقاء بين الشمال والجنوب، ومن أهم المحطات الأساسية لخط الليمس (٢) الذي شيّده الرومان بعد احتلالهم بلاد المغرب.

- ويرى آخرون أن أصل كلمة بسكرة مشتقة من سكّرة، وقد أطلق عليها هذا الاسم لحلاوة تمورها التي اشتهرت بها، وعذوبة مياهها التي تجري خلالها.



أحد الشوارع العريقة وعلى يمين الصورة مسجد القائد (الكبير)

- بينما يعتقد آخرون أن التسمية الحقيقية لها هي أدبيسينام، وهي كلمة رومانية تعني المنبع، نسبة إلى حمّام الصالحين المعدني (٣).

أما ياقوت الحموي فقد ورد في معجمه :بِسكْرة - بكسر الكاف، وراء، بلدة بالمغرب من نواحي الزّاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر



منظر طبيعي من مدينة القنطرة

وقَسْب جيد، وبينها وبين طبنة مرحلة، كذا ضبطها الحازمي وغيره، يقول: بَسْكَرَة، بفتح أوله وكافه، قال: وهي مدينة مسوّرة ذات أسواق وحمّامات، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل، قال أحمد بن محمد المرّوذي:

ثم أتى بِسْكِرة النخيلِ

قَدِ اغتذى في زيِّهِ الجميلِ(٤)

ومضات تاريخية

- العصور الحجرية:

بعد احتلال بسكرة من طرف الاستعمار الفرنسي في ٤ آذار/ مارس عام ١٨٤٤م، نشطت عمليات التنقيب والحفريات التي أشرف عليها باحثون وجغرافيون فرنسيون، وقد تمكنوا من العثور على مجموعة كبيرة من الأجزاء والأدوات الحجرية التي كان يستعملها الإنسان الحجري الذي استوطن بسكرة منذ عشرات الآلاف من السنين، وخصوصًا قرية عين الناقة شرق بسكرة، التي تعدّ أهمّ المراكز الأساسية لإنسان العصر الحجري الحديث، وبقايا أخرى وجدت في كل من بلدة شتمة التي تبعد عن بسكرة نحو ٧ كم، وبلدة القنطرة التي تبعد عنها نحو ٥٥ كم وغيرها، وتتمثل هذه الأدوات في رؤوس السهام والمكاشط والمزامل.

- بسكرة في ظل الاحتلال الثلاثي:

قبل الاحتلال الروماني لها، سكنت بسكرة قبائل بربرية، لم يذكر التاريخ عنها سوى نتف قليلة، وقد اعتمدوا في معيشتهم على صيد الحيوانات المفترسة للمتاجرة بها مع الرومان الذين يستعملونها في حياتهم، كما أنهم لم يعرفوا الزراعة إلا في حدود عام ٢٠٠سنة قبل الميلاد(٥).

ولأهميتها الاقتصادية وموقعها الإستراتيجي اعتمد عليها القرطاجيون في جلب منتوجاتها الفلاحية التي



نخيل بسكرة المعروفة بجودة تمورها من نوع (دقلة نور)

كانت تشتهر بها تلك الحقبة.

وقد تمكن الرومان من احتلال بسكرة في أثناء سيطرتهم على كامل بلاد المغرب عام ١٨٩ق - ٤٣٩م، وعاثوا فيها فساداً، بعد أن واجهوا مقاومة عنيفة من طرف السكان الأحرار، وبخاصة الملك الأمازيغي يوغرطة، والقائد تاكفاريناس الذي امتدت مقاومته من عام ١٧ إلى ٢٤م، وقد ساعدهما سكان المنطقة وقدّموا لهما كل العون.

ويؤكد الرحّالة والمؤرخ الفرنسي جزيل ستيفان: «أن موقع المدينة الرومانية القديمة بفيسيرا، أو بسكرة كان في الضفة اليسرى لوادي بسكرة المعروف حالياً بوادي سيدي زرزور»(٦)، وهذا بعد انضمامها إلى حكم الإمبراطور أغسطس على يد قائده كورنيليوس بين عامي ١٩ و٢٠ق.م(٧).

وبعد اعتناق الرومان المسيحية شيّدوا بها أسقفية تابعة للكنيسة، وكانت بسكرة في العهد الروماني تعرف بها.

وبالإضافة إلى أهميتها الدينية فقد اتخذها الرومان مركزاً تجارياً مهماً، ومعبراً يتوسعون من خلاله، و مازالت آثارهم إلى اليوم تشهد على ذلك، في كل من حي العالية وفلياش ببسكرة وبقرى بنطيوس وأوماش وبيقو وامليلي وبادس وقرطة وتهودة وطولقة ومناهلة وجمورة ولوطاية والقنطرة، وحتى في قلب جامعة محمد خيضر ببسكرة حيث بقايا حمّام معدني روماني.

وقد عثرت بنفسي على مجموعة قليلة من القطع النقدية الرومانية بمنطقة الخربيات ببلدة أوماش ٢٢ كم جنوب بسكرة، مع بعض الأجزاء والأواني الفخارية. إضافة إلى القبور الفخارية والحجرية المنقوشة التي يُعثَر عليها من حين إلى آخر خاصة في أثناءعمليات البناء أو عند سقوط الأمطار بغزارة.

بعد القضاء على الرومان دخلت المنطقة ضمن مستعمرات الوندال الذين أحكموا قبضتهم على بلاد

المغرب في عهد ملكهم جنصريق في الفترة الممتدة من ٤٣٩ـ ٥٣٣م، إلا أنهم لم يصمدوا أمام ثورة السكان مما اضطرهم إلى الاكتفاء بالمدن الشمالية من البلاد، حتى مجيء البيزنطيين الذين قاموا بطردهم لتدخل الجزائر وبلاد المغرب كافة تحت سيطرة احتلال جديد لم يكتف بالتنكيل بالوندال فقط، بل ذاق السكان المغاربة البربر منه الويلات، إلا أنهم قاوموا هذا الدخيل بقيادة بيداس بجبال الأوراس وأرتياس وويناس ... وغيرهم.

وقد بقيت المنطقة تتخبط في صراعات دموية واضطرابات حتى مجيء المسلمين الفاتحين.

ـ الفتح الإسلامي لبسكرة:

في القرن السابع الميلادي في حدود سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م، انطلقت جحافل المسلمين من مصر لفتح بلاد المغرب، ولم يتمكنوا من ذلك إلا بعد مقاومات عنيفة من طرف السكان الأمازيغ الذين ظنوا أن المسلمين غزاة ومحتلون كالرومان والبيزنطيين.

ولم يتمكن المسلمون من الفتح والتمكين لدين الله، إلا بعد عدّة حملات قادها فاتحون أجلاء أمثال عبدالله بن أبي سرح، ومعاوية بن خُدَيج، وعقبة بن نافع، وأبي المهاجر دينار، وكباقي المدن الجزائرية استطاع الفاتحون المسلمون فتح بسكرة وطرد الحاميات البيزنطية (الرومية)، منها.

إلا أن الأقدار لم تمهل الفاتح عقبة بن نافع الفهري حيث استشهد فيها وارتوت أرضها من دمه ودماء ثلة من الصحابة والتابعين، قدر عددهم بأكثر من ثلاثمئة شهيد سنة ٦٤هـ /٦٨٣م، بعد أن نصب لهم الملك الأمازيغي كسيلة برفقة بقايا من البيزنطيين والبربر كميناً في موقعة تهودة (٨) بعد ذلك نقل جثمانه وجثمان أبي المهاجر دينار وعسكر أين عم عقبة وغيرهم إلى البلدة التي تعرف اليوم باسم سيدي عقبة والتي تبعد ١٨كم وتقع شرق بسكرة.

ـ بسكرة في العهد الإسلامي:

بعد الفتح الشامل والتمكين ببلاد المغرب واندماج السكان الأمازيغ بالعرب المسلمين، خاصة في عهد حسّان بن النعمان، دخلت بسكرة، كباقي المدن والأمصار، تحت حكم الولاة التابعين مباشرة للدولة



مسجد سيدي الجودي بحي رأس القرية ببسكرة

الأمويـة، ومن بعدها الدولة العباسية، وبعد استقلال الأغالبة بتونس عن العبّاسيين سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م، أصبحت بسكرة وماجاورها من قرى الزاب مقاطعة تابعة للدولة الأغلبية، فقد كان يحكم بسكرة آنذاك الأغلب بن سالم الذي كان يطلق على واحاتها اسم إفريقية (٩)

وبعد أن قضى الفاطميون على الدولة الرستمية بالجزائر سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩م، وعلى الدولة الأغلبية بتونس سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م، دخلت بسكرة تحت حكمهم خلال الفترة الممتدة من سنة ٢٩٦هـ إلى ٣٦٢هـ، بعدها تمكنت عائلة بني رمان من التحكم في زمام أمورها، هذه العائلة التي قال عنها ابن خلدون: «كانوا يحكمون بسكرة وعامة ضياعهم».

وفي عهد الدولة الحمّادية بالجزائر ١٠٠٧-١١٥٢م، ثار جعفر بن رمان الذي كان له صيت وشهرة، على بلقين بن محمد الحمّادي سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م، فسيّر الأمير الحمّادي إليه جيشًا تحت قيادة وزيره خلف بن أبي حيدرة، فدخل بسكرة عنوة، وألقى القبض على زعماء بني رمان وشيوخهم واحتملوا إلى قلعة بني حماد بالقرب من المسيلة، فقتلهم جميعًا(١٠)

وفي العهد الثاني للحماديين نزحت قبائل بني هلال، وبني سليم إلى بسكرة واتخذوها من أهم مراكزهم ... إلا أن عائلة بني سندي تمكنت من صدّهم، وأعطت ولاءها للحماديين الذين حوّلوا عاصمة ملكهم من القلعة بالمسيلة إلى بجاية الساحلية، خوفًا من هجمات الهلاليين؛ وذلك في عهد السلطان الناصر بن علْناس.

بعد ذلك برز الموحّدون في القرن ١٢م، الذين تمكنوا من القضاء على المرابطين بالمغرب الأقصى والحماديين بالجزائر والزّيريين بتونس، ووحدوا بلاد المغرب قاطبة، وأول مرة في التاريخ تحت راية عبد المؤمن بن علي النّدرومي الجزائري والزعيم الروحي المهدي بن تومرت المغربي، وقد دخلت بسكرة تحت حكمهم.

بعدها بدأ الضعف يسري في جسم الدولة الموحدية عقب هزيمتهم في معركة «حصن العقاب» بالأندلس عام ١٢١٢م، حتى سقطت نهائيًا بتاريخ ٦٦٧هـ /

معهد الزاوية العثمانية العامرة بطولقة التي شيدت على يد الشيخ علي بن عمر عام١٧٨٠م

١٢٦٩م، فانقسمت بلاد المغرب من جديد ثلاثَ دول هي المرينية بالمغرب الأقصى، والزّيّانية بالجزائر، والحفصية بتونس، ولم تستقر بسكرة في هذا العهد، حيث كانت تضم مرة إلى الحفصيين ومرة إلى الزيانيين، وأخرى إلى المرينيين.

إلا أنها تمكنت من الانفصال عن دولة الحفصيين بتونس عام ١٥١١م، واستطاعت بعد ذلك أن تحافظ على استقلالها حتى استولى عليها حسن آغا التركي عام ١٥٤١م. وجعل فيها حامية تركية، وهذا في ظل الوجود العثماني بالجزائر ١٥١٦ـ ١٨٣٠م.

ـ بسالة في وجه الاستعمار الفرنسي:

لمّا انقضّت فرنسا على العاصمة الجزائر في ٥ يوليو / تموز عام ١٨٣٠، شرعت في ابتلاع باقي أجزاء الدولة، على الرغم تعهدها بالاكتفاء بالعاصمة فقط، ومن المناطق التي سعت عمليا إلى احتلالها منطقة بسكرة بصفتها منفذًا وطريقًا إلى المناطق الجنوبية الشرقية من الوطن، وكانت في ذلك الحين تمثل الولاية الثامنة لدولة الأمير عبدالقادر ١٨٠٧ـ ١٨٨٣م، مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وكان مقر الولاية مدينة سيدي عقبة، وقد تعاقب على إدارتها كل من فرحات بن سعيد، والحسين بن عزوز، ومحمد الصغير بلحاج على التوالي.

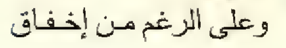
وفي ٤ آذار / مارس عام ١٨٤٤م، تمكنت القوات الاستعمارية بقيادة الدوق دومال ابن الملك الفرنسي من دخول بسكرة، وشيّدت بها حصنًا، كما يؤكد ذلك الدكتور محمد العربي الزبيري(١١).

وعلى الرغم من احتلال المستعمر البغيض عاصمة العمالة بسكرة، فإن الجهاد والتمرد ضد العدو ظلا متقدين في نفوس أبنائها، فقد ثار الشيخ عبدالرحمن بوزيان بواحة الزعاطشة بليشانة قرب طولقة ٣٦ كم غرب بسكرة، عام ١٨٤٩م، وظل هو وأهالي البلدة يدافعون عن الواحة دفاعًا مستميتًا طوال ستة أشهر حتى سقطت في أيدي الفرنسيين بقيادة الجنرال السفاح هيربيون، بعد أن أجهد سكانها وأحرق مئات الآلاف من نخيلهم وأشجارهم المثمرة، بعدها قام بقطع رأس كل من: بوزيان وابنه ورأس الشيخ موسى الدرقاوي الأغواطي وعلقت على أبواب بسكرة (١٢) مدة سبعة أيام، لتحنّط بعد ذلك، وتنقل إلى المتحف الإنساني «الأنثروبولوجي»، بباريس، كما يذكر ذلك الدكتور يحيى بوعزيز، وهي اليوم من أهم معروضاته.



مخطوطات نادرة تحتفظ بها مكتبة الزاوية العثمانية بطولقة

وكامتداد لها أعقبتها مباشرة انتفاضة الشيخ عبدالحفيظ الخنقي الذي قاد معركة واد براز بسريانة قرب سيدي عقبة، لمساعدة الشيخ بوزيان عام ١٨٤٩، قتل خلالها الرائد سان جرمان حاكم بسكرة، ومقاومة الشيخ الصادق بلحاج عام ١٨٥٨، بالزاب الشرقي.



وعلى الرغم من إخفاق



مسجد سيدي الحسن ببسكرة القديمة

هذه الثورات والانتفاضات لعدم تكافؤ القوى وتباعد أزمنتها، وانعدام التنسيق بين قادتها، إلا أن عزيمة المجاهدين بالزيبان ظلت قوية، ولم يدب اليأس والقنوط إلى أنفسهم، إذ بعد ما يربو على ٢٠ سنة ثار البوازيد بقرية العامري (بلدية لغروس) التي تبعد عن بسكرة نحو ٥٠كم، بقيادة الشيخين محمد يحيى وأحمد بن عياش، استشهد خلالها «٤٠٠ مجاهد» وتمت مصادرة أراضي المواطنين وأنعامهم ونخيلهم، بينما نفي غالبية السكان إلى كايان بغويانا إحدى الجزر الفرنسية بأمريكا الجنوبية، وإلى كورسيكا وتونس والمغرب الأقصى، فتشتت هذا العرش الكبير.

وما زال شيوخ نواحي بسكرة إلى الآن يحفظون قصائد شعبية تمجد هذه المقاومات، وتشيد ببسالة مجاهدينا وحنكة قياداتهم.

من الجهاد بالسلاح إلى النضال والإصلاح

بعد إخفاق الانتفاضات الشعبية والثورات المنظمة التي قادها الشعب الجزائري ضد المحتل الغاصب خلال القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، لجأ الجزائريون إلى أسلوب جديد في المقاومة ممثلا في الخيار السياسي والإصلاحي بتأسيس الأحزاب والجمعيات والنوادي، وإصدار الصحف والمجلات، وتنظيم المظاهرات والتجمعات الشعبية.

وبحكم تاريخها وموقعها الإستراتيجي أصبحت بسكرة خلال العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين معقلا للحركتين الوطنية والإصلاحية، خاصة حزب الشعب الجزائري وبعده حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي أسسها أبو الحركة الوطنية الجزائرية السيد مصالي الحاج،

كما احتضنت المنظمة العسكرية الخاصة التي شرعت في التحضير للعمل المسلح والثورة ضد العدو الفرنسي بداية من عام ١٩٤٧، كما كانت بسكرة أحد أهم مراكز حركة أحباب البيان والحرية التي تحولت إلى الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري عام ١٩٤٦، بقيادة السيد فرحات عباس، وكان نائبه الدكتور سعدان يقيم ببسكرة التي حوّلها إلى فضاء لنضاله الوطني والتصدي لعنجهية العدو الفرنسي.

ونتيجة للطابع العلمي والثقافي الذي تتميز به بسكرة تاريخيًا أضحت حاضرة لجمعية العلماء المسلمين التي قادها رائد النهضة الجزائرية المعاصرة عبد الحميد بن باديس بحكم أن كثيرًا من زعمائها أنجبتهم منطقة بسكرة، وعلى رأسهم العلامة الطيب العقبي، والشيخ محمد خير الدين نائب رئيس الجمعية، وشاعر الجزائر الكبير محمد العيد آل خليفة، والشيخ علي مغربي، والشيخ أحمد سحنون، والشيخ فرحات بن الدّرّاجي، والشيخ محمد الهادي السنوسي الزّاهري وغيرهم.

تاريخ الصحافة ببسكرة

من أوائل المناطق التي ظهرت فيها الصحافة العربية في الجزائر قبل ثورة تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤-١٩٦٢م، مدينة بسكرة التي صدر فيها عدد من الصحف منها:

صحيفة «صدى الصحراء»: وهي: «نشرة إسلامية علمية أدبية اجتماعية إصلاحية انتقادية شعارها: «العمل على درء المفسدة قبل جلب المصلحة»(١٣)، أسسها الشيخ أحمد بن العابد العقبي، وشارك في تأسيسها الشاعر الصحفي الشهيد الأمين العمودي، والشيخ الطيب العقبي، والشاعر



أطلال منازل قديمة هجرها أهلها بمشونش

محمد العيد آل خليفة، صدرت بتاريخ ٢٣نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩٢٥.

صحيفة «الحق»: أسبوعية أصدرها الشيخ علي موسى العقبي بتاريخ ٢٣ نيسان / أبريل عام ١٩٢٦م، شعارها: «الحق يعلو ولايعلى عليه وحب الوطن والاتحاد»، توقفت بعد أن صدر منها ثلاثون عدداً(١٤).

صحيفة «الإصلاح»: وهي من أرقى الصحف الجزائرية وأهمها قبل الاستقلال لصاحبها العلامة الشيخ الطيب العقبي، صدرت بتاريخ ٨ أيلول / سبتمبرعام ١٩٢٧م، وكان الشيخ العقبي قد اضطر إلى نقلها إلى تونس؛ لأنها كانت تطبع هناك، ثم حولها إلى العاصمة، وكانت تعمل جاهدة على محاربة البدع والشعوذة والخرافات التي سيطرت على العقول، توقفت عن الصدور عام ١٩٤٨م(١٥).

- إضافة إلى صحيفة «تاغنّانت»(١٦) و«لوكود بومبو» أي ضربة بعصا، أصدرهما السيد أحمد سفير العربي عام ١٩٣٤م، وقد كانتا مقربّتين من الدكتور سعدان أحد أعمدة حركة أحباب البيان والحرية(١٧).

الكشافة والمدارس والمساجد

كما قامت الكشّافة الإسلامية الجزائرية (١٨) بدور كبير في بثّ الوعي الوطني والتنوير في أوساط الطليعة والشباب البسكري، وخاصة فوج (الرّجاء) الذي أسس عام ١٩٣٩م، وكان فرعاً من فوج قسنطينة، ثم استقل عنه عام ١٩٤١، هذا الفوج الذي خرّج عدداً من المجاهدين والشهداء، وعلى رأسهم البطل الشهيد محمد العربي بن مهيدي، ونور الدين مناني، والشيخ محمد بن العابد الجلالي، والشيخ محمد الصادق مراوي المحامي وغيرهم، كما شارك مناضلو الفوج في مظاهرات ٨ أيار/ مايو عام ١٩٤٥، ببسكرة.



وادي مشونش

إلى جانب ذلك كانت المساجد والزوايا في منطقة بسكرة مركز إشعاع ثقافي وعلمي، فقد قاومت الفرنسة والمسخ والتشويه التي تعرضت لها الشخصية الوطنية الجزائرية وتاريخها الذي يمتد عدة قرون، منها مسجد (بكّار) بقلب مدينة بسكرة الذي رابط به الشيخ الطيب العقبي بعد عودته من الحجاز، وقد شهد



مسجد سيدي موسى الخدري الذي يعتقد أنه جاء إلى بسكرة مع الفاتحين الأوائل لبلاد المغرب

المسجد عام ١٩٢٩م، مبايعة محمد العيد آل خليفة بإمارة الشعر الجزائري المعاصر (١٩) بحضور نخبة من شعراء الجزائر انذاك. ومسجد سيدي عقبة وسيدي بركات.

أما الزوايا فقد اشتهرت منها الزاوية العثمانية الرّحمانية بطولقة التي أسسها الشيخ علي بن عمر عام ١٧٨٠م، والزاوية المختارية بأولاد جلال التي شيدها الشيخ المختار الجلالي عام ١٨١٥م، وزاوية الشيخ عبدالحفيظ بخنقة سيدي ناجي، وزاوية الشيخ بن عزوز بالبرج، إضافة إلى الزاوية القادرية بأولاد جلال وبسكرة والتيجانية ببسكرة.

أما المدارس العتيقة فأشهرها مدرسة الإخاء التي أسُست عام ١٩٣١م(٢٠)، ومدرسة التربية والتعليم التي شيدت عام ١٩٤٧م - تقريبًا - ودشنت بحضور الشيخ البشير الإبراهيمي ١٨٨٩- ١٩٦٥م، خليفة العلامة ابن باديس في رئاسة جمعية العلماء،وقد تخرّج فيها ثلة من أبناء بسكرة الأماجد والوطنيين الأحرار.

من أعلام بسكرة وعظمائها

من المتفق عليه لدى الدارسين والباحثين وحتى محدودي الثقافة أن بسكرة أنجبت ومازالت تنجب من رحمها عددًا من العلماء والعظماء والأبطال في شتى الميادين والاختصاصات ومنهم:

- الأعلام القدامى:

- لعل أقدمهم العلامة عبدالرحمن بن زرزر «زرزور» الذي توفي سنة ٢٩١هـ، وهو من الشعراء والفقهاء.

- العلامة أحمد بن نصر الدّاودي (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م)، الذي يعد في رأي جمهور المؤرخين أول من شرح صحيح البخاري في كتابه «النصيحة»، و«موطأ الإمام مالك» في كتابه «النامي»، ومن آثاره كتاب «الأموال»، و«الواعي في الفقه»،



المعهد الإسلامي (ثانوية الدكتور سعدان حالياً) الذي صُمّم على الطراز الإسلامي

و«الإيضاح»(٢١).

ـ كما اشتهر في القرن الخامس الهجري الأستاذ يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي البسكري الذي برع في مجال القراءات والتكلم والنحو، وقد زار بغداد وأصبهان وعيّنه نظام الملك مقرئاً في مدرسته بنيسابور، توفي سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م(٢٢).

ـ الشيخ العالم أبو الفضل البسكري من علماء القرن الخامس الهجري، أما في القرن السادس الهجري فقد اشتهر الفقيه الحسين بن يحيى البسكري قاض من فقهاء المالكية سكن المغرب الأقصى أيام عبدالحق المريني الذي ولاه القضاء هناك، توفي سنة ٦٠٧هـ.

ـ الشيخ عبدالله بن عمر بن موسى البسكري، أبو محمد من علماء المالكية، شاعر وأديب، رحل إلى المشرق، واستقر بالمدينة المنورة، توفي عام ١٣٦٤م (٢٣)

ـ الشيخ محمد بن عمر بن عنقة الذي اشتهر بالحديث والفقة المالكي، رحل إلى بلاد الشام ومصر والحجاز طلباً للحديث، توفي نحوسنة ٨٠٤هـ.

أما فيما يخص النساء فقد اشتهرت منهن المحدثة أم الحياء البسكرية، وصفة بنت محمد بن محمد بن عمر، من فضليات النساء رحلت إلى المدينة مع أبيها، وحدثت هناك، عاشت في القرن التاسع الهجري، ترجم لها السخاوي في كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»(٢٤)

بينما نبغ العلامة عبدالرحمن بن محمد الصغير الأخضري «٩١٨ ـ٩٨٣هـ/ ١٥١٢ـ ١٥٧٥م» خلال القرن العاشر الهجري، له كتب في: البيان، والأدب، والمنطق، والفلك، والحساب، والفقه، والحديث، منها «الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون» و«شرح السراج» و«مختصر الأخضري» وهي منظومات شرح معظمها العلامة الدمنهوري شيخ الأزهر الشريف. ضريحه موجود ببلدة بنطيوس



سوق الماشية (الحشيش) بقلب مدينة بسكرة خلال السبعينيات

ببلدية مخادمة (ولاية بسكرة)(٢٥).

أما العلامة ناصر بن أحمد بن يوسف بن منصور البسكري المعروف بابن مزني فقد عرف بالفقه والتاريخ، كما اتصل بالعلماء، كابن خلدون، ولزم ابن حجر العسقلاني، توفي عام ١٤٢٠م(٢٦).

ـ الأعلام المعاصرون:

ـ الشيخ الطيب العقبي ١٨٩٠ـ١٩٦٠م: خطيب وصحفي وشاعر، وأحد أقطاب الإصلاح بالجزائر، من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ٥ أيار / مايو عام ١٩٣١م بنادي الترقي بالعاصمة وصاحبه صحيفة «الإصلاح».

ـ محمد بن العابد الجلالي ١٨٩٠ـ ١٩٦٧م: مصلح اجتماعي وكشاف وشاعر وأديب ومجاهد، له كتاب «تقويم الأخلاق»، كما أصدر صحيفة «أبوالعجائب» عام ١٩٣٤م، ومن أشهر تلاميذه الشهيد العربي بن مهيدي، وصالح بوذراع، والأديبة زهور أونيسي..

ـ نعيم النعيمي ١٩٠٩ـ ١٩٧٣م: مصلح وباحث في التاريخ، وله عدة كتابات نثرية وشعرية، ضاع أغلبها، وشارك في الثورة التحريرية.

ـ أحمد رضا حوحو ١٩١١ـ ١٩٥٦م: رائد القصة القصيرة والمسرحية والرواية بالجزائر، له رواية «غادة أم القرى» و «أدباء المظهر»، و«صاحبة



السوق المغطى: تعرض للحريق في بداية السبعينيات، وتبدو مئذنة مسجد القائد (الكبير)

الوحي»، كما أصدر عام ١٩٤٩، صحيفة «الشعلة»، وقبلها عمل سكرتيراً للتحرير بمجلة «المنهل» السعودية برفقة مؤسسها المرحوم عبدالقدوس الأنصاري في حدود عام ١٩٣٧م، استشهد عام ١٩٥٦م.

- محمد السعيد الزاهري اللياني ١٨٩٩- ١٩٥٦م: من رواد الإصلاح والصحافة العربية بالجزائر، أديب وشاعر، أصدر عدة صحف منها: «الجزائر »١٩٢٥م، و«البرق» ١٩٢٧م، و«الوفاق» ١٩٣٨م، و«المغرب العربي» ١٩٤٧م، و«عصا موسى» ١٩٥٠م(٣١)، طبع له الشيخ محب الدين الخطيب كتابه «الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير».

- محمد الخضر حسين الطولقي ١٨٧٣- ١٩٥٨م: أصله من طولقة (ولاية بسكرة)، وولد وترعرع بتونس، ثم انتقل إلى سورية، واستقر بمصر، علامة ومصلح، تقلد مشيخة الأزهر الشريف في عام ١٩٥٢- ١٩٥٤، أصدر «السعادة العظمى» أول مجلة تصدر بتونس عام ١٩٠٤م، له عدد من الكتب التي تزيد على العشرين، منها: نقض كتاب «الشعر الجاهلي» لطه حسين، في عام ١٩٢٧م، ونقض كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، في عام

١٩٢٦م، و«علماء الإسلام في الأندلس» و«ديوان شعر»، و«الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان»، و«القياس في اللغة».

ـ أحمد سحنون ١٩٠٧م ـ ...: شاعر وأديب وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين، له ديوان مطبوع وكتاب «توجيهات إسلامية» وعدد من المقالات الصحفية التي نشرت في مختلف الصحف، خاصة «البصائر».

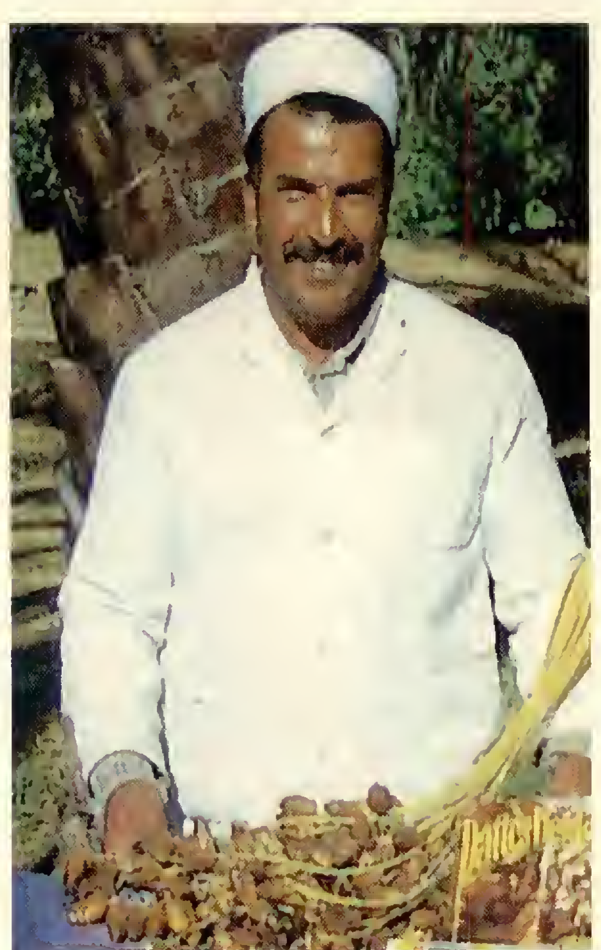
ـ محمد العيد آل خليفة: ١٩٠٤ـ ١٩٧٩م: بويع بإمارة الشعر المعاصر عام ١٩٢٩، ببسكرة، له ديوان مطبوع، كما ساهم في تطوير الصحافة العربية قبل الاستقلال، ألفت حول حياته وأدبه وشعره عشرات الكتب والدراسات.

ـ علي بن عمارة البرجي ١٨٩٥ـ ١٩٣٣م: من أعلام الإصلاح بالجزائر، له مجموعة من الكتابات الصحفية المتزنة، عرف بتفسيره للقرآن الكريم.

ـ عبدالمجيد حبّة ١٩١١ـ ١٩٩٢م: بحّاثة ونسّابة ومؤرخ وشاعر، له عدد من المخطوطات التي تنتظر من ينفض عنها الغبار، منها: «تذكرة أولي الألباب بملخص تاريخ بسكرة والزاب» و«عقبة بن نافع القائد المظفر» و«قيد الأوابد من حياة خالد».

ـ أبوبكر مصطفى بن رحمون ١٩٢١ـ ١٩٨٤م: من فحول شعراء الجزائر في العصر الحديث، وأحد تلامذة العلامة ابن باديس، له ديوان مطبوع وكتب ضاع منها الكثير.

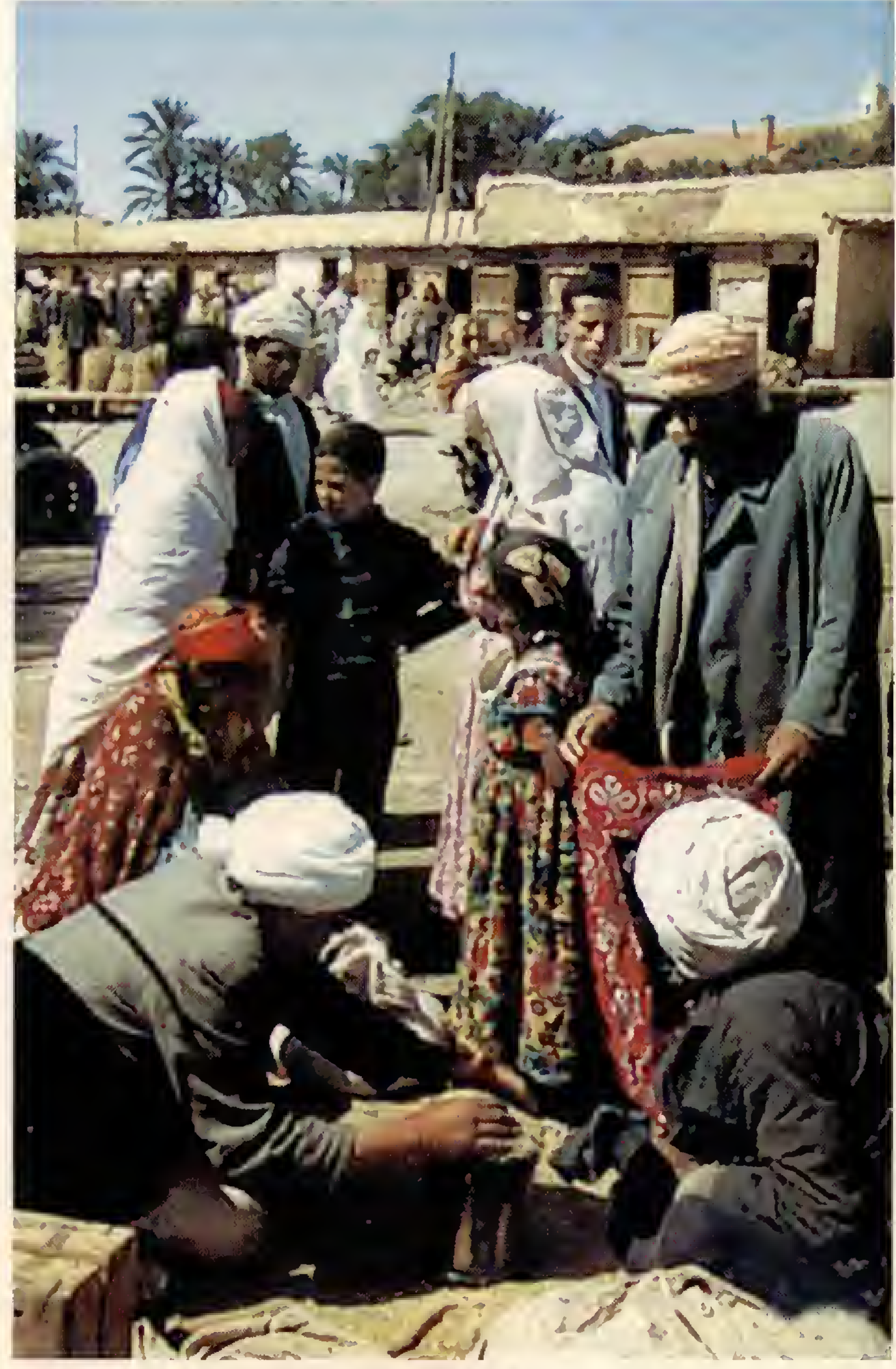
ـ محمد الهادي السنوسي الزاهري ١٩٠٠ـ



شاب يعرض تمر دقلة نور



عجوز من بلدية مشونش ترتدي زيّاً تقليدياً محلياً وفي يدها (طلع)


سوق الحشيش الشعبي القديم

١٩٧٤م: أديب وشاعر كبير، له كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» في جزأين طبع الأول عام ١٩٢٦م، والثاني عام ١٩٢٧م، بتونس.

تفاصيل حياة بعض هؤلاء الأعلام ومسيرتهم في الجزء الأول من كتابنا «أعلام من بسكرة»(٢٧).

بسكرة في عيون الرحّالين العرب والأوربيين

لقد مرّ بمدينة بسكرة وبقراها عدد من الرحالين، الذين تحمّلوا مشاق السفر ووعثاءه، وقدموا إليها من مختلف الأقطار والمناطق والقارات سواء المغاربة والعرب أو الأوربيون والأمريكان ... فاتحون، علماء، أدباء، شعراء، مؤرخون، سياسيون، جواسيس، سفاحون، مُنَصِّرون، غزاة ...، وفدوا إلى الزيبان (بسكرة) ليسبروا أغوارها، ويكتشفوا معالمها التاريخية والحضارية، ويطلعوا على آثارها التي لاتزال شامخة، ويستمتعوا بمناظرها السياحية الخلابة التي قلما يوجد مثلها في بقعة أخرى على وجه الأرض.

ومن أشهر المؤرّخين والجغرافيين والرحالين الذين زاروا بسكرة، ودوّنوا مشاهداتهم وملاحظاتهم:

ـ الرحالة أبو عبيد البكري ١٠٤٠ـ ١٠٩٤م: الذي زارها، ومن أهم ما كتب عنها: «وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة، كثيرة

النخيل والزيتون، وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة وحمّامات، وحواليها بساتين كثيرة، وفيها أجناس التمور، وأهلها على مذهب أهل المدينة ...»(٢٨).

ـ الرحالة أبو سليم عبدالله العيّاشي ١٦٢٦ـ ١٦٧٩م: وصل إلى المنطقة في حدود عام ١٦٦٣م، وتطرق في رحلته «ماء الموائد» إلى عدد من قراها كزريبة الوادي، وزريبة حامد، وسيدي عقبة، وتهودة، وبادس، وإمليلي، وبنطيوس، وسيدي خالد، وأولاد جلال ...، وعن بسكرة يقول: «هذه المدينة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران فيها، قد جمعت بين التل والصحراء ذات نخيل كثير وزرع كثيف، وزيتون ناعم، وكتان جيد، وماء جار في نواحيها، وأرحاء متعددة تطحن بالماء، ومزارع حنّاء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقًا وغربًا أحسن منها ولا أحصن ولا أجمع لأسباب المعاش ...»(٢٩).

ـ أما مؤسس علم الاجتماع المؤرخ عبدالرحمن بن خلدون ٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ: فقد لجأ إلى بسكرة بعدما ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فآوته عائلة بني مزني خلال القرن الثامن الهجري، ولبث عندهم مدة ليست باليسيرة، اختلف المؤرخون في تحديدها وفي ذلك يقول: «فدخل إلينا محمد بن مزني ذاهباً إلى الزاب فرافقته إلى بسكرة، ودخلت إلى أخيه هنالك، ونزل هو ببعض قرى الزاب تحت جراية أخيه إلى أن انصرم الشتاء»(٣٠)، ومن أهم ماقاله عنها كذلك: «... قاعدتها بسكرة، من كبار الأمصار بالمغرب وتشمل النخل والأنهار والمدن والقرى والمزارع».

ـ الرحالة الأندلسي الحسن الوزّان «ت قبل ١٥٥٠م» المعروف بليون الإفريقي، الذي دوّن مشاهداته في كتابه الشهير «وصف إفريقية»(٣١).

والصحفية الأديبة الروسية إيزابال أبرهارد (١٨٧٧ـ ١٩٠٤م): التي كانت تتزيا بلباس الفرسان العرب، وتجوب الصحاري.

ـ الرحالة الجغرافي ماسكوري الذي نشر أبحاثه حول بسكرة بالمجلة الإفريقية الفرنسية في العدد الصادر بتاريخ ١٨٧٩م(٣٢).

ـ الأمريكي المزارع الرحالة هنري سايمون الذي وفد إلى بسكرة عام ١٩١٣م، وأخذ



الفندق الملكي (رويال) الذي هدّم عن آخره وبني مكانه مقر للبريد



محطة السكك الحديدية ببسكرة

فسائل النخيل من نوع «دقلة نور» إلى صحراء كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وقام بغرسها هناك.

- الرحالة الإنجليزي هلتون سيمبسون الذي قام بعدة رحلات إلى بسكرة خاصة إلى بلدة القنطرة القريبة من جبال الأوراس خلال الحرب العالمية الأولى، وقد جمع مشاهداته في كتابه الشهير «الجزائر وما حولها»(٣٣).

- يضاف إلى هؤلاء المفكّر كارل ماركس الذي قصد بسكرة في حدود عام ١٨٨٢م، بعدما نصحه الأطباء الإنجليز بأن شفاءه بحمّامات بسكرة.

- الروائي روبارت هيتشنس الذي كانت زيارته عام ١٨٩٠م، وقد ألّف حول حديقتها «جنان لندو» روايته الشهيرة «جنة الله»، وقد طبعت أكثر من عشرين مرة بالفرنسية والإنجليزية.

- الشاعر الفرنسي أندريه جيد (١٨٦٩-١٩٥١م): صاحب جائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٤٧م، والذي ظل متشبثًا ببسكرة، بل إن آخر كلمة تفوه بها هي «بسكرة ... الصحراء» إلى جانب الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان الذي وفد إليها عام ١٨٦٣، ونشر رحلته في كتابه «ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقية» (٣٤)، والرحالتان ماركايو دامريك وجورج هيرتز اللذان وفدا إلى بسكرة عام ١٩٥٤م ونشرا ما شاهداه في كتيب مزدان بلوحات فنية تصور عدة جوانب من حياة سكان المنطقة(٣٥).

بسكرة آثار ومعالم

تحتضن ولاية بسكرة عددًا من الآثار التاريخية والمعالم الحضارية التي ظلّت صامدة على الرغم من عوادي الزمن، منها على الخصوص:

- الآثار الرومانية والبيزنطية: في كل من بادس، وتهودة، وأوماش، وبيقو، وطولقة، وبنطيوس،




مسجد سيدي عقبة


فندق طرانزات اتخذه الفرنسيون مقرًا لإقامة رؤسائهم ووزرائهم عند زياراتهم بسكرة

وإمليلي، والقنطرة، ومعظمها تابع لخط الليمس الروماني.

ـ المكتبة العثمانية: التي تضمها زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة، وتحوي أنفس المخطوطات النادرة والكتب النفيسة التي تعود طباعتها الحجرية إلى نهاية القرن ١٩م، وهي مقصد للطلبة والأساتذة والباحثين يفدون إليها من كل جامعات الجزائر.

ـ حديقة لندو: بقلب بسكرة وتزخر بشتى أنواع الأشجار النادرة في العالم التي جلبها الفرنسي الكونت لندو من مختلف القارات في حدود عام ١٨٧٠م، وقد استلهم منها الشاعر الفرنسي أندريه جيد روائعه الشعرية.

ـ حديقة ٥ يوليو: المعروفة شعبيًا باسم «جنان البايلك»، ومساحتها ٥ هكتارات وتحوي ٤٦ نوعًا من الأشجار.

ـ حمّام الصالحين المعدني: الذي كان الرومان القدامى يستعملون ماءه للاستشفاء من الأمراض، وخاصة الجلدية منها، ويعد الآن من أهم المركبات المعدنية والسياحية الوطنية.

ـ جامع خالد بن سنان العبسي وضريحه: الذي ذهب بعض العلماء إلى أنه نبي بعث بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد عليهما السلام، ومن هؤلاء العلامة عبد المجيد حبة في مخطوطه «قيد الأوابد من حياة خالد»، ويوجد بالبلدة التي تحمل اسمه اليوم «سيدي خالد» وتبعد عن مقر الولاية بـ١٠٧كم.

ـ بلدة خنقة سيدي ناجي: التي تبعد عن بسكرة بنحو ١٠٠كم وكانت تسمى بـ: «تونس الصغيرة» لأهميتها كحاضرة علمية، وقد عرفت بمدرستها الناصرية التي بنيت على منوال جامع الزيتونة الشهير بتونس، وقد أشرف على عملية البناء السيد أحمد بن عمر التونسي بمساعدة بنّائين من خنقة سيدي ناجي(٣٦)، وقد تخرج فيها عدد من العلماء والطلاب.

- **جامع الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري وضريحه:** الموجود حاليًا بالبلدة التي سميت باسمه إكرامًا لبطولاته ولدوره في فتح بلاد المغرب، وهذا الضريح والجامع من المصنفات الوطنية التاريخية، التي يقصدها الباحثون والسيّاح العرب والأجانب.
- **المساجد العتيقة:** كمسجد سيدي عبدالمؤمن، وسيدي الجودي، وقبة سيدي زرزور، المسجد الكبير «القائد»، ومسجد سيدي أبي الفضل البسكري، ومسجد سيدي موسى الخدري، وضريح العلامة عبدالرحمن الأخضر ببنطيوس.
- **أطلال واحة الزعاطشة:** التي جرت فيها وقائع ثورة الزعاطشة ضد العدو الفرنسي عام ١٨٤٩م.

المراجع والهوامش

١. مجلة الزيبا، العدد الثاني، بسكرة، الجزائر ١٩٨٤، ص١٢.

٢. خط الليمس: شيده الرومان في القرن الثاني الميلادي، ويمتد من الجريد التونسي إلى بلدة بادس، وتهودة، وبسكرة، ويمر عبر أوماش، وبيقو، وأورلال وطولقة، وبنطيوس .. وهو قلاع ومبان ومراكز للحراسة، أي خط تحصينات دفاعية، وقد بلغ أقصى توسعه في المناطق الجنوبية من الأوراس عند إنشاء المعسكر الكبير بجميلي «امليلي» قرب أوماش إحدى بلديات ولاية بسكرة، وذلك عام ١٢٦م، في عهد الإمبراطور هدرياق، وهذا لمنع تسرب قبائل الجيتول الصحراوية إلى الشمال الجزائري.

٣. بسكرة الزيباني، فوزي مصمودي، مجلة المعرفة، عدد ١٧، ديسمبر١٩٩٣م، ص٤٩.

٤. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، دون طبعة ١٣٩٩هـ ١٩٦٩ج٢، ص٤٢٢.

٥. بسكرة كبرياء عروس الزيبان، الهادي فاتح ، ومية الخبر، الثلاثاء ٢٦ مايو١٩٩٨م، الموافق لـ: ٢٩من محرم١٤١٩هـ.

٦. تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية، د. محمد الصغير غانم. مطبعة الشهاب، باتنة الجزائر، دون طبعة ودون سنة، ص٢٣.

٧. المصدر السابق، ص ٢٤.

٨. تهودة أو نهوذة: من أشهر المدن الغربية القديمة، تبعد عن بسكرة نحو ٢٦كلم، قال عنها الرحالة البكري «القرن١١م» تهودة: من أعظم مدائن المغرب، وتعرف بمدينة السحر، وهي مدينة أهلة، كثيرة الثمار والنخيل والزروع، ولها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ونهر يصب في جوفها إلا أنها عرفت أكثر بحادثة استشهاد الفاتح عقبة بن نافع ومن معه، كما سبق ذكره.

٩. تاريخ بسكرة عاصمة الزيبان، د. ناصر طراي، نشرة في إعداد نادي التاريخ والآثار، خلية الإعلام والاتصال لولاية بسكرة.

١٠. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ج٦، ص٢٠٤، «بتصرف».

١١. الصحراء الكبرى وشواطئها، د. إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دون طبعة ١٩٨٣م،ص ١٤٨، والدكتور إبراهيم مياس، المجلة الخلدونية، احتلال بسكرة ١٨٤٤م، العدد ٢، ٢٠٠١، ص ٤٣.

١٢. ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، د. يحيى بوعزيز، منشورات المتحف الوطني للمجاهدين، الجزائر، الطبعة الثانية ، من عام دون تاريخ، ج١ ص٩٥.

١٣. الصحف العربية في الجزائر من ١٨٤٧ـ ١٩٣٩، د. محمد ناصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر دون طبعة ،١٩٨٠م، ص٦٢.

١٤. المصدر السابق، ص ٧٩.

١٥. المصدر السابق، ص ٨٥.

١٦. تاغنّانت: مصطلح أمازيغي محلي يستخدمة عامة الجزائريين، بمعنى المعاندة والتصدي الدائم، طبعًا ضد الاستعمار الفرنسي.

١٧. تاريخ الحركة الصحفية بسكرة من ١٩١٩ـ ١٩٥٦، فوزي مصمودي، كتاب مخطوط ينتظر الطبع.

١٨. أسست الكشافة الإسلامية الجزائرية عام ١٩٣٦م، على يد الشهيد محمد بوراس ١٩٠٨ ـ ١٩٤١م، بإيعاز من العلامة عبدالحميد بن باديس، وخلال الحرب العالمية الثانية قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بقتله بحجة تعاونه مع الألمان.

١٩. بسكرة ومنطقته، الشيخ زهير الزهري، نشرة قامت بطبعها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية عام ٢٠٠٠م.

٢٠. مذكرات، الشيخ محمد خير الدين، ج١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، من دون تاريخ ص ٩٢.

٢١. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، دار نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص ١٤١.

٢٢. طبقات القرّاء، الإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق الدكتور أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. المجلد الثاني ص٦٥١.

٢٣. عادل نويهض: مصدر سابق، ص ٤٢.

٢٤. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

٢٥. عبدالرحمن الأخضري حياته وأعماله، د. عمارطالبي، مجلة العلوم الإسلامية، السنة ٢، العدد الثاني، رمضان ١٤٠٧هـ / مايو١٩٨٧م.

٢٦. عادل نويهض: مصدر سابق، ص ٢٩٥.

٢٧. أعلام من بسكرة، فوزية مصمودي، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، مطبعة الصقر،الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ج١، وقد استغرقت في تأليفه مايقرب عشر سنين، واعتمدت في إعداده على عشرات المصادر والمراجع المكتوبة والشفاهية.

٢٨. الصحراء الكبرى وشواطئها، د. إسماعيل العربي، مصدر سابق، ص ١٤٨.

٢٩. الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مولاي بالحميس، الشركةالوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية،١٩٨١م.

٣٠. كتاب العبر، عبدالرحمن بن خلدون، مصدر سابق، المجلد ٧، ص ٤٧٧.

٣١. «وصف إفريقية» كتاب للرحّالة الحسن الوزّان المغربي الأندلسي، طبع باللغة الفرنسية بتاريخ ١٩٥٦م، وقام بترجمة إلى اللغة العربية الأستاذ عبدالرحمن حميد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٩م.

٣٢. المجلة الإفريقية: من المراجع المهمة في تاريخ الجزائر خلال النصف الثاني من القرن ١٩م، والنصف الأول من القرن الـ٢٠م، أسسها الفرنسي سيروكا الذي كان ضابطًا ببسكرة، وشارك في حصار الزعاطشة عام ١٨٤٩م، وقد أعاد ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر طباعتها.

٣٣. الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، عبد الله ركيبي، كتاب مسلسل نشر بيومية «صوت الأحرار» وقد اعتمدنا على العدد رقم ٩١١، الصادر بتاريخ ٢٦شباط /فبراير ٢٠٠١م.

٣٤. ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقية، هاينريشفون مالتسان،، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، دون طبعة، ١٩٧٩م.

٣٥. قامت بلدية بسكرة في العهد الاستعماري بطبع الرسالة ونشرها في ١٥تشرين الثاني / نوفمبر١٩٥٤م، في بداية الثورة.

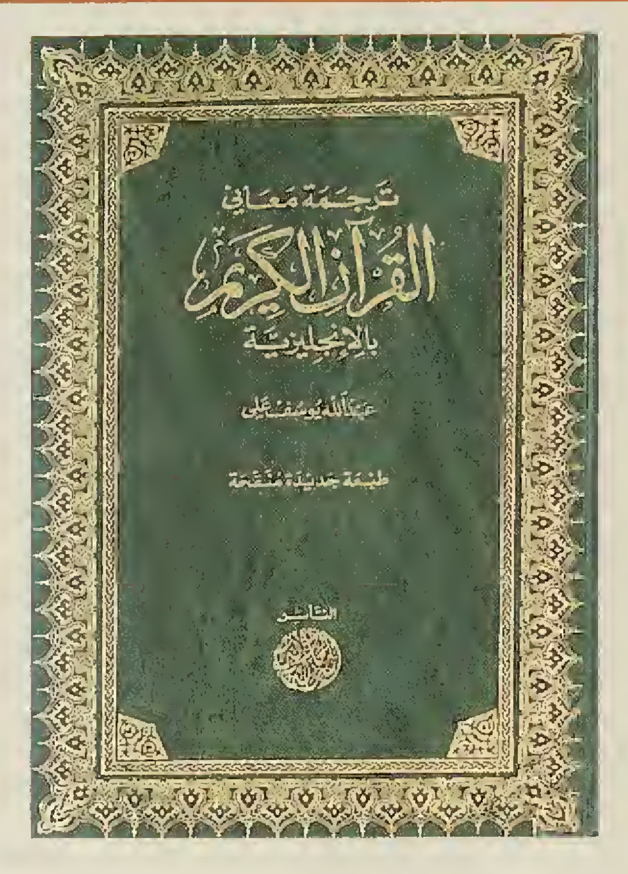
٣٦. نشرة صادرة عن جمعية الناصرية بخنقة سيدي ناجي ولاية بسكرة، من دون تاريخ.

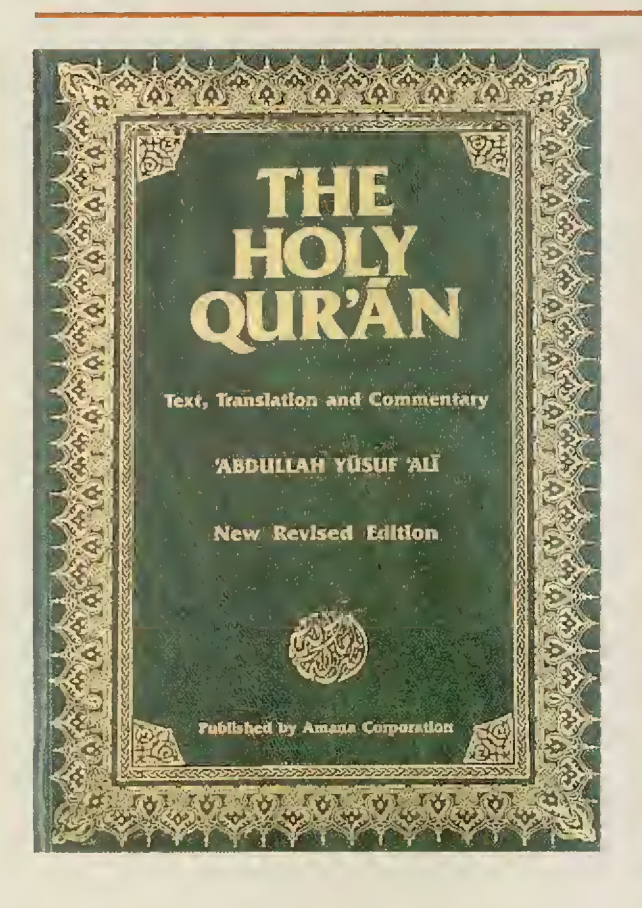
ترجمة معاني القرآن الكريم ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام

عبدالله بن إبراهيم اللحيدان
الرياض - السعودية

للقرآن الكريم تأثير عظيم في النفوس، وقد أنزله الله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ومن سماعه تفيض الأعين بالدمع، فالذين يعلمونه إذا سمعوا ما أنزل على الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، ولم يزل هذا القرآن يشفي الصدور، ويأخذ بالأفئدة، ففي صحيح البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: *أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون، أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون* . الطور: ٣٥- ٣٧. كاد قلبي يطير»(١).

ومنذ عهد الرسالة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن هذا القرآن يؤتي أكله كل حين بإذن الله، هداية وإعجازاً ، فهو يهدي الأفراد والأمم للتي هي أقوم في الأخلاق والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وهو معجزة باقية إلى قيام الساعة، قال تعالى: *قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا*. الإسراء: ٨٨. ولقد سار المسلمون الأولون بالقرآن الكريم يفتحون به البلدان والأمصار، وترجموا معانيه بأنفسهم وأخلاقهم وسلوكهم، وكانوا سبباً في هداية الناس إلى هذا الدين، فترجمة معاني القرآن عملياً من أعظم الأسباب التي تدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، وهذا لايقل من الترجمة الحرفية لمعانيه، إذ إنها أيضاً سبب من الأسباب المعينة على الدخول في الإسلام. وإذا كانت الترجمة من الوسائل الرئيسة في نقل الحضارات والعلوم والمعارف، وسبيلاً إلى معرفة أحوال الأمم وعوائدها وأخلاقها وطبائعها، وطرائق التفكير لديها، فإن من أهم المهمات وأوجب الواجبات نقل علوم القرآن وهداياته إلى أمم الأرض كلها، «فالقرآن الكريم مملوء بالمعاني والأسرار الجليلة والخفية إلى درجة تعجز المخلوق عن الإحاطة بها فضلاً عن قدرته على محاكاتها وتصويرها بلغة عربية أو أعجمية(٢) ولم تعرف الدنيا ولن تعرف كلاماً بلغ الطرف الأعلى والنهاية العظمى في





الإحاطة بكل الخواص البلاغية سوى القرآن الكريم الذي انقطعت دونه أعناق الفحول من البلغاء، وانبهرت في حلبته أنفاس الموهوبين من الفصحاء»(٣).

ولايزال خصوم الدعوة منذ عهد الرسالة إلى يومنا هذا يسعون بكل ما يستطيعون ليصرفوا الناس عن الانتفاع بالقرآن الكريم، قال تعالى: *وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون*. **فصلت**: ٢٦، وقد تعددت طرائقهم في ذلك وتنوعت.

أبرز العقبات التي تحول دون الاستفادة من ترجمة معاني القرآن الكريم مايأتي:

أولاً: تضليل الآباء لأبنائهم، ودعوتهم إلى تقليدهم واتباعهم، وفي الحديث: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٤)، وفي كثير من مجتمعات الغرب والشرق يسعى الآباء إلى تضليل أبنائهم عن قراءة الكتب الإسلامية التي كتبها المسلمون، بدعوى أنهم غير منصفين، بل إن المكتبات المدرسية عندهم لا تحوي إلا الكتب التي كتبها غير المسلمين عن الإسلام، من المستشرقين وغيرهم، ويلزمون التلاميذ بقراءتها دون غيرها بدعوى أنها أكثر موضوعية، والواقع أنها هي قد ملئت كذباً وافتراء على الإسلام وأهله(٥)، وهذا بدوره يصرف عن الإسلام، تقول مافيز جولي(بريطانية) قرأت عدة كتب عن الإسلام، وقرأت ترجمة معاني القرآن الكريم إلا أنني كنت متأثرة بما سمعته من فوق المنابر المسيحية من الطعن في الإسلام (٦).

وفي سبيل التضليل سعوا إلى نشر الترجمات المحرفة عن الإسلام، بجميع اللغات، مضمنين هذه الترجمات الأكاذيب المدسوسة على الإسلام، وعلى

الكتاب العزيز، ووضعت مثل هذه الترجمات في متناول أيديهم في المكتبات العامة وغيرها، ويشهد على ذلك ماذكره محمد جون وبستر (إنجليزي) عن قصة إسلامه إذ يقول: حدث عند إقامتي في أستراليا أن طلبت نسخة من القرآن الكريم من مكتبة (سدني) العامة، فما إن قرأت مقدمة المترجم حتى لمست التعصب ضد الإسلام مكشوفًا مفضوحًا، فلم أتمالك إلا أن أقفل الكتاب وأتركه، ولم أجد عندهم ترجمة أخرى، وبعد أسابيع ذهبت إلى (بيرث) في غرب أستراليا فبادرت بالبحث في مكتبتها العامة عن ترجمة لمعاني القرآن شريطة أن يكون المترجم مسلمًا، يقول: ولا أستطيع أن أعبر عن مدى تأثري بمجرد تلاوتي أول سورة فيه سورة الفاتحة بآياتها السبع(٧).

وهذا يبين أن هناك طائفة من الناس تبحث عن الحق، وقد لا يتيسر لها الحصول على ماتريده مما يضاعف مسؤولية المسلمين في نشر الدعوة إلى الله تعالى بكل الأسباب الممكنة والمتاحة.

وفي سبيل التضليل ـ أيضًا ـ يلبسون على من يقترب من الهداية إلى أنه لا فرق بين الأديان كلها، يقول مراد هوفمان: لقد سمعت مراراً قبل اعتناقي الإسلام مقولة أن التحول من دين إلى دين آخر ليس له أهميه إذ إن الأديان كلها تؤمن في آخر الأمر بإله واحد وتدعو إلى الأخلاقيات والقيم ذاتها(٨).

ثانياً: تعدد الترجمات لمعاني القرآن، ففي اللغة الواحدة توجد عدة ترجمات معظمها قام به غير المسلمين، مما يجعل غير المسلمين يظنون أن هناك أكثر من قرآن عند المسلمين، كما أن ذلك مدعاة لاضطراب المدعوين وارتيابهم، حيث لايجدون ترجمة صحيحة، وهو أيضا مدعاة للنقد، وقد فطن النصارى لهذا الأمر في سبيل نشر الإنجيل ـ على الرغم من تعدد الأناجيل ـ حيث سعوا إلى أن تكون الترجمات الموجودة في بلاد المسلمين جهداً مشتركاً بين الطوائف النصرانية للتقليل من نقد المسلمين لهم(٩).

ثالثًا: واقع المسلمين اليوم، حيث يسعى مثقفو الغرب والشرق إلى دعوة الناس إلى الحكم على الإسلام من خلال سلوك أهله وواقعهم، لا من خلال كتابهم الذي يؤمنون به، وما من شك أن هناك فئات كثيرة من المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي تقدم ترجمة سيئة للإسلام بسلوكها الذي يخالف تعاليم الكتاب والسنة، وهؤلاء يصرفون الناس عن كل ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم.

تأكيد ضرورة الإيمان بالكتب السماوية كلها، وتقرير أوجه الاتفاق بينها من حيث وحدة المصدر ووحدة الغاية، ومن حيث التقديس والتعظيم، وبيان الفرق بينها في الشرائع والأحكام

إن كثيراً من الغربيين ينظرون من خلال نظرة المستشرقين الذين يتولون الحديث عن الإسلام، يقول المستشرق الهولندي فيلد، وهو مدرس تاريخ الإسلام في جامعة ليدن: الحديث عن الإسلام لابد أن ينطلق من واقع المسلمين اليوم، لا عن الماضي قبل أربعة عشر قرنًا، ولا عن المستقبل(١٠).

هذا هو منهجهم يحتكمون إلى الأهواء لا إلى الإنصاف.

رابعًا: طول ترجمة معاني القرآن الكريم، إذ إن غير المسلم قد يقرأ كتاباً عن الإسلام، أو قصاصة أو مطوية، أما أن يعكف على قراءة الترجمة، فإنه يحتاج إلى وقت طويل.

خامسًا: إن الترجمة لا تناسب كل فئات المدعوين، فهي تناسب الفئة المثقفة، أما العامة فليس لديهم القدرة على فهم الترجمة، كحال عامة المسلمين في فهم القرآن الكريم، بل الترجمات إنما كتبها المستشرقون، لإعطاء مثقفيهم صوراً خاطئة عن الإسلام لينشروها بين عامة الناس وهو ما

حدث بالفعل، إذ إن معظم غير المسلمين لم يطلعوا على ترجمات معاني القرآن، وإنما اكتفوا بترديد حكم مثقفيهم على القرآن.

سادساً: إن هناك حاجزاً بين غير المسلمين، ولذلك فكلما ازداد تمسك غير المسلم بدينه، ازداد إعراضه عن النظر في القرآن، يقول أحد الفرنسيين قبل أن يسلم: أهداني صديق لي نسخة من القرآن الكريم مترجماً إلى اللغة الفرنسية، ولم أهتم في البداية بقراءته، لأنني كنت مسيحياً ملتزماً، ولم أكن مستعداً لتغيير ديني(١١).

سابعاً: إن الترجمات الجيدة لمعاني القرآن الكريم بحاجة إلى دعم في تسويقها ونشرها، لأنها تتوافر في أماكن البيع غالباً ـ بأسعار مرتفعة مما يقلل من تداولها.

وسائل الاستفادة

تلك أبرز العقبات التي تحول دون الاستفادة من ترجمة معاني القرآن الكريم. أما الوسائل المعينة على الاستفادة من الترجمة في مجال دعوة غير المسلمين إلى الإسلام فهي كثيرة أذكر منها:

أولاً: أن تحوي الترجمة مقدمة علمية فائقة، إذ إن السعي وراء إيجاد شعور عند غير المسلمين، تجاه القرآن الكريم من أهم متطلبات الدعوة، وهذا يتطلب توفير الأسباب التي تعين على ذلك في ضوء القيم الثقافية والمعتقدات والعادات التي يؤمن بها غير المسلمين وهذه المقدمة لاتبين المحتوى فحسب، وإنما تدعو القارئ إلى تحكيم العقل والمنطق، والحكم المتجرد بعيداً عن الهوى والموروث الثقافي.

سورة البقرة — الجزء الثاني

Sûrah 2 Al Baqarah 87

وصد عن سبيل الله
وكفر به
والمسجد الحرام
وإخراج أهله منه أكبر عند الله
والفتنة أكبر من القتل
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم إن استطاعوا
ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة
وأولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون

But graver is it
In the sight of Allah
To prevent access
To the path of Allah,
To deny Him,
To prevent access
To the Sacred Mosque,
And drive out its members.
Tumult and oppression
Are worse than slaughter.
Nor will they cease
Fighting you until
They turn you back
From your faith
If they can.
And if any of you
Turn back from their faith
And die in unbelief,
Their works will bear no fruit
In this life
And in the Hereafter;
They will be
Companions of the Fire
And will abide therein.

(٢١٨) إن الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله أولئك
يرجون رحمت الله
والله غفور رحيم

218. Those who believed
And those who suffered exile
And fought (and strove and struggled)
In the path of Allah, —
They have the hope
Of the Mercy of Allah:
And Allah is Oft-Forgiving,
Most Merciful.

(٢١٩) يسألونك

219. They ask thee

كما يجب أن تصدر ترجمة معاني القرآن بمقدمة تنفي عنه صراحة أن تكون ترجمة للقرآن نفسه، وتبين أن ترجمة القرآن نفسه بالمعنى المتعارف عليه أمر في غاية الصعوبة ودونه خرط القتاد، لان هذا الكتاب ليس له نظير يحاكيه لامن لغته ولا من غير لغته(١٢).

كما أن من المهم في المقدمة تأكيد ضرورة الإيمان بالكتب السماوية كلها، وتقرير أوجه الاتفاق بينها من حيث وحدة المصدر ووحدة الغاية، ومن حيث التقديس والتعظيم، وبيان الفرق بينها في الشرائع والأحكام، وأوجه الاختلاف بينها من حيث التوقيت، ومن حيث الحفظ من التحريف وتأكيد كذلك أن القرآن الكريم واحد في جميع بلدان المسلمين، وليس كما يزعم بعض أعداء الإسلام إن هناك عدة قرائين عند المسلمين.

ومن المهم أيضاً أن تتضمن المقدمة مختصراً لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي خصه الله تعالى بهذا الكتاب.

ثانياً: السعي إلى تجزئه الترجمة في مجال دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، إذ إن ترجمة معاني القرآن جملة واحدة ليست أسلوباً مناسباً لكثير من المدعوين من غير المسلمين، لأن منهج الدعوة النبوي يقتضي التدرج مع المدعو، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن.

إن ترجمة معاني القرآن الكريم إنما تكون بالجزء

الذي يحتاج إليه المدعو، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو النفر والجماعة من المشركين ببضع آيات من القرآن، لا بقراءة القرآن كله، بل كان يدعوهم بآية من كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى: *قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولايتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.* **آل عمران**: ٦٤، قال في تفسير المنار: «هذه الآية أساس الدين، وأصله الأصيل، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بها أهل الكتاب إلى الإسلام، كما ثبت إلى هرقل والمقوقس(١٣)، وعندما قدم أهل نجران على الرسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام نزلت فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها(١٤).

إن عرض أجزاء معينة من القرآن الكريم على المدعو لعرض الإسلام عليه هو مايتوافق مع أحداث السيرة النبوية، فعندما هاجر الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة واستقبلهم النجاشي، قرأ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه صدراً من سورة مريم ، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته(١٥).

ومن الجدير بالذكر هنا ضرورة تحديد الهدف من الترجمة والفئة المستفيدة، وفي ضوء ذلك يمكن أن تحقق الترجمة تقدمًا كبيراً في هداية المدعوين، فالهدف الواضح، ومعرفة ثقافة المجتمع الذي يترجم له وأحواله يحددان اختيار النص المترجم، ومستوى اللغة، وشكل الكتاب، وتصميمه، وأي معلومة إضافية أخرى(١٦).

إن تجزئة الترجمة تعين على تحديد اختيار موضوعات معينة تستهدف طائفة من المدعوين، وهذا له أثره الكبيرفي تقريب القرآن الكريم للمدعوين

ومن الممكن مثلاً أن يخصص جزء من الترجمة للحديث عن نبي من الأنبياء في القرآن الكريم مثل عيسى في القرآن، أو موسى في القرآن، أو عن امرأة في القرآن الكريم، أو النبوة في القرآن، أو اليوم الآخر، أو الجنة والنار، أو غير ذلك من حقائق الإيمان، وأركان الإسلام.

إن تجزئة الترجمة لاتعني عدم أهمية الترجمة الكاملة في الدعوة، ولكن طول الترجمة قد يكون مانعًا من الاستفادة المثلى منها، وإذا علمنا أن معظم المسلمين لم يقرؤوا تفسير القرآن كاملاً، ولو مرة واحدة، وقد يصعب عليهم فهم كثير من آياته، فكيف بغير المسلمين الذين لاينتمون إلى أمة القرآن، ولايؤمنون بتعاليمه.

لم تعرف الدنيا ولن تعرف كلامًا بلغ الطرف الأعلى والنهاية العظمى في الإحاطة بكل الخواص البلاغية سوى القرآن الكريم الذي انقطعت دونه أعناق الفحول من البلغاء

ثالثًا: وضع الضوابط الكلية للاستفادة التامة من الترجمة لمعاني القرآن ، وتشمل هذه الضوابط مايأتي:

ـ الضوابط الشرعية، وذلك بأن يكون القائم بالترجمة عالمًا بالشريعة موثوقًا به في دينه وأمانته، ليكون مضمون الترجمة خاليًا من الأخطاء العقدية والخلافات المذهبية، سليماً من التحريف والتبديل.

ـ الضوابط الدعوية، بأن تراعي الترجمة حال المدعو، وأن يراعى فيها الطريقة النبوية في الدعوة من التدرج بالمدعو، والتيسير والرفق بالمدعو في عرض مضمون الدعوة.

ـ الضوابط اللغوية، بأن يكون القائم بالترجمة عالمًا باللغة العربية وقواعدها، وباللغة المترجم إليها، مراعيًا للفروق الفردية بين المثقفين والعامة في الأسلوب واختيار الألفاظ والمعاني.

ـ الضوابط الفنية، وذلك بأن تكون الترجمة جيدة الإخراج، مناسبة الحجم، مناسبة السعر.

رابعًا: ومن الطرائق التي تساعد على الاستفادة

المثلى من الترجمة أن يكون العنوان للترجمة الكاملة أو الجزئية جذاباً، فالعنوان يؤثر كثيراً في إقبال المرء على القراءة أو عدمه، وهو يقرر من البداية محتوى الكتاب، وللقائمين بالترجمة من النصارى جهودهم في تضليل الناس عن هدي القرآن وتعاليمه بهذا الأسلوب. ففي ألمانيا مثلاً، قام سالمون شفايجر بوضع ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، نشرت عام ١٦١٦م، تحت عنوان: «قرآن الأتراك دينهم وخرافاتهم»(١٧). فهذا المستشرق أشار إلى الغاية التي يريد الوصول إليها من خلال العنوان أي: أنه أوجد عند القارىء تصوراً عن القرآن الكريم قبل أن يشرع في قراءته، ولذلك فإن العناوين الجذابة لترجمة أجزاء من معاني القرآن الكريم تدعو غير المسلم إلى قراءتها، مثل أن يكتب على الغلاف: سبيل النجاة، أو طريق السعادة، أو طريق الخلاص من الهموم والقلق، إلى غير ذلك مما يناسب ذكره مع مراعاة مناسبتها للفئة المستهدفة.

خامساً: الاستفادة من وسائل الإعلام في تقريب القرآن الكريم إلى المدعوين من غير المسلمين وتعليمهم اللغة العربية. ومن المؤسف أن النصارى قد استفادوا كثيراً من وسائل الإعلام في سبيل نشر دعواتهم المنحرفة، وفي سبيل تحريف القرآن الكريم، ويمكن أن نتبين ذلك من خلال ما ذكره فريد د. أكورود وهو أحد المنصرين إذ يقول: إن اللغة الإنجليزية مهمة لكل عربي يرغب في متابعة تعليمه أو يود الهجرة، ولقد كتبنا إلى هيئة الإذاعة البريطانية التي لديها سلسلة ممتازة من برامج تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين بالعربية، ولقد منحتنا السلسلة، وأذنت لنا بتقديمها عبر إذاعتنا، وقد أجرينا بالفعل تعديلات على السلسلة التي استخدمناها طعماً. وفي الختام كنا نتوجه بالسؤال: هل المستمع يرغب في نسخة من كتاب يحتوي على العربية والإنجليزية جنباً إلى جنب، وعندئذ نرسل إليه نسخاً من الإنجيل باللغة العربية والإنجليزية(١٨)

ترجمة معاني القرآن عملياً من أعظم الأسباب التي تدعو الناس إلى الدخول في الإسلام، وهذا لايقلل من الترجمة الحرفية لمعانيه

سادساً: إجراء البحوث الميدانية والدراسات التي تعين على نشر معاني القرآن الكريم، وتصحيح نظر غير المسلمين عن الإسلام، والوقوف على الأسباب التي تحول دون نشره.

سابعاً: الاستفادة من المسلمين في بلدان غير المسلمين في نشر الترجمة الصحيحة لمعاني القرآن الكريم.

وأخيراً إذا كانت مواجهة الجهود التي يبذلها أعداء الإسلام لصرف الناس عن القرآن الكريم تتطلب جهوداً من الدعاة لإيضاح ماقد يشكل على المدعوين من ترجمة معاني القرآن الكريم وإزالة الشبه التي ينسبها الأعداء إليه، فإن السعي إلى نشر اللغة العربية من أهم المهمات وأوجب الواجبات ويجب على المسلمين أن يوفروا جميع الوسائل والأسباب التي تعين على ذلك، إذ فيه حفظ دينهم الذي به حياتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

المراجع

١- صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم الحديث: ٤٨٥٤.
٢- مناهل العرفان، الزرقاني، ج ٢، ص ١٣٦.
٣- المرجع السابق، ج٢، ص ١٢٣.
٤- رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: ١٣٨٥.
٥- أمنت بريكم فاسمعون، أميلي براملت، ص ٦١.
٦- لماذا أسلمنا، ص ١٢٠.
٧- لماذا أسلمنا، ص ١٤٥.
٨- رحلة إلى مكة، مراد هوفمان، ص٥٥.
٩- التنصير، خطة موجهة لتنصير العالم الإسلامي، ص٥٥٠.
١٠- حوارات مع أوروبيين غير مسلمين، الأهدل، ص١٤١.
١١- : لا إكراه في الدين، محمد الطويل، ص٢٢٨.
١٢- مناهل العرفان الزرقاني، ج ٢، ص ١٣٦، «بتصرف».
١٣- تفسير القرآن الحكيم، «المنار»، محمد رشيد رضا، ج ٣، ٣٢٧.
١٤- دلائل النبوة، البيهقي، ج ٥، ص٣٨٥.
١٥- السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١، ص ٣٣٦.
١٦- التنصير، ص٥٥٤ - ٥٥٥.
١٧- الطريق إلى مكة، مراد هوفمان، ص ١٦٨، وانظر : مجلة الفيصل العدد ٢٣٩ « ملف الترجمة»
١٨- التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٥٧٨.

الجذور اللغوية والثقافية للنزاع بين كندا وكيباك

محمود الذوادي
الزهراء - تونس

عادت إلى الصدارة في شتاء عام ٢٠٠١م، أخبار مقاطعة كيباك الكندية الناطقة بالفرنسية (١). ولا يرجع ذلك إلى محاولة الحزب الانفصالي الحاكم Le Parti Quebecois بهذه المقاطعة إجراء استفتاء ثالث لفصل كيباك عن كندا بعد أن أخفق في الحصول على أغلبية أصوات الناخبين في كيباك في استفتاءين سابقين.

لقد احتلت كيباك عناوين عدد من الصحف ونشرات الأنباء المسموعة والمرئية بسبب قرار رئيس وزراء مقاطعة كيباك، لوسيان بوشارد Lucien Bouchard الشديد التحمس للانفصال، والاستقالة. فجريدة Le Monde(١٤/١٥ يناير ٢٠٠١)(٢) ترى أن بوشار قد اعترف بأنه لم ينجح في الرفع من قوّة عزم أغلبية أهل كيباك على كسب رهان السيادة والاستقلال عن كندا. فمما لا شك فيه أنه وقع الترحيب بهذا الحدث في المقاطعات الكندية الناطقة بالإنجليزية، وفي بعض الدول الأخرى في أرجاء المعمورة. ومع ذلك فإن خليفة بوشار: برنارلندري Bernard Landry استمر في الحديث عن كيباك بصفتها أمة أو دولة كما ورد ذلك في خطابه الذي توجه به إلى حزبه الانفصالي (٢مارس ٢٠٠١م)، بعد انتخابه رئيساً له ومن ثم الوزير الأول لمقاطعة كيباك. وقد تمنى لندري أن يكون هو آخر وزير أول لكيباك وأول رئيس دولة لكيباك كأمة مستقلة ذات سيادة. تشير تصريحات لندري إلى شيئين: فمن جهة، ربّما تؤدي استقالة بوشار إلى نهاية نشاطه السياسي كانفصالي شديد التحمس إلى استقالة كيباك. ومن جهة ثانية، فإن تصريحات لندري تعني أن استقالة بوشار لاتنهي، بأي حال من الأحوال، رغبة عدد كبير من مواطني كيباك الناطقين بالفرنسية في الحصول على السيادة والاستقلال من كندا.

ازدواجية الهوية الكندية ومشكل كيباك

ترجع التحاليل للعلاقات المتوترة والصاخبة أحياناً بين كيباك، من ناحية، والمقاطعات الكندية الأخرى والحكومة المركزية «الفيدرالية» من ناحية أخرى، إلى الاختلافات اللغوية الثقافية بين الطرفين: أي الكنديين المتحدثين بالإنجليزية والكنديين الناطقين بالفرنسية. نقتصر هنا على ملاحظات عالمين

اجتماعيين كنديين مشهورين، وبعض الكتابات الأخرى التي تسلط الضوء على التعايش المتأزم بين كيباك وكندا.

يرى جون بورتر John Porter عالم الاجتماع الكندي الانجليزي أن كندا هي بلد منقسم مجموعتين بشريتين كبيرتين تتحدثان لغتين، وتمارسان تقاليد وعادات مختلفة مما يجعلهما تحافظان على درجة عالية من الاقصاء بعضهما لبعض(٣). ومن جهة أخرى، تتحدث وسائل الإعلام الكندية عما يسمّى «بظاهرة العزلتين Les Deux Solitudes »، بين الكنديين الفرنسيين والكنديين الإنجليزيين بمدينة منتريال على الخصوص. فسكان هذه المدينة يقرؤون صحفًا ومجلات مختلفة، كما أنهم لا يستمعون إلى المحطات الإذاعية نفسها، ولا يشاهدون القنوات التلفزيونية نفسها، ويبدو أنه حتى رجال الأعمال من الطرفين لا يأكلون في المطاعم نفسها. وهذا يعني أن للمجموعتين أقطاب انتماء ورؤى مختلفة.



ولاتقتصر ظاهرة العزلتين على مدينة منتريال فحسب، بل يمكن ملاحظتها عبر المجتمع الكندي بأكمله، وعلى مستويات متعددة. فعلى سبيل المثال، يصف عالم الاجتماع الكيباكي المعروف جي روشاي Guy Rocher ملامح تلك الظاهرة في خطابه الذي ألقاه في ٢٧ مايو/آيار ١٩٩٠ أمام زملائه بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين للجمعية الكندية لعلم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا فيقول: إنّ مؤتمرات الجمعية الكندية لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجيا تشير إلى الحضور الخفي لعلماء الاجتماع الكنديين الفرنسيين، ولاسيما المنحدرين من مقاطعة كيباك. وحتى نكون أكثر دقة فهي تشير إلى غيابهم الكبير. إن قراءة المرء لبرامج المؤتمر تجعله يستنتج أن علم الاجتماع الكيباكي يمر بفترة تدهور منذ عام ١٩٦٥م، بينما هو يتمتع في الحقيقة بعطاء فكري زاخر. وفي الواقع يمثّل الحضور القليل لعلماء الاجتماع الكيباكيين الفرنسيين شرخًا عميقًا. فالهوة بن علماء الاجتماع الكنديين الناطقين بالفرنسية، وخصوصًا الكيباكيين منهم هي في ازدياد. لقد وقع بناء جدار من الصمت بيننا يبدو وكأنه أقوى من جدار برلين وأطول عمرًا منه. لا يوجد انفصال بيننا ولكن يوجد عوضًا عن ذلك افتراق وابتعاد بعضنا عن بعض دون استفتاء(٤).

الازدواجية اللغوية والتحكم في ظاهرة العزلتين

وبناء على ماسبق فهناك حاجة ماسة إلى طرح سؤالين رئيسين في هذا الصدد:

ـ لماذا لا تسمح العوامل اللغوية والثقافية للهوية الكيباكيّة بأن تشعر مقاطعة كيباك تمامًا بأنها كندية

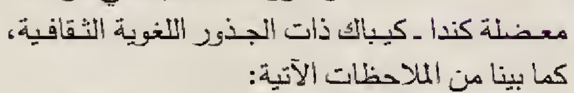
مثل بقية المقاطعات الأخرى؟.

- إلى أيّ مدى تستطيع تلك العوامل اللغوية والثقافية أن تعطي أهل كيباك الفرنسيين الدافع والعزم والحزم على مجابهة الحكومة المركزية الكندية ومطالبتها بتمكين كيباك من الحصول على حالة وضع خاص لها بين المقاطعات الأخرى أوبإعطائها الحق في نيل السيادة والاستقلال إذا صوتت أغلبية سكان مقاطعة كيباك لمصلحة ذلك ؟.

إنّ ملاحظات عالمي الاجتماع الكنديين بورتر وروشي وماعرف عن ظاهرة العزلتين تجيب كلها بما فيه الكفاية عن السؤال الأول. فظاهرة العزلتين تعود في المقام الأول إلى فقدان التواصل العادي بين أهل كيباك المتحدثين بالفرنسية ونظرائهم الكنديين الناطقين بالإنجليزية داخل مقاطعة كيباك، وفي بقية المقاطعات الكندية الإنجليزية الأخرى. ولتحسين التواصل بين المجموعتين الإنجليزية والفرنسية داخل كيباك، من جهة، وداخل المجتمع الكندي عموماً، من جهة أخرى، فإنه ينبغي السعي لجعل كلّ كندي يتقن - إلى حدّ ما - اللغتين الرسميتين للبلاد : الإنجليزية والفرنسية. إن كسب رهان هذا الصنف من الازدواجية اللغوية الصعب المنال جداً، ويتعذر تطبيقه لأسباب كثيرة ليس هنا مجال التفصيل فيها. ومما يزيد الطين بلّة هو أن الازدواجية اللغوية المثالية عند الأفراد والمجموعات لا تضع حداً بطريقة آلية لانحيازهم إلى هويتهم المحلية الخاصة التي تتأثر بالتنشئة الاجتماعية الأولى في الأسرة وبالعوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية السائدة في المحيط الذي ترعرع / يترعرع فيه الأفراد والمجموعات في المجتمع الكندي المترامي الأطراف، ومن ثمّ فليس بالأمر الهين، إن لم يكن مستحيلاً، القضاء على ظاهرة العزلتين بين هذين الصنفين من الكنديين. إن مايتطلبه الأمر هنا هو أن يتعلم الكنديون التعايش بحكمة تسمح لكندا بالمحافظة على وحدتها.

مفهوم الرموز الثقافية وفهم علاقة كيباك بكندا

أمّا بالنسبة إلى الإجابة عن السؤال الثاني فنحن نرى أننا نحتاج إلى فهم متعمق لطبيعة العوامل اللغوية والثقافية ومدى تأثيرها في هوية الأفراد والمجموعات البشرية. لقد ركزنا بحثنا منذ بداية التسعينيات في دراسة مانسميه بالرموز الثقافية، وهي تتمثل أساسًا في اللغة والعقيدة والفكر والمعرفة/ العلم والقيم والمعايير والقوانين والأساطير..(٥) واستنتجنا من ذلك منظوراً فكرياً يساعد كثيراً على إلقاء الضوء ليس فقط على حالة علاقة كندا بكيباك بل أيضًا على ازدياد مطالبات عدد من المجموعات والمجتمعات بحقوقها اللغوية والثقافية على المستوى العالمي. وتأتي مشروعية أهمية منظور الرموز الثقافية في دراسة معضلة كندا - كيباك ذات الجذور اللغوية الثقافية، كما بينا من الملاحظات الآتية:



بوشارد

- الرموز الثقافية هي تلك العناصر التي تميّز الجنس البشري بطريقة حاسمة من بقية الأجناس الأخرى. أي أن الجنس البشري ينفرد كمّا وكيفًا بهذه المجموعة من الرموز الثقافية.

- وهذا يعني أن تلك الرموز الثقافية هي في مركز هوية بني الإنسان ومن ثم فهي عناصر حاسمة جدًا في التشكيل والمحافظة على الهويات القوميّة عبر العالم وعبر الزمان والمكان.

- تتصف الرموز الثقافية بطول أمد الحياة الذي قد



يصل إلى نوع من الأزلية. وكمثال على ذلك هو ما تتصف به الأديان واللغات والأفكار من أمد طويل قد لايعرف نهاية.

ـ تتمتع الرموز الثقافية بقدرتها الضخمة على شحن طاقات بني الإنسان ودوافعهم بحيث يستطيعون تحقيق ماكان يبدو مستحيلاً. ففكرة الاستقلال وتطلعات شعوب العالم الثالث المعاصرة لكسب رهان سياداتها قادت الحركات القومية إلى المقاومة وشنّ الحروب المنتصرة، على الرغم من قلة العدة والسلاح على القوات العسكرية الغربية المحتلة والمدججة بالسلاح. وتمثل انتفاضتا الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي آخر أفضل مثال على قدرة طاقة الرموز الثقافية على المقاومة والانتصار في نهاية الأمر على الترسانة العسكرية الإسرائيلية.

ـ تقاوم الرموز الثقافية عموماً التغيير الاجتماعي السريع. وربما يعود ذلك، في جزء منه على الأقل، إلى مركزية الرموز الثقافية في هوية الأفراد والمجموعات والمجتمعات، كما ذكرنا سابقًا(٦).

التوتر الدائم بين كيباك وكندا

واعتماداً على تلك الخصائص الخمس لمنظورنا للرموز الثقافية، فإنه يمكن فهم أسباب التوترات والخلافات الباطنية والظاهرية التي عرفتها وتعرفها العلاقة بين كندا وكيباك، فمنظورنا يرى أن ظاهرة التوترات والخلافات بين الطرفين تعود من ناحية، إلى طبيعة طول أمد حياة الرموز الثقافية للهوية الكندية المزدوجة، ومن ناحية ثانية، إلى أن هويتي كندا تختلفان لغوياً وثقافيًا بعضهما عن بعض وكما قال بورتر، فإن الاختلاف في اللغة والثقافة بين الكنديين الناطقين بالإنجليزية ونظرائهم المتحدثين بالفرنسية في كيباك على الخصوص يجعل كلاً من الهويتين قادرة على إقصاء شبه كامل للأخرى. ومن وجهة هذه الرؤية، فإنه من الصعب تصوّر التعايش بين كندا وكيباك دون حدّ أدنى على الأقل، من التوتر المستمر.

نعتقد أن هذا التصور يمثل فكرياً رؤية جديدة حاسمة لفهم تاريخ علاقة كيباك بكندا والذي عرف ويعرف درجات مختلفة من الصراعات والتوترات في فترات زمنية معيّنة لعل من أشدّها صراعًا وتوترًا فترة السنوات الخمس والعشرين الماضية التي اقترنت بمجيء حزب انفصالي Le Parti Quebecois إلى سدّة الحكم أكثر من مرة وإجرائه أكثر من استفتاء للفوز بحق مقاطعة كيباك في الانفصال عن كندا وكسبها لرهان السيادة والاستقلال. إذن فوجود حدّ أدنى من التوتر على الأقل أمر لا مفر منه بين كندا وكيباك. أي أن التعايش في وطن واحد بين هويتين مختلفتين لغوياً وثقافيًا يجعل علاقتهما علاقة يغلب عليها التوتر والصراع. وهذا ماشهد ويشهد به تاريخ كيباك وكندا في الماضي والحاضر وما سوف ينتظره في المستقبل القريب والبعيد.


لاندري

بشائر الإستراتيجية اللغوية الثقافية

بناء على ماتقدّم فإن انفصال كيباك ووحدة كندا يرتبطان بدرجة التوتر والخلاف وقدرة الأطراف المعنية على التعامل معهما، فمن جهة بذلت الحكومة الفيدرالية والمقاطعات الإنجليزية جهوداً كبيرة للتخفيف من حدّة التوتر مع كيباك. فمنذ عهد حكم رئيس الوزراء الكندي بيار ترودو Pierre Trudeau عملت الحكومة الفيدرالية، بسبب كيباك على الخصوص، على نشر اللغة الفرنسية وجعلها اللغة الرسمية لكندا بحيث أصبح واجبًا على كل العاملين في مؤسسات الحكومة المركزية أن يعرفوا اللغتين

الرسميتين لكندا: الإنجليزية والفرنسية. ومن جهة ثانية، قامت المقاطعات الإنجليزية التي بها أقلية ناطقة بالفرنسية، بمساندة وتمويل مشروعات وبرامج الرفع من مستوى استعمال اللغة الفرنسية وثقافة الكنديين المتحدثين بهذه اللغة.

ويمكن الحديث عن أثرين لتلك السياسات اللغوية الثقافية :

ـ لقد فرح الكنديون الفرنسيون خارج مقاطعة كيباك بمثل تلك السياسات. إذ رأوا فيها علامة احترام لحقوقهم اللغوية الثقافية التي تجعل من انتمائهم إلى هويتهم الكندية الفرنسية أمراً طبيعياً يدعو إلى الافتخار لا إلى الاحتقار.

ـ إن سياسات الحكومة الفيدرالية والمقاطعات الانجليزية لمصلحة اللغة الفرنسية وثقافتها داخل كيباك وخارجها يتوقع أن تكون حافزاً لأغلبية سكان مقاطعة كيباك على المحافظة على الوحدة مع كندا. وبعبارة أخرى، فإن تلك السياسات تضعف من قدرة اللغة الفرنسية وثقافتها «كرموز ثقافية لكيباك» على دفع أغلبية سكان كيباك الناطقين بالفرنسية وتشجيعهم على المطالبة الصارخة بالحكم الذاتي والسيادة والاستقلال، ومن ثم تجعلهم مثل تلك السياسات اللغوية والثقافية أكثر استعداداً لدمج أنفسهم في النسيج الكندي الكبير، والشعور بالطمأنينة داخل الوحدة الكندية. إنّ إخفاق الحزب الانفصالي مرتين في كيباك على الفوز بأصوات أغلبية الناخبين في استفتاءين حول الانفصال عن كندا ينبغي تفسيره بأنه يعود في جزء منه على الأقل، إلى الإستراتيجية اللغوية الثقافية التي تبنتها و تتبناها الحكومة الفيدرالية والمقاطعة الإنجليزية.

فلا القيادة السياسية الانفصالية في كيباك ،ولا الحكومة المركزية تناديان باستعمال القوة في فرض الانفصال أو الوحدة. بل يتبنى كل منهما مبادئ الديمقراطية. فقد التزم الحزب الانفصالي في كيباك بقواعد الديمقراطية في الاستفتاءين المخفقين. فاستقالة بوشار تمثل اعترافًا ضمنيًا بأنه لا يستطيع تنظيم استفتاء ثالث لا ينتظر أن يفوز فيه بأغلبية أصوات الناخبين في مقاطعة كيباك.

وهكذا يتجلى في أن التوتر والصراع بين كندا وكيباك يمكن تفسيرهما في المقام الأول بعوامل لغوية وثقافية، وفي الوقت نفسه يبدو أن احتواء التوتر والنزاع وتخفيفهما بين الطرفين يحتاجان أيضًا إلى أرضية لغوية ثقافية. فكلما ازداد على وجه الخصوص تعلم كندا الإنجليزية للغة الفرنسية واستعمالها واحترامها لثقافة الكنديين الفرنسيين يشعر سكان مقاطعة كيباك باندماج أكثر في بوتقة الوحدة الكندية. ومن ثّم فالسياسات اللغوية والثقافية التي تقوم بها الحكومة الفيدرالية والمقاطعات الإنجليزية لمصلحة الكنديين الفرنسيين تمثل إستراتيجية حكيمة لإنهاء شعور كيباك الطويل بالعزلة داخل كندا الإنجليزية. إن كسب رهان الإستراتيجية اللغوية الثقافية بالمجتمع الكندي الكبير لمصلحة إدماج كيباك يجعل من الصعب تصوّر تصويت أغلبية الناخبين الكيباكيين لمصلحة الانفصال عن كندا.

المراجع والهوامش

1 - Ramonet. I.. Quebec et souverainete, Le Monde Diplomatigue, N 563, 48 eme annee, Fevrier 2001, p 1.

2- 14-15/1/2001

3- Porter. J(Canadian Character in the Twentieth Century); The Annals (March 1967) p.49.

وانظر أيضا جريدة: La Nation Pour inclue ou exclure 29/3/1991, p20-21 : Le Monde

٤- بعث لي الأستاذ روشي Rocher بنسخة من خطابه بعنوان:- Les Deux solitudes chez les sociologues canadiens) Le 27 mai 1990, 5p.

5- Dhaouadi, M., Toward Islamic Sociology of Cultural Symbols. A.S. Noordeen, Kuali Lumpur, 1996. pp228.

وانظر أيضا دراستنا: في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٥العدد ٣، يناير ـ مارس ١٩٩٧م، ص ٩ ـ ٤٣.

6 - Ogburn. W.F., On Culture and Social Change /O.D. Durcan (ed) chicago, University of chicago Press, 1964, pp86-95.

مركزية العنف في الحضارة الغربية

الشريف عبدالحفيظ

الناظور - المغرب

العنف وإدامته هما لغة الفرنجة مع الشعوب الأخرى، ومع الشعوب الإسلامية ومع الشعب العربي بأخص الخصوص مما يتطلب وضع هذه السمة في جوهر كل فهم للإمبريالية(١).



عرفت أواخر القرن الخامس عشر «وبالضبط عام ١٤٩٢»، حدثين بارزين غيرًا من مجريات التاريخ. ومن اتجاه سيرورة الأحداث: كان أولهما سقوط الأندلس، وتحديداً سقوط غرناطة، آخر معاقل المسلمين بالأندلس، وثانيهما سقوط أمريكا أو «اكتشاف» أمريكا تجاوزاً وزوراً. ويستمد هذان الحدثان أهميتهما من كونهما قد حوّلا مفاتيح قيادة الإنسانية من حضارة إلى أخرى، كانت الأولى هي الحضارة الإسلامية، والثانية هي حضارة الغرب. وسنقف عند الحدث الثاني مسلّطين عليه بعض الأضواء.

حركت أوربا خلال هذه الفترة دوافع كثيرة أججت فيها نوازع الشره والرفاه وتحقيق السعادة، مرتكزة أساساً على تلك المقولة اليونانية التي نقلها غارودي عن سفسطائيي أثينا: «الخير هو أن تكون لديك أقوى الرغبات، وأن تجد لها الوسائل كيفما كانت لإرضائها»(٢)، فكان أن تطلعت أوربا إلى الخارج خصوصاً بعد أن استطاعت اكتشاف الطرق المؤدية إلى أمريكا والاستغناء عن الطريق التي كانت تمر عبر العالم الإسلامي، فكان أن حفظ لنا التاريخ إبادة أهالي أمريكا «الهنود الحمر»، واستعباد أهالي أفريقية «الزنوج»، وقد تم استعباد عشرة ملايين إفريقي، ومقابل كل إفريقي وصل إلى

أمريكا هنالك عشرة من إخوانه لقوا حتفهم خلال هذه المرحلة، ويقدر عدد ضحايا الاستعباد بما لا يقل عن مئة مليون ضحية، كما أن سكان المكسيك كان يبلغ عددهم عند وصول الإسبان خمسة وعشرين مليوناً، وانخفض هذا الرقم بعد ثلاثين عاماً ليصل إلى مليون واحد. يضاف إلى ذلك المئات والآلوف وربما الملايين من الضحايا التي تكبدتها بلدان آسيا المختلفة»(٣).

كانت هذه بعض النتائج التي نتجت من «الاكتشافات الجغرافية/العلمية»، التي قامت بها أوربا، وهنا يمكن أن نسأل عن هذه الازدواجية في التعامل مع الآخر من طرف أوربا، فنرى إبادة الهنود في الوقت الذي تجلب فيه اليد العاملة من الأفارقة السود لخدمة الرجل الأبيض، وكان من الأولى - وذلك استفادة من نقص التكاليف التي تترتب على نقل الأفارقة - أن يُستغل السكان الأصليون «الهنود الحمر» في خدمته. إن ذلك يرجع إلى المفارقات القائمة بين الهنود الحمر والأفارقة. ذلك أن «الأفارقة السود بقوتهم العضلية وتفكك ثقافتهم كان يمكن أُستغلالهم لافتقادهم حقوقهم الإنسانية بينما كان الهنود الأمريكيون - بحقوقهم التاريخية - يشكلون جبهة ثقافية متكاملة يصعب معها امتصاصهم في النظام الجديد على الرغم من ضعف مناعتهم عن مقاومة كل الميكروبات التي حملها إليهم الأوربيون البيض إلى حد بعيد مما دفع بهم إلى إبادتهم بشكل كامل»(٤).

وهنا نقطة جديرة بالوقوف عندها، تلك المتعلقة بالفكر، فنجد أن فكر النهضة كان يقوم بعملية التعبئة. أو بصيغة أخرى كان المؤطر والمسوغ بل الحافز إلى ذلك النهب وتلك الإبادة التي كانت تعامل بها أوربا الشعوب الأخرى، وذلك في سبيل تعبئة البيت الداخلي الأوربي لتقبل مايقع واستساغته. وهنا نلاحظ تشابهًا واضحاً بين فكر النهضة والفكر الذي ينظِّر له بعض المفكرين الغربيين حديثًا، وذلك في إطار محاولة إقناع الشعوب الأخرى بمدى جدوى النظام الدولي الجديد وتأكيد أن الليبرالية «وذلك بعد اندحار المعسكر الشرقي» هي أرقى ماوصل إليه الفكر الإنساني، وما نظرية نهاية التاريخ إلا دليل على ذلك.

كانت هذه نبذة تاريخية من بدايات نهوض أوربا والتي تؤصل لنمط تعامل أوربا مع الشعوب الأخرى آنذاك وفيما بعد.

الاستهلاك وعلاقته بالعنف

تحكم الغرب عدة ثوابت يمكن أن نجد من بينها المادية(٥)، والعنف، والمركزية(٦)...

هذه الثوابت هي التي تحدد علاقة الغرب مع الذات ومع العالم الآخر. وسنركز حديثنا حول ثابت العنف وإدامته حسب تعبير الأستاذ منير شفيق. إن الثابت الذي يحكم الغرب مع الآخر هو ثابت العنف والنهب والإقصاء وهذا ما بدا لنا جلياً في تعامل أوربا مع الهنود الحمر والزنوج وغيرهم، ويمكن القول: «إنه من غير الممكن تصور حضارة الغرب قائمة وفاعلة ونامية بعيداً عن السيطرة على بقية أجزاء العالم وإخضاعها أو بعيداً عن مركزية استخدام العنف والقوة»(٧).

بقاء الحضارات وديمومتها رهينان بمدى صواب الأسس والثوابت التي بنيت عليها، ومدى توافقها وانسجامها مع حياة الإنسان، عنصر الحضارة الفاعل

إن الغرب كائن طفيلي، يعيش دائماً على الآخر، ولايكتفي بالعيش المسالم، بل يسعى دائماً إلى تدمير الأنساق الحضارية الأخرى، وتعطيل دورة نموها الداخلية أو إعاقتها»(٨)، ولايمكن فهم هذه النقطة إذا فصلناها عن واقع الاستهلاك الذي يعيشه الغرب. وهذا ماتدلنا عليه بعض الإحصاءات إذ إن ٣٠٪ من سكان العالم «البلاد المصنعة من أوربا والاتحاد السوفييتي وأمريكا الشمالية واليابان وأستراليا» تمتلك ٨٢٪ من الإنتاج العالمي، كما أن كل فرد من أمريكا يستهلك مايعادل مايستهلكه ٥٠ فرداً من هايتي.

لهذا نجد «أن الاقتصاد في الغرب لايكمل الثقافة، ولكنه يحل محلها من خلال امتصاصه لكل الأبعاد الأخرى. إن الحسابات النفعية ومنطق السوق يستطيعان أن يعوضا الفن والأحاسيس والمعتقدات بابتلاعها»(٩). وقد رأينا بروز ثقافة السوق(١٠)، وثقافة الاستهلاك، والإنسان الاقتصادي



تعرض الهنود للإبادة والاستغلال على يد البيض

وشيوع مصطلحات السوق، المردود، Homo Economicus والإنتاج بدلاً من القيم، والأخلاق، والمثل ... بل رأينا بدء الدولة القومية العلمانية المتمركزة بدورها في الانمحاء لكي تترك المجال تدريجياً للشركات المتعددة الجنسيات»(١١).

إن هذه المعطيات تفرض تضخماً كبيراً في الموارد والثروات، كما أن ازدياد حاجيات الإنسان الغربي يؤدي إلى تناقص مطرد لهذه الموارد، فكان لابد من استعمار للخارج يضمن وفرة هذه المواد، وقمع الشعوب الأخرى التي تتوفر على هذه المواد.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم سياسة أمريكا تجاه العراق خلال حرب الخليج حيث نجد بوش يصرح في يوم ١٥ أغسطس/آب ١٩٩١م: «قد تلقى مناصب النقل عندنا، ونمط حياتنا، وحرية البلدان الصديقة في العالم، صعوبات إذا صار أكبر احتياطي البترول في حوزة صدام حسين» (١٢)، كما يمكن أن نفهم سياسة الغرب تجاه مناطق أخرى من العالم.

النزوع نحو التسلح
مظهر من مظاهر العنف مع الآخر

يتحدث علماء البيئة عن معادلة رياضية بسيطة مضمونها: «أن تأثير النشاط الإنساني في الغلاف الجوي يساوي كمية الاستهلاك × التكنولوجيا× الساكنة، وبما أن العاملين الأولين يصعب خفضهما بسبب العقلية الليبرالية فإن المتغير الوحيد المرشح للتقليص هو العامل البشري»(١٣)، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن النمو الديمغرافي في أوربا وأمريكا سيصير ١٥٪ عام ٢٠٢٥م، بعد أن كان يشكل ٣٠٪، وإذا أخذنا في الحسبان ازدياد نسبة السكان في عالم الجنوب يمكن أن نفهم ذلك النزوع المتواصل نحو التسلح، والاستفراد بأكبر قوة من أجل رد أي محاولة للانفلات من «رحمة» الحضارة الغربية: «فإذا كان اللا توازن في هذه الحضارة هو ميزتها على مستوى الركض وراء التوسع والنهب والثروة والقوة المادية، فهناك لا توازن آخر تتسم به في داخل هذا الجانب، وهو التركيز في حشد القوى العسكرية.. ولا مبالغة إن قيل: «إن التطور العلمي والتقني في المجال العسكري وصل شأواً يقرب من الكمال، أين منه التطور في أي مجال آخر»(١٤). وهنا نورد بعض الإحصاءات المعبرة في هذا الصدد:

يقدر العلماء القوة النووية التي تملأ خزانات الغرب بأكثر

من مليون قنبلة من نوع هيروشيما التي خلفت ٧٠ ألف قتيل بمعنى أن هذه القوة النووية تمنح لنا إمكانية إبادة سبعين ملياراً من البشر بمعنى إمكانية تدمير ١٢ إلى ١٥ مرة النوع البشري مما يؤدي إلى وضع أربعة أطنان - كما يقول غارودي - من المتفجرات من النوع القديم على رأس كل إنسان. كما أن ٦٦٪ من العلماء العاملين في ميدان البحث العلمي - بحسب الدكتور المهدي المنجرة - ينشطون في ميدان الأسلحة، وهذه النسبة نفسها هي التي توجد على مستوى الميزانيات.



العنف من ثوابت الفكر الغربي

تلويث البيئة نتاج لظاهرة العنف مع الآخر

في الوقت الذي نجد في إطار المنظومة الإسلامية بعض المفكرين الذين يضيفون مقصداً آخر إلى مقاصد الشريعة التي وضعها الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، وهو مقصد كلية الكون، أو مقصد المحافظة على الكون(١٥)، وفي الوقت الذي نجد في الفقه الإسلامي كذلك مايسمى بحليم البئر وحليم الشجر ... نجد أن علاقة الغرب مع الطبيعة/ الكون علاقة صراع واستنزاف، هذه العلاقة التي تأتي نتاجاً لثابت العنف المتجذر في الحضارة الغربية.

يطرح ميشيل سيز المفكر الغربي، مثالا يفسر من خلاله علاقة الغرب مع الطبيعة حيث يقول: «لنتصور رجلاً يحمل طبقًا مملوءاً بالغذاء وأمامه جمهور غفير من الناس ينظرون إليه، ويريدون أن ينقضوا عليه ويقاسموه ذلك الطبق، إنه ولكي يبعد عنه هؤلاء الناس، يجب أن يبصق في ذلك الطبق فيزيل بذلك شهوة الناظرين إليه والمشتهين له. فكذلك الغرب إنه ولكي ينفرد بالتحكم في ثروات الطبيعة/ الكون وحده دون أي شريك، يلوثه فينفر بذلك النفوس عنه، وتقل حدة الانكباب عليه.

إن هذا التلوث للبيئة، يظهرلنا جليًا من خلال تلك المعطيات الواردة والإحصاءات المسجلة «فالكوارث البيئية لم تعد خافية، فمنذ ١٩٨٧م حصلت خمس عشرة كارثة مناخية أدت إلى خسائر تقدر في كل واحدة بأكثر من مليار دولار، وكانت السنوات الممتدة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٤م، الأكثر حرارة في التاريخ قد أحدثت ظواهر مقلقة: انفصال كتل جليدية ضخمة من القطبين ، تقلص المجالد السويسرية وفيضانات قياسية في كل من إيران والصين وباكستان وتسع ولايات أمريكية، موجات جفاف غير مسبوقة مصحوبة بحرائق مهولة، ويقضي اقتلاع الغابات والزراعة الصناعية، والاستعمال المفرط للمبيدات على نحو ٢٧ ألف نوع من الأحياء كل سنة، يعني ثلاثة أنواع كل سنة، وقد يؤدي هذا إلى القضاء على خمس التنوع البيولوجي خلال العشرين أو الأربعين سنة المقبلة»(١٦).

لهذا كله «فإنه أول مرة - كما يقول المهدي المنجرة - في تاريخ البشرية يستطيع الإنسان أن يدمر ذاته، ويدمر نوعه، إما بواسطة القوى التدميرية للأسلحة المتطورة، وإما بواسطة

الاختلالات البيئية للتصنيع السائب. إن التحولات البيئية التي حصلت خلال المائتي سنة الأخيرة: أي العصر الذهبي للثقافة والحضارة الغربيتين، وذلك منذ تحرير الطاقة انطلاقاً من المتحجرات قد أحدثت اهتزازاً أكثر من كل التحولات الأخرى منذ بداية الحياة على الأرض التي تعود إلى أكثر من أربعة ملايين سنة»(١٧).

إن الغرب يعيش دائماً على الآخر، ولايكتفي بالعيش المسالم، بل يسعى دائماً إلى تدمير الأنساق الحضارية الأخرى، وتعطيل دورة نموها الداخلية أو إعاقتها

خلاصات ونتائج

إن التاريخ مملوء بمغالطات كثيرة كشفت الأحداث عن حقائقها، واكتشاف أمريكا واحد من هذه الأحداث، فالملاحظ أن هذا الحدث يدرَّس في المقررات التعليمية على أنه اكتشاف عظيم قامت به أوربا، وأن كريستوف كولومبوس من المكتشفين العظماء والمشاهير، غير أن الثابت تاريخياً يشهد بعكس ذلك، ونحن لسنا ضد هذا الاكتشاف لو أنه جرى وفق الأساس والأهداف التي يرمي إليها العلم من تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته.

- إن بقاء الحضارات وديمومتها رهين بمدى صواب الأسس والثوابت التي بنيت عليها، ومدى توافقها وانسجامها مع حياة الإنسان، عنصر الحضارة الفاعل، وإن الناظر إلى الثوابت التي بنيت عليها الحضارة الغربية «وقد سبقت الإشارة إلى بعضها» يلمس هشاشتها مما ينبىء بمحدودية بقاء هذه الحضارة، وما صيحات النذر التي تنذر بانخرام حضارة الغرب ببعيدة.

- إن الاتجاه الذي ينحوه الغرب، خصوصاً في مجال التصنيع ينبىء بحدوث كوارث تمس جوهر حياة الإنسان، إن تدمير البيئة المشهود حالياً والذي يعدّ نتيجة طبيعية للاتجاه الذي سلكه التصنيع السائب يقدم لنا صورة للمستقبل التراجيدي والمأساوي الذي ينتظر الإنسانية في ظل الحضارة الغربية.

- إن الإسلام بمنهجه المتميز، الذي يتناول الإنسان والكون والحياة في شمولية وكلية فريدتين هو النموذج الوحيد والممكن الذي يرتفع إلى المستوى المطلوب، ويرشد خطا الإنسانية، وينمو بها النمو الصحيح، لو أُحسن فهمه وتطبيقه، لهذا يجب أن يؤخذ في الحسبان خصوصاً من طرف الفكر الاحتجاجي في الغرب، بل من طرف حضارة الغرب بأكملها التي عجزت عن أن تفهم الإسلام بسبب طبيعة العقل الغربي أحادي النظرة(١٨).

المراجع

١- الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، منير شفيق ، ص ٧٨، الزهراء للإعلام العربي الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
٢- هزيمة الإنسان أو الولادة الثقافية للإنسان المعاصر، مصطفى المرابط، ندوة العلم والثقافة أية علاقة؟ التي أقيمت بجامعة محمد الأول - بوجدة - المغرب.
٣- المركزية الغربية ونهاية التاريخ المنعطف، مصطفى المرابط العدد ٥، ص ٢٥، ١٩٩٢م.
٤- الرؤية الإبستمولوجية الامبريالية، عبدالوهاب المسيري - مجلة المنعطف العدد١٠، ص٥٣ - ١٩٩٥م.
٥- يقول شاريني: «إن المادية، أو بمعنى آخر، الاعتراف بالمادة أصبح ثابتاً من ثوابت الغرب» مصطفى المرابط: هزيمة الإنسان - مرجع سابق ص ٣٦.
٦- يقول المهدي المتجرة: «وهذه هي مشكلة الإنسان الغربي، إنه يرفض الاعتراف بالثقافات التي تخرج عن مركزيته، ويرفض أن ينظر إليها كما هي، ويصر على مجاوزتها بوسائل التدمير التي يتقنها»،موقع العالم الإسلامي من الدراسات المستقبلية. المنعطف، العدد ١٢- ص ٢٥- ١٩٩٦م.
٧- الغرب والحرب، منير شفيق - مجلة الإنسان، العدد ٤ - ص ٥٥.
٨- الآخر في منظور الفكر الغربي الحديث، حسن الضيقة - ص ٩ ،١٠.
9 - Serge Latouche: La planete des Noufragés p.72 la Decouverte, 1991
١٠- «سوق فعال لكنه لايملك عقلاً ولا قلباً» هكذا لخص P. Samuelson الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد خطورة منطق اقتصاد السوق على المجتمع.
١١- الرؤية الابستمولوجية، د. ع. و. المسيري .. مرجع سابق ص٥٧.
١٢- التنوع الثقافي مفتاح البقاء في المستقبل، المهدي المنجرة، المنعطف، العدد ١٠- ص ١٢- ١٩٩٥م.
١٣- التحولات العالمية الكبرى، رشيد أبو ثور - المنعطف العدد ١٢، ص ١٨- ١٩٩٦م.
١٤- الإسلام في معركة الحضارة، منير شفيق، دار البراق للنشر، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص ٣٨.
١٥- لمزيد من التفصيل يراجع كتاب الأمة العدد ٣٤: المنهج النبوي والتغيير الحضاري للأستاذ برغوث عبدالعزيز.
١٦- التحولات، رشيد أبو ثور، .. مرجع سابق ص ١٦.
١٧- الحرب الحضارية الأولى، المهدي المنجرة، ص٤٨- الطبعة الخامسة ١٩٩٤م.
١٨- يرى علي عزت بيكوفتش أن الغرب عجز عن أن يفهم الإسلام بسبب طبيعة العقل الأوربي أحادي النظرة، وبسبب قصور اللغات الأوربية عن استيعاب المصطلحات الإسلامية،الصلاة، الزكاة، الوضوء، الخلافة...
انظر علي عزت بيكوفتش : الإسلام بين الشرق والغرب، تم نشره من طرف مجلة النور الكويتية، ومؤسسة باقاريا الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

ثقافة الطفل العربي في عصر ما بعد العولمة

عبدالتواب يوسف
القاهرة - مصر

**هذه الدراسة تستهدف بحث وضع ثقافة الطفل العربي مستقبلاً، في عصر نستطيع أن نطلق عليه «ما بعد العولمة»، وهي تواصل، وتضيف إلى ما قبلها جديداً، بعد ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر / أيلول٢٠٠١م في أمريكا، وفيما مضى إصبعنا على الجرح الدامي، وطنياً وقومياً، ونظن أنه قد بات من الضروري أن نطرح سؤالاً:
هل من الممكن أن يكون ما حدث حداً فاصلاً بين ثقافة وأخرى؟**

ونحن نحاول هنا توضيح وجهة نظرنا في هذا الأمر، لأننا نؤمن بأن لكل شعب وكل أمة، وكل بلد، ثقافة خاصة، تتدفق من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل، ولا بأس من روافد تصب في هذا النهر، لتضيف إليه وتثريه، أما محاولات اقتلاع ثقافة ما، وإحلال أخرى مكانها، فأمر غير معقول ولا مقبول، ولقد حاول الاستعمار القديم وأخفق، كما حاولته معنا الكتلة الشرقية إبان الحرب الباردة، ولم تنجح في صبغ نهر ثقافتنا بلونها الأحمر، ونحن نرحب بالتأثر والتأثير دون خوف ولا قلق، فإن ثقافتنا عريقة، وعميقة الجذور، ويستحيل اقتلاعها، والعودة إلى «فتوة الحي» في أعمال نجيب محفوظ سوف تنير لنا الطريق لمعرفة ما سيحدث لأمريكا ومن معها، واللجوء إلى القوة واستعراضها دليل قاطع على بداية النهاية لمحاولتها فرض «العولمة» ثقافياً، ونحن نقر لها بالتفوق، وأن بيل جيتس بل أيضاً مايكل جاكسون قد جلبا دخلاً أكبر مما جلبته لها مصانع الطائرات، بيد أن لا حاجة بنا إلى تأكيد أن أدب أمريكا اللاتينية، بل أدب إفريقية، يتفوق على أدبها في السنوات الأخيرة، عندما يوازن بهذه الهزليات التي تصدرها للأطفال، وتصدِّرها إلى الخارج.

التحرر من الهيمنة

وهناك كثير من الأوراق والدراسات والبحوث في مجال ثقافة الأطفال على مستوى الوطن العربي، كما عقدت مؤتمرات وندوات وحلقات بحث، وصدرت كتب «فصول في ثقافة الطفل»، و «فصول في أدب الطفل»، و«فصول في حقوق الطفل»، لكننا اليوم على أبواب عصر جديد، يحتاج منا إلى استشراف المستقبل

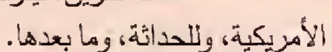
ويتيح لنا فرصة لإعادة النظر في قضايا ثقافة الأطفال، للتحرر من هذه الهيمنة التي حاولتها مؤسسات عالمية لتفرض على أبنائنا فكرًا بعينه، وثقافة لا نرتضيها لهم.

ونحن نأبى أن ندعهم عرضة لهذه التيارات الوافدة، وبما أننا لا نرفضها رفضًا كاملاً، فلا بد لهم أن يواكبوا ما يجري على الساحة العالمية، دون أن نغرقهم فيه. إن لدينا ثقافة وأدبًا يضاهيان ذلك الوافد، بل أزعم أنهما يتفوقان عليه بفضل عراقتهما وعمقهما، ولأنهما يتصلان بتاريخنا وماضينا وينميان الهوية القومية، والانتماء الوطني. ويكفي هنا الإشارة إلى ألف ليلة وليلة التي استقى منها الغرب مئات الأعمال، وكذلك كليلة ودمنة، ولدينا في فننا العربي في العمارة، والنحت والرسم، والزخرفة، ما يطاول الفن التشكيلي عالميًا، كما أن أغانينا وموسيقانا - ولاسيما الشعبية منها - تعد تراثًا فريدًا. وهذا معناه أن عناصر ثقافة الطفل الخاصة بنا قادرة على تحقيق كل رغباته واحتياجاته، إذا نحن تشبثنا بها ورعيناها، بجانب الإبداعات العربية المعاصرة، التي يجدر تشجيعها. وسوف يثمر كل ذلك ثقافة تسهم في بناء عقول أطفالنا ووجدانهم، بديلاً عما حاولته (العولمة) خلال نصف قرن من الزمان. وهي لم تكن بحق عولمة بقدر ما كانت (أمر ملحة)، لأن الإنسانية ترفض هيمنة ثقافة تحاول اقتلاع الثقافات الأخرى بالقوة، والعنف، والحرب. ونحن على يقين من إخفاق هذه الأساليب، فقد توالى سقوط الإمبراطوريات التي حاولت ذلك. لقد شاخت، وماتت، ولم يبق من آثارها غير ثقافتها.

«هزليات» الكتابة للطفل في مواجهة أدبه الحقيقي

ليست لدينا أدنى رغبة في التهويل أو التهوين من شأن ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر / أيلول عام ٢٠٠١م، لكننا نراه إيذانًا ببدء عصر جديد، فقد انهارت «العولمة» - فيما نرى - بانهيار التوأمين لمركز التجارة العالمي في نيويورك - وقد بدأت - كما نعتقد - مع انفجار قنبلتي هيروشيما وناجازاكي ونهاية الحرب العالمية الثانية وبزوغ نجم أمريكا، وصدور كتاب «وندل ويلكلي» الشهير: «عالم واحد» مرورًا بمقولة.. ماكولهان المعروفة عن أن عالمنا قد أصبح قرية إلكترونية صغيرة، وصولاً إلى قطب واحد في هذا العالم بعد انتهاء الاتحاد السوفييتي. وبعد الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، ظهر قطب ثان، يطلقون عليه الإرهاب أمطروه بالقنابل والمتفجرات والصواريخ.

نحن - إذن - مع صفحة جديدة في تاريخ العالم



نجيب محفوظ

لقد كانت على أيام العولمة محاولة دؤوب للهيمنة على ثقافة العالم، لقيت مقاومة مستميتة من شتى أرجاء الدنيا، وكان أصحاب القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية يظنون أن بمقدورهم السيطرة على ثقافة العالم، لكنهم آثروا الانسحاب من منظمة اليونسكو، عندما شعروا أن هناك معارضة شديدة لمحاولاتهم المستمرة، ظنًا منهم أن المنظمة ستنهار، وسوف يسعى إليها الجميع صاغرين، ليركعوا أمام «الثقافة» الأمريكية، وللحداثة، وما بعدها.

غير أن الذي حدث هو النقيض، إذ تبنى العالم سياسة تعدد الثقافات، وتنوعها، وظهر ذلك جليًا في مؤتمر «قوة الثقافة» الذي عقد في استوكهولم في عام ١٩٩٨م. وليس هناك مجال أوضح للرغبة في الهيمنة الثقافية من ميدان ثقافة الأطفال، وقد صالت فيه أمريكا وجالت بمبتكراتها على الشاشتين الكبيرة والصغيرة، فظهر «ميكي» وبقية شخصيات والتي ديزني، ثم «السوبرمان» وتوابعه، «باتمان» و«سبيدرمان».. إلخ، وظهرت «النينجا» تلك السلاحف التي تعيش في مجاري الصرف الصحي وتحمل أسماء، «دافنشي»، و«رافييل»، و«مايكل أنجلو»، و«دوناتيلو» أعظم فناني العالم وأخلدهم وأخيرًا جاء «هاري بوتر»

بسحره، وخزعبلاته، وكل ذلك من أجل أن يغزو العقول الصغيرة النامية، عن طريق شركات تجارية ضخمة، تسلبنا أموالنا، وعقول أبنائنا. ولسنا نذكر أن هناك أدبًا أمريكيًا رفيع المستوى، يتوفر على قراءته أبناء الأمريكيين، لكنهم لا يحاولون أن يصلونا به، أو يوصلوه إلينا، بينما جاءتنا أنهار من كتب ومجلات، نزيح من طريقها كل ما هو وطني وقومي، ولم يكن من السهل مقاومة تياراتها، ويكفي أن دارًا واحدة للنشر تصدر سبع مجلات أمريكية، بمعدل مجلة يوميًا، كلها سيناريوهات مرسومة بطريقة «الكوميكس»، وتلك الشرائط المتتابعة، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وذلك على حد تعبير إحدى مجلاتهم الدراسية إذ تقول: نحن نسعى بها في صراحة إلى «أمركة العالم»، إذ يصدر منها في البلاد النامية ٤٠٠ مليون نسخة سنويًا.

وقد ازدحمت أرفف المكتبات بما سموه (حرب النجوم)، وبما وصفوه بأنه (خيال علمي)، وهو خيال مريض لا يمت إلى العلم بصلة. وتدفقت الكتب والكتابات الفاسدة التي لا علاقة لها بالأدب أو الفن أو العلم، وهي مثيرة كلها، تجتذب إليها الأطفال، فيقبلون عليها، ويجني ناقلوها أرباحًا طائلة منها على حساب عقول أولادنا. كذلك فإن «العولمة» التي استهدفوها لم تكن تعني الحاضر فحسب، بل كانوا يتطلعون إلى المستقبل، متمثلاً بهؤلاء الذين سمَّمت أفكارهم وأذهانهم بهذا العنف الوافد علينا، دون مراعاة للاحتياجات الخاصة بأبنائنا. وكان بعضنا يحمل سلاحه على كتفه، ويقاتل من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، والانتماء القومي، والذاتية الخاصة بأحفاد أصحاب الحضارات القديمة في مصر، وبابل وآشور، وسبأ ومأرب، وفينيقيا، وأصحاب الحضارة الإسلامية العربية الزاهرة ونسأل: هل من فارق بين «ألمانيا فوق الجميع» والعولمة الجديدة؟


أحمد شوقي

ثقافة الطفل الأمريكي تهيمن على ثقافة الطفل عالميًا

ولقد حاولت أمريكا من خلال أجهزة الإعلام المتقدمة، والمتفوقة فرض هيمنتها على العالم، تريد أن تنقل إليه فلسفتها المرتكزة على «جون ديوي» و«البراجماتيكية» إلى حد أن رئيس وزراء سابق في كندا يقول:

ـ إننا إزاء أمريكا كرجل ينام في فراش واحد مع فيل! ويروح ذلك السياسي المرموق يعدد مجالات تجعل من أسلوب الحياة الأمريكية نمطًا سائدًا بين الأطفال والشباب. ويتحدث عن مجلة «ريدرز دايجست» التي توزع في كندا تسعة ملايين نسخة بينما تغلق المجلات الكندية أبوابها بعد صدور بضعة أعداد منها وتحاول جعل أطفال كندا في سن ما قبل المدرسة مدمنين لبرنامج «افتح يا سمسم»، ولا يولون برامجهم الكندية اهتمامًا. وإذا كان هذا يحدث مع مجتمع متقدم مثل مجتمع كندا، فإلى أي حد ترى يؤثر الأمريكيون في أطفال البلاد النامية؟

في كل بلد متقدم نلمح بصمات فيلسوف من أبنائه على أبنائه، نلمح أثر فلسفة «نيتشة» في أطفال ألمانيا، وفلسفة «ديكارت» في أبناء فرنسا، وأفكار «فرانسيس بيكون» في الصغار في إنجلترا، ويبدو تأثير ميكارينكو في الروس.. هذا ونحن في الوطن العربي نسعى لكي يتخذ أطفالنا من محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه قدوة ومثلاً أعلى، وتأبى أمريكا إلا أن تعمل على إشاعة فلسفتها الخاصة المبنية على الأفكار النفعية، والعملية، والاستثمارية، وبغض النظر عن القيم السائدة، والعادات المستقرة، وهي لا تفعل ذلك عن طريق وسائل الإعلام ووسائط الثقافة فحسب، بل هي أيضًا تلجأ إلى أساليب الحياة ذاتها، وتشيع ألوانًا من طعامها السريع ـ والمثال الواضح هو «دجاج كنتاكي»، و«همبورجر ما كدونالدز»، وفطائر بيتزاهت ـ المتميز ـ

الكوكاكولا والبيبسي كولا ـ وما إلى ذلك إلى الحد الذي أقلع فيه الأطفال عن تناول الطحال الوطني والقومي الذي عاش عليه الآباء والأجداد، وذلك من خلال تلك المجلات التي تحتل أهم الأماكن في المدن الكبيرة، وهي تخطف الأبصار وتجتذب الجمهور وعن طريق أناقتها وأضوائها وموسيقاها وهداياها، وخدماتها المميزة، ومحاولتها المستميتة لجذب الأطفال على وجه الخصوص، ولجعل طعامها قريبًا إليهم بألوان من البهارات إلى أن يدمنوها، دون أن نعرف شيئًا، عما تتضمنه تلك الوصفة «السرية» التي يحتفظون بها لأنفسهم، ويقولون: إنها محفوظة في خزائن أكبر بنوكهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو:

ـ كيف يستطيع الأطفال ـ في سنهم الغضة وعمرهم الصغير وتجربتهم المتواضعة ـ مقاومة كل هذه الإغراءات التي تقدمها أمريكا؟ كيف يتخلصون من تأثير أفلام «والتي ديزني» و«الكارتون» الذي يتدفق عليهم من خلال الشاشات الصغيرة والفضائيات؟ كيف يتأتى لهم أن ينتموا وطنيًا، وأن يكونوا موالين لقومهم، وأهلهم وتاريخهم؟

«الجينز» أصبح هو أكثر الملابس اجتذاباً للكبار وللأطفال، ولست أنسى وأنا في زيارة أحد مصانعه سألت المسؤول الذي كان يرافقنا عن المنافسة التي تدور بين «ليفاي» و«لي»، فابتسم وقال:

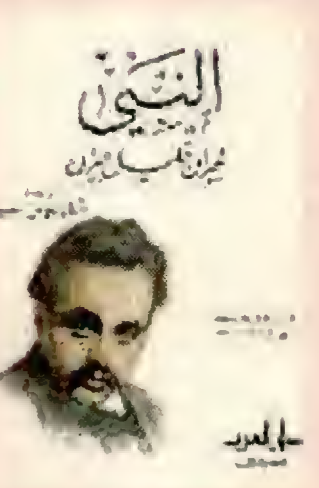
ـ أنت هنا في مصنع «ليفاي» الذي ينتج نوعًا غاليًا، يشتريه القادرون، وفي «لي» ينتجون نوعًا رخيصاً وشعبياً ـ ونحن نكسب كثيراً من بيع القليل الغالي، ونكسب كثيراً أيضًا من بيع الرخيص؛ إننا شركة واحدة، لنا مجلس إدارة واحد، وما من منافسة بيننا.

ودار رأسي لهذه البراجماتيكية التي تسيطر على كل شيء: الطعام، والثياب، والشراب، ترى هل من سبيل إلى الإفلات منها؟ الجواب: نعم.

لعب الأطفال وسيلة للسيطرة والهيمنة

وتعالوا بنا إلى لعب الأطفال:

ودَّع أطفالنا ألعابنا الشعبية، وما يصاحبها من أغان حلوة، صالحة لبيئتنا، نسوا «عم جمال» وأيضاً «بابا جاي امتى؟» و«عنكب، نط واركب» و«علي عليوة، ضرب الزميرة، ضربها حربي، رنت في قلبي».. وقد حاولت في سلسلة قصصية تحمل عنوان «غنوة وحدوتة» أن أعيدهم إليها، وأنى لي أن أحقق ذلك وهناك «همبتي دامبتي» وأشباهها، كذلك ما عادت العروسة المصنوعة من الثياب القديمة، والكرة ترضي أبناءنا، وحلت محل العروسة «باربي» العارية، والتي تصنع ثياباً تكشف أكثر مما تخفي، وهي الأثيرة المفضلة لدى أطفالنا من البنات، كما أصبح «المترليوزات» ذات الأصوات العالية هي المرغوبة من جانب البنين، وهي تصدر مع طلقاتها أضواء جذابة. لقد بحت أصواتنا وهي تنادي بضرورة أن نباعد بين صغارنا وهذا العبث، ولكن راحت نداءاتنا أدراج الرياح، ورحنا ندرب الصغار على العنف منذ نعومة أظفارهم، وأصبح من الصعب علينا أن ننتزع هذه اللعب من بين أيديهم، وقائمة لعبهم طويلة، ولا يمكن مجرد حصرها، ولا منعهم من اللعب بها.



جبران خليل جبران

وقد اتبع الأمريكيون أساليب فريدة في تسويقها وبيعها، وأذكر لقاء بين جدين في محل لبيع اللعب جرى بينهما الحوار الآتي:

ـ مصادفة سعيدة أن نلتقي.

ـ من قال: إنها مصادفة؟ أنت هنا لتشتري لعبة كذا لحفيدك الصغير؟

ـ نعم، كيف عرفت؟

ـ لأني جئت لأشتري لحفيدي اللعبة نفسها.

ـ غريبة؟

ـ ما من غرابة في الأمر، لقد جمعونا قسراً، فقد درسوا أسواق الأطفال فوجدوا أنها تهبط كثيراً بعد عيد

الميلاد، ورأس السنة الجديدة، فقرروا زيادتها من خلال الإعلان عن لعبة لطيفة تجتذب الأطفال، فيسألون ذويهم أن يشتروها لهم، أما نحن فنعدهم بذلك، وحين نمضي لشرائها نجدها قد نفدت؛ لأن أعداداً قليلة منها عرضت في الأسواق، فنشتري لهم أي لعبة، وبعد أن تنتهي أيام الأعياد، تأتي مرة أخرى لكي نحقق لهم ما وعدنا به. ألم أقل لك: إنهم أتوا بنا قسراً؟

هذا هو أسلوب تعاملهم في مجال لعب الأطفال، إنهم يلعبون ويعبثون بنا، وعن طريق اللعب اللامعة البراقة التي تغني وترقص وتتحرك بالبطاريات استطاعوا أن يبهروا الصغار، ولو أننا تمعنا قليلاً في أنماط اللعب الخاصة بالأطفال التي تصل إلينا من الغرب، لأدهشتنا الفلسفة التي تقوم عليها، وفي مقدمتها المدافع والرشاشات، ومسدسات رعاة البقر وثيابهم، وذلك للأولاد، أما للبنات فإن العروسة «باربي» نموذج جلي واضح، على ما يرغبون في بثه



الرجل العنكبوت «سبيدرمان»

في نفس الأطفال بنين وبنات، إنها لعب تقوم على غرس نزعات عدوانية لدى الأولاد، وتربية البنات، على العري وتغيير الثياب، وخلق فتيات مستهلكات، لا هم لهن غير المظهر، أما الجوهر في هذه اللعب فهو إبراز الرغبة في الامتلاك والاقتناء والفردية، وقلما نجد بين هذه اللعب ما ينمي المشاركة أو اللعب الجماعية. إنها في جملتها لعب تنافسية، يرغب من يلعب بها في تحقيق التفوق وحده، والانتصار على الآخرين.

نظرة إلى لعبنا وألعابنا الشعبية تجعلنا على يقين من أن فلسفتها - على بساطتها - تكمن في اعتمادها على خامات البيئة، ولا تخلق بين المشاركين فيها أي لون من العداء، ولا تستخدم فيه الأسلحة، بل تبرز فيها روح الجماعة.

ما العمل إزاء عالمية ثقافة الطفل الوحيدة؟

الحبر والجهد اللذان بذلا في التعريف بالعولمة، والاعتراف بها، أو إنكارها، وقبولها أو رفضها، كانا كفيلين بإحداث تيار رأي عام تنويري، قادر على أن يأخذ بأيدينا إلى طريق سويّ إذ إن إلغاء «التنوع الثقافي» جريمة، لن نرتكبها قط، عمداً مع سبق الإصرار، وأصحاب الثقافات العريقة يأبون أن تهب عليهم رياح مسمومة، تريد أن تقتلع التراث من جذوره، من أجل إحلال ثقافة ميكي روني، وميكي ماوس، وسوبرمان، والوطواط، والنينجا، وحرب الفضاء، وهاري بوتر، محل إيلايس، وأوزوريس، والسندباد، وعلي بابا، وعلاء الدين، وأبي زيد الهلالي، والأميرة ذات الهمة، وعلي الزيبق، بجانب أبطال حكاياتهم، كالأساطير، مثل أحمس، وتحتمس، وفرعون موسى، وصلاح الدين، والظاهر بيبرس وقطز، وغيرهم..

قال لي أستاذ جامعي أمريكي:

- أتحب أن تزور متحفاً ضخماً أقمناه لأسلافنا؟
- قلت في دهشة: أسلافكم؟ من يكونون؟
- أجاب: الهنود الحمر.
- عقبت في ذهول «أبدتموهم وأقمتم لهم متحفاً؟»
- قال: نعم: لعلنا نكفر به عما فعلنا بهم.



ديزني لاند

- وعندما وصلنا إلى منتصف المتحف سألني:

لقد عرفوا الرعي والزراعة، كما عرفوا الصناعة والتجارة، ولكن لماذا لم يقيموا حضارة مثل حضارتكم؟ تمهلت في الرد، وقلت ربما لأنهم لم يعرفوا القراءة والكتابة! وعند خروجنا، رأينا لوحة تحمل عنوان: ماذا عرفوا وماذا لم يعرفوا كانت كل الفقرات تحمل إجابة: نعم، إلا أن الفقرة العشرين الخاصة بالقراءة والكتابة كانت: لا، عقب الصديق:

- كان لابد أن يأتينا إنسان صاحب حضارة عريقة ليكشف السر في عدم قدرتهم على الوصول إلى حضارة حقيقية.

- ولقد كان بمقدوري أن أقلب الصفحات، وأنقل عن الأستاذ سيد يس وآخرين ما كتبوه عن العولمة، لكنني آثرت أن أسجل تجربتي الخاصة في لقاءاتي بالأمريكيين، وهي تمتد إلى عشرين عاماً مضت، قضيت خلالها ما يزيد على العام، على فترات متباعدة، وكنت باستمرار وبإصرار محافظاً على هويتي إزاءهم، مصرياً عربياً مسلماً، رافضاً أن «أتأمرك»؛ لأن في ذلك مؤامرة، وجريمة في حق نفسي، وحق أجدادي وأحفادي، ولم أنكر أو أتنكر في الوقت نفسه، لما أضافوه من أدب وفن وعلم وتكنولوجيا.

- وسلسلة «حكايات مصري في أمريكا»، الصادرة عن دار الشعب، تكشف عن لون من «الصدام» الحميد، السلاح فيه لم يتجاوز قط الحوار والكلمات، وقد وجدت في مكتبة واحد منهم كتاب «النبي» لجبران خليل جبران، فسألته وأنا أرفع الكتاب عالياً:

- ما رأيك في هذا الكتاب؟

- إنه في مكتبتي منذ ثلاثين عاماً، ولم أقرأه.

- قلت: كم خسرت..

- ووضعت الكتاب على مكتبه، ولم ينم إلا بعد أن قرأه، ومع الصباح جاءني يهتف:

- يا لروعة هذا الكتاب هل مؤلفه مصري؟

- لا، ولكنه عربي.

- إني منبهر به.

- أنتم بحاجة إلى مثل هذه الكتابات، لتتوازنوا، مادياً وروحياً.

- وظللت أحدثه ساعة عن جبران، وميخائيل نعيمة، وأحمد زكي أبو شادي، وأدب المهجر، وفي النهاية قال:

يبدو أننا مخطئون في محاولتنا فرض ماديتنا، وأننا نرتكب الخطأ نفسه الذي حاوله الماديون الجدليون والملحدون.

أطفالنا ولغتنا الجميلة

حاول الغرب أن يباعد بين أطفالنا ولغتهم العريقة، وقد عرفنا محاولة في المغرب العربي، والمشرق أيضاً، وذلك من خلال مدارسه الأجنبية، وجامعاته، التي يزرعها في بلادنا، وله محاولات لكتابة لغتنا بحروفه، كما حدث في تركيا، كما أنه يبذل جهوده لمشايعة اللغة العامية، وترسيخها في أقطارنا، حتى لا تقوم بيننا لغة فصحى مشتركة، وتبذل في شتى بلادنا محاولات جادة للوقوف في وجه طوفان الكلمات الأجنبية والغربية التي تدخل في أحاديث أطفالنا وكتاباتهم، وتصدى كثيرون لتلك الهجمات الشرسة ومنهم «جمعية لسان العرب»، التي يرأسها الدكتور عاطف نصار، والتي عقدت مؤتمرها السنوي التاسع بمقر جامعة الدول العربية، كما قامت «جمعية حماة اللغة العربية» برئاسة الدكتور كمال بشر، وأعضاء هذه الجماعات يقومون بجانب المجمع اللغوي بدور كبير مع وزارات التربية لكي يعيدوا اللغة الفصحى إلى ألسنتهم وأقلامهم.

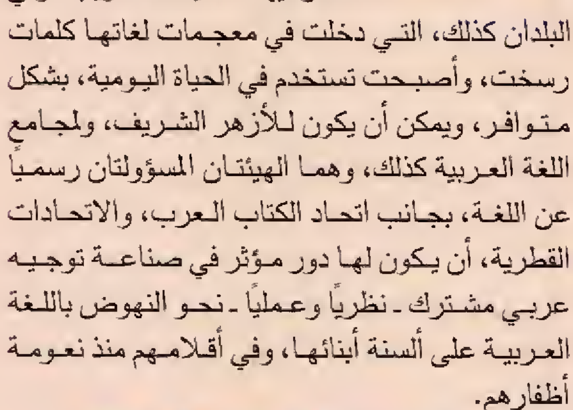


بيل جيتس

وقامت في دمشق دار للحضانة ورياض الأطفال لا تستخدم فيها إلا الفصحى في مخاطبة الأعمار الصغيرة.

وصاحب التجربة هو الدكتور عبدالله الدنان، وهي تظفر برعاية كثيرين يتحمسون لها، على رأسهم الأمير خالد الفيصل، الذي عمم هذه التجربة في منطقة عسير بالسعودية، ومن جانبنا نحاول مع أجهزة الإعلام أن يكون تقديم برامج الأطفال باللغة الفصحى، ونضع هذا الشرط في المسابقات التي تجرى بين هذه البرامج، كما نشجع الفصحى في المسرح وفي سينما الأطفال، وقد صدرت مؤخراً سلسلتان تحملان عنوان: «لغتنا الجميلة»: الأولى عن «الحروف الضاحكة»، وهي قصص درامي، يقرب هذه الحروف للأطفال، ويدربهم على حسن نطقها، والثانية «حكايات نحوية» تحكي للأبناء قصص الدؤلي وسيبويه والخليل بن أحمد، وتحكي عن ألفية ابن مالك، وتنبه على أهمية المعجمات التي تشرح معاني الكلمات، وتدرب الأبناء على الرجوع إليها، سبيلاً لزيادة الرصيد اللغوي للأطفال، إذ كشفت الأبحاث والدراسات أن أطفالنا أضعف كثيراً من أطفال الغرب في حصيلتهم اللغوية، كما أنهم لا يحسنون التعبير عن أنفسهم: شفاهيا وكتابة، وهو أمر لابد من تلافيه وتفاديه. وقد ثبت من وراء ذلك أن حصيلة أطفالنا اللغوية لا تتجاوز ثلث حصيلة الأطفال في الغرب، وذلك لأننا لا نربيهم على القراءة الجهرية والمطالعة، وعلى إلقاء الخطب، وأداء الأدوار التمثيلية، ومحاولة كتابة الشعر.

إن تقوية لغة أطفالنا مسؤولية كبرى تقع على عاتق وزارات التعليم من جانب، والمؤسسات الثقافية الأخرى العاملة في مجال أدب الأطفال، وثقافتهم من جانب آخر، خصوصاً في الأقطار التي تتعثر فيها عمليات التعريب، وفي البلدان كذلك، التي دخلت في معجمات لغاتها كلمات رسخت، وأصبحت تستخدم في الحياة اليومية، بشكل متوافر، ويمكن أن يكون للأزهر الشريف، ولمجامع اللغة العربية كذلك، وهما الهيئتان المسؤولتان رسمياً عن اللغة، بجانب اتحاد الكتاب العرب، والاتحادات القطرية، أن يكون لها دور مؤثر في صناعة توجيه عربي مشترك ـ نظرياً وعملياً ـ نحو النهوض باللغة العربية على ألسنة أبنائها، وفي أقلامهم منذ نعومة أظفارهم.



الهيئات العاملة في مجال ثقافة الطفل على مستوى الوطن العربي

وهناك عدة هيئات، منوط بها العمل في مجال ثقافة الطفل العربي، وعلى عاتقها يقع عبء النهوض بها، والتنسيق في ذلك بين أقطار الوطن الكبير، وهي:

أولاً: المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم:

وكان لها - حين كانت مجرد إدارة بالجامعة العربية - فضل عقد ندوة الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربي في بيروت في سبتمبر/أيلول عام ١٩٧٠م، وكانت المنطلق الأول الذي أشاع الفكرة، وتحمس لها كثيرون، وقد رسمت من خلال مجلد ضخم إستراتيجية خاصة بالطفولة المبكرة، كما حاولت أن تضع إستراتيجية لثقافة الطفل العربي، وبذلت جهوداً لم تكتمل لوضع معجم لهذا الطفل، وكانت لها عدة جوائز لتشجيع أدب الأطفال، توقفت - فيما أعلم - منذ بداية التسعينيات، ولها جهود أخرى متباعدة ومتناثرة، لكنها جيدة ومؤثرة.

ثانياً: المجلس العربي للطفولة والتنمية:

وهو مؤسسة غير حكومية، قام مع التسعينيات من القرن الماضي، وبدأ نشاطه بأن أقام ندوة ثقافة الطفل العربي، التي شارك فيها كثيرون من شتى أقطارنا، ومن خلالها نشر مجلداً ضخماً قام فيه بعمل مسح لما يجري في مجالات الكتب والمجلات، والإذاعة والتلفاز، والمسرح والسينما، بجانب مجلد آخر، حاول فيه، أن يعرض للمؤتمرات والندوات وحلقات البحث كافة، التي عقدت من أجل ثقافة الطفل. وللمجلس مشروعات كثيرة أحدثت صدى طيباً، من بينها محاولة ابتكار شخصية كارتونية عربية، كما أنه بصدد مجلة بحوث دراسية، ومجلة فصلية حول طفل ما قبل المدرسة، وله كذلك اهتمامات كبيرة بأطفال الشوارع، وما إلى ذلك.. وهي محاولات رائدة من جانب النشاط الأهلي، الذي لا يعتمد على العمل الحكومي الرسمي، وينطلق في حرية ليؤدي دوره ورسالته.

ثالثاً: إدارة الطفولة في الجامعة العربية:

وهي تولي الثقافة اهتماماً، وتحتفل سنوياً بيوم الطفل العربي. وقد أصدرت قائمة بأسماء كتاب الأطفال العرب، وتحاول تصنيع عروسة بسمات عربية. ولأنها مؤسسة تعمل مع الحكومات، شأنها في ذلك شأن الجامعة مازالت تشق طريقها في صعوبة.

رابعاً: اتحاد الفنانين العرب:

ومقره القاهرة، ويقتصر دوره على إقامة المهرجان الدولي السنوي لأفلام سينما الأطفال، وعلى هامشه تعقد عدة ندوات لمناقشة قضايا الطفل العربي.

خامساً: اتحاد الإذاعة والتليفزيون:

ومقره تونس، ويقيم مسابقة لبرامج الأطفال في الإذاعة والتلفاز، بهدف الارتقاء بهذه البرامج، ويتبعه معهد للتدريب يعقد بعض الدورات التي يخصصها لمن يعمل في هذا المجال، ومقره في سورية، ويقيم اتحاد الإذاعة والتلفزيون (في مصر) مهرجاناً سنوياً، يتضمن مسابقة في مجال تخصصه، ويتضمن المهرجان: أغنيات الطفل، ودراما الطفل، وأفلام التحريك، والبرامج الخاصة به.

> ليس هناك مجال أوضح للرغبة في الهيمنة الثقافية من ميدان ثقافة الأطفال، وقد صالت فيه أمريكا وجالت بمبتكراتها على الشاشتين الكبيرة والصغيرة، فظهر «ميكي» وبقية شخصيات والتي ديزني، ثم «السوبرمان» وتوابعه؛ «باتمان» و«سبيدرمان».. إلخ

ومما لا شك فيه أن هناك عشرات من المؤسسات والهيئات والجمعيات التي تعمل في مجال الطفل، وثقافته، ويكفي أن نشير إلى أن عددها في مصر وحدها (٢٧) هيئة، وكلها تحاول أن تبذل جهداً عربياً، من بينها مثلاً قطاع الطلائع في وزارة الشباب، وكان له معسكر عربي للأطفال، وأيضاً المركز القومي للطفل، وجمعية الثقافة والفنون، وهي تقيم مهرجاناً سنوياً للأغنية. وفي الكويت هناك الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، كما أن اللجان الوطنية والقومية اليونسكو تسهم في هذا المجال، وكان معرض القاهرة الدولي لكتب الأطفال يقيم ندوات على مستوى الوطن العربي، يناقش من خلالها مركز تنمية الكتب ما يحيط به من مشكلات، ويحاول النهوض بكتب الأطفال على

مستوى الوطن العربي، وقد قامت معارض شبيهة به في بعض الأقطار.

على أن هذه الجهود تحتاج إلى من يقودها وينسق بينها لكي تكون أكبر أثراً وأنشط عملاً.

عناصر بانية ومؤثرة في ثقافة أطفالنا

وتشكل ثقافة الطفل من خلال مؤسسات أربع، نحاول الإشارة إليها وإلى دور كل منها، وفي مقدمتها بالطبع: الأسرة، التي يجب أن تكون أصلاً متفقة، لا تعاني الأهمية: أمًا وأبًا، ومن شأن الطفل أن يتأثر بها وراثة للجينات، وفي فترة الرضاعة والحضانة تأثراً كبيراً، ثم يبدأ الدور الكبير الذي تنهض به رياض الأطفال، وبعدها المدرسة التي يقضي الطفل بها ثلث يومه، والنهوض بالعملية التعليمية أساس من أسس الثقافة، التي تُبنى على قاعدة معرفية، في عصر المعلوماتية، فنحن نعاني مدرسة التلقين كما أننا لم نتحرك بقدر كاف نحو تلك الأساليب التي تعلم الطفل البحث والدراسة، والتعامل مع الكتب المرجعية من دوائر للمعارف، ومعجمات، وأطالس، وأيضاً الإنترنت، وتعليمنا في حاجة ماسة وعاجلة إلى المراجعة، ثم يأتي دور المؤسسة الثالثة: أجهزة الإعلام ووسائط الثقافة، من إذاعة مرئية ومسموعة، وكتاب ومجلة وسينما ومسرح ولعب كذلك، وكلنا على معرفة بأهمية هذه الأجهزة. ويأتي الضلع الرابع الذي يؤثر في ثقافة الطفل وهو «المجتمع» بكل مؤسساته، وتجمعاته، واهتماماته.

وهذه المؤسسات الأربع من اللازم أن تحكمها فلسفة خاصة بها، تعتنقها، وتحاول ترسيبها في نفوس الأطفال وترسيخها، خصوصاً أن «التربية» قد تأصلت في كليات ومعاهد، ولم تعد مجرد اجتهادات عفوية، وإذا كنا نحمد الله على أننا مازلنا إلى حد كبير نعتمد الترابط الأسري أساساً لتنشئة أطفالنا، كما أننا نسعى لكي يعيشوا في عالم يسوده السلام، ويحصل فيه كل بلد، بل كل فرد، على حقوقه مقابل أداء واجباته، كما أننا نحاول أن تكون التنشئة الثقافية قائمة على قيم إيجابية تتبنى الروحانية، والأخلاقيات، ولا تغفل في الوقت نفسه عن أمور حياتية يجب أن يبصر بها الأبناء، كالوطنية والقومية والإنسانية، فلا تناقض ولا تعارض فيما بينها، وأنا أردد دائماً أن أطفالنا قادرون بذلك على أن يصنعوا الحضارة المقبلة - الرابعة - بعد أن أفلست عالميًا الثقافة المادية: شرقًا وغربيًا، وأخفقت في جعل الإنسان يعيش في سلام ووئام، فقد سقطت المادية الجدلية شرقًا، وانهارت في تقديرنا المادية الغربية، بانهيار البرجين التوأمين غربًا، ومن هنا يصبح أبناؤنا مؤهلين - روحيًا ونفسيًا - لإقامة الحضارة القادمة، ولا نقول هذا رجمًا بالغيب، ولكن عن اقتناع كامل بحاجة العالم إلى من يرفع هذا المشعل، ليضيء الطريق أمامه، كما فعلت طلائع الحضارة العربية في عصر ازدهارها. إنها رؤية مستقبلية، بنيت لا من أجل تعميق ثقتنا بأنفسنا وثقافتنا فحسب، بل لكي نجعل منها هدفًا نسعى إليه، ونعمل من أجله، ونستطيع أن نلمح ذلك جليًا واضحًا من لقاءاتنا مع الأطفال، حين يتركون إلى تلقائيتهم في حرية كاملة، إذ يرتفعون إلى ذرا عالية من الإنسانية، ونحس أن بين جوانبهم أفكاراً وآراء غاية في السمو والروعة، وعلى الرغم من الظروف التي تحيط بهم، وتشهدهم إلى الوراء، وهذا ما نرفضه ويرفضونه؛ إذ هم في حاجة إلى مجاراة أبناء البلاد المتقدمة ماديًا، ومواكبة ما يجري على الساحة العالمية في مجالات المعلوماتية، والتكنولوجيا، وهم إذا جمعوا بين قيمهم وتقدمهم في هذه المجالات، فسوف يكون لهم قصب السبق عالميًا. ألم تفز السلحفاة على الأرنب، والفأر على الأسد، في حكاياتهم؟!

> **كشفت الأبحاث والدراسات أن أطفالنا أضعف كثيراً من أطفال الغرب في حصيلتهم اللغوية، كما أنهم لا يحسنون التعبير عن أنفسهم شفاهيًا وكتابة**

أدب

التنافذ الأدبي بين العربية والإنجليزية

يوسف عز الدين
ويلز - المملكة المتحدة

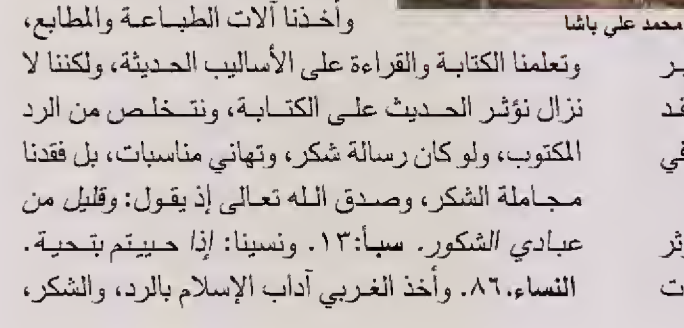
قال الفيروزابادي: النفاذ جواز الشيء والخلوص منه، ونفذ القوم صار منهم، وفي الوسيط أنفذ القوم خرقهم ومَشى وسطهم.

اخترت تنافذ الأدب في العربية والإنجليزية ولم أقل التنافذ الحضاري؛ لأن الثقافة جزء من الحضارة، والأدب جزء من الثقافة وابتعدت عن دراسة تنافذ العلم؛ لأنه أسرع في النفاذ من الأدب، وأعمق في الفاعلية العلمية طوال عصر الإنسانية، وأكثر انتشاراً، فقد أخذ العرب العلوم عن اليونان، فطوروها، وأضافوا إليها الكثير، ولكنهم لم يترجموا الأدب. وفعل الغرب الفعل نفسه لما بدأت النهضة الأوربية، فاهتمت بالعلوم عند الإسلام، كالطب، والهندسة، والرياضيات، والجبر بالدرجة الأولى، وهذا ما قام به محمد علي باشا، فقد اعتمد على العلوم في إنشاء الدولة بالدرجة الأولى في وقت كانت مكانة الآداب في أوربا في الدرجة الثانية.


محمد علي باشا

وهذا ما نقوم به اليوم، فقد أخذنا المخترعات التي تؤثر في الحياة المادية بداية من المبرقات والقطر والسيارات والمطابع حتى وصلنا إلى الإنترنت والحُسابة أو الحاسوب.

والملاحظ أننا أخذنا المخترعات والعلوم الحديثة دون أخذ آدابها الاجتماعية، وخصائصها الفنية، فلم نطبقها في الحياة الاجتماعية والإنسانية حسب القواعد العامة، فكثرت المخالفات في السيارات، وارتفعت أصوات مكبرات الصوت تقلق الآخرين دون الشعور بحرية الآخرين وراحتهم؛ لأنها جاءت مباشرة دون تمهيد اجتماعي سابق.


وأخذنا آلات الطباعة والمطابع، وتعلمنا الكتابة والقراءة على الأساليب الحديثة، ولكننا لا نزال نؤثر الحديث على الكتابة، ونتخلص من الرد المكتوب، ولو كان رسالة شكر، وتهاني مناسبات، بل فقدنا مجاملة الشكر، وصدق الله تعالى إذ يقول: *وقليل من عبادي الشكور*. **سبأ:١٣**. ونسينا: *إذا حييتم بتحية*. **النساء.٨٦**. وأخذ الغربي آداب الإسلام بالرد، والشكر،

والهدية، والتقدير لمن يبادله الحديث.

أعيش أنا في الغرب منذ أكثر من ربع قرن فما سمعت آلات التنبيه في الشوارع أو أصوات المكبرات من الكنائس في الأعياد والأفراح والمآتم، إلا للضرورة القصوى.

إن الشعور بالمسؤولية الأدبية ضرورة لتقدم الأمة وتطور حضارتها وأهمها الحفاظ على المواعيد، إنها أول سلم الحضارة، والشعور النفسي بالآخرين أهم تنافذ حضاري واجتماعي في الأمم والشعوب المتقدمة.

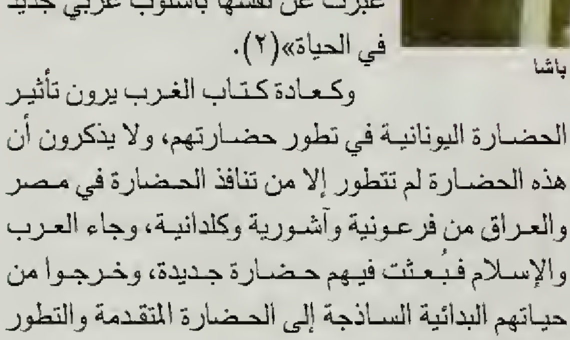
فقد استفاد الغرب منا أكثر مما استفدنا منه اليوم، وطور ما وصل إليه من علم وفن ثم أدب، فكان أكثر إبداعًا منا، وسيطر علينا حتى في طريقة الطعام وأعياد الميلاد واللباس، وكان التنافذ الأدبي أقوى من تنافذنا معه، فقد بدأ من جذور الثقافة العربية، واهتم بالآداب العربية والعلوم الإنسانية، وظهر ذلك في أدبهم شعرًا ونثرًا. إن جميع جذور الثقافة في ألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا، لها أسسها المختلفة، وجذورها المتباينة، ومع كل ذلك فقد أثرت الحضارة الإسلامية فيها؛ لأنهم أخذوا ما يلائم حياتهم المادية، وفكرهم الخاص، مع أن جذور حياتهم الفكرية جاءت من اللاتينية، والفكر اليوناني، والروماني، والمسيحية، والوثنية، التي كانت عليها قبل دخول النصرانية، فجاءت المسيحية، والوثنية، واليهودية، تتنافذ بعضها مع بعض في أدب الإنجليز والغرب عامة، فهي واضحة في شعراء أوربا وكتابها.



إسماعيل باشا

قال الأستاذ E.L. Raneliagh (رانيلا) لقد وصل إلينا الأدب الإغريقي من خلال الرومان. أي أنه وصل إلينا باللغة اللاتينية، إلا أن الجانب الأكبر من المعارف الإغريقية التي تضمنت العلم والفلسفة، وصلنا عن طريق البيزنطيين من خلال الترجمة العربية عن الإغريقية، وقد نمّى العرب هذه المعارف، وانتقلت عنهم في العصور الوسطى إلى اللغة اللاتينية. لقد كانت إسبانيا، وصقلية، جسرين للمشروعات الضخمة للترجمة في القرن الثاني عشر التي انتقلت عبرها المعارف العلمية من العرب إلى غرب أوربا التي كانت آنذاك في مرحلة بدائية(١).

ومصداق ذلك أن المجمع العلمي العراقي لما احتفل بالكندي ببغداد وُجِدت بعض كتب الفلسفة اليونانية مكتوبة باللغة العربية، وأنها مفقودة من أصلها اليوناني، فقد حافظ العرب على كتب اليونان دليل اهتمام العرب وعنايتهم العلمية. وقد اعترف الأستاذ رانيلا بهذا التنافذ في كتابه فقال: «إن ما ورثناه عن العرب غير مألوف لدينا، وليس هذا بالأمر الهين، فالناس الذين سموا بالعصور الوسطى بالعرب أتوا من مجموعات إثنية مختلفة، من بينهم اليونان والفرس والهنود والقبط والأتراك والأرمن واليهود، وقد تم استيعاب الحضارة الفنية التي يمثلونها في الإمبراطوريتين، البيزنطية والفارسية. ولكن انتشار الإسلام الباهر في القرن السابع، فرض عليهم ثقافة جديدة هي ثقافة الغزاة، وقد عبرت عن نفسها بأسلوب عربي جديد في الحياة»(٢).



وكعادة كتاب الغرب يرون تأثير الحضارة اليونانية في تطور حضارتهم، ولا يذكرون أن هذه الحضارة لم تتطور إلا من تنافذ الحضارة في مصر والعراق من فرعونية وآشورية وكلدانية، وجاء العرب والإسلام فبُعثت فيهم حضارة جديدة، وخرجوا من حياتهم البدائية الساذجة إلى الحضارة المتقدمة والتطور في الفكر والأدب والعلوم والفنون.

في الأدب الإنجليزي

نحن في الشرق العربي كانت مصر الرائدة بالاستفادة من الأدب الغربي بصورة مباشرة أو بالترجمة بداية من عهد محمد علي باشا. إذ تسللت إلينا التيارات الغربية في هدوء منذ وصول البعثات التي أرسلها إلى أوربا، وآتت ثمارها في عهد الخديوي إسماعيل، لأن التيارات لا تؤثر بصورة مباشرة، وتحتاج إلى فهم واستيعاب قبل قبولها.

وقد ازدهر التنافذ الأدبي فظهر البارودي، وإسماعيل صبري، وشوقي دون ضياع الشخصية الأدبية الأصلية،

ثم جاء عبدالرحمن شكري، ومطران، والمازني، والعقاد الذين درسوا اللغة الإنجليزية، وكان شكري أكثرهم فهماً ودراية بالإنجليزية، وبعده المازني؛ لأنهما درسا معًا. وأراد العقاد السير في هذا المضمار، فاتصل بهما، وأخذ يدرس اللغة الإنجليزية بصورة عميقة، فقد ذهب مع المازني إلى عبدالرحمن شكري، ولم يجد غضاضة في الاستفادة منه والدراسة على يديه. وقد ذكر لنا الدكتور رمزي مفتاح في كتابه عن هذه الفترة بقوله: كثيراً ما جلس الشاعر المجدد الذي لم يزل طالبًا بالمدرسة، إلى دروسه، وجلس صديقاه ناحية يقرأان درسًا في آداب اللغة الإنجليزية، فرضه عليهما، أو يحفظان قصيدة رخيمة رأى في حفظها فائدة لهما، وكان إبراهيم أفندي يترجم الإنجليزية لصاحبه(٣). وقد كان حافظ إبراهيم يزور الجماعة، ويأنس إلى لقائهم، ويمزح معهم.


عبدالرحمن شكري

ومن شدة إعجاب العقاد بشكري أنه كان يتأثر به، ويأخذ منه حتى اتهمه جبران سليم بالسرقة من عبدالرحمن شكري(٤).

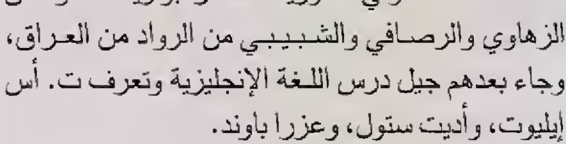
عكف هؤلاء على الأدب الإنجليزي، فوجدنا في أدبهم قصائد متعددة من شللي الإنجليزي، وهايني الشاعر الألماني، وهود الإنجليزي، وولز الإنجليزي، وأدسون الكاتب الإنجليزي، وشكسبير وكارلايل(٥) وغيرهم، ووجدت آثار الشعر الإنجليزي في أدب هؤلاء حبًا بالتجديد وتطور الأدب وبخاصة الأشعار الإنجليزية المختارة في Golden Treasury.

وأخرجت مطبوعتان باسم الديوان (وفي هذا الديوان توجه أقسى النقد إلى شوقي)، فقد قال الزميل الدكتور عبدالقادر القط: «أما الديوان، وقد نشر عام ١٩٢١م فإن حملة العقاد فيه على شعر شوقي تتسم بقدر بالغ من الحدة».

إن اتصال الغرب بالعرب سواء أكان مباشراً أم كان غير مباشر كان سببًا في موجة الرومانسية، فكانت ترجمة Golden Treasury، والاهتمام بالناقد الإنجليزي هازلت من المؤثرات الواضحة في شعر شعراء هذه الفترة. وكان حب الجديد والابتكار أو ما سمي بالعصرية التي كانت (هوس المتعلم)، حتى قال معروف الرصافي.

وأجودُ الشعر ما يكسوه قائلُهُ
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصرِ
لا يَحْسُنُ الشعرُ إلا وهو مُبْتَكَرٌ
وأيُّ حُسْنٍ لشعر غيرِ مبتكرِ

وقد تبنى هذا التيار عبدالرحمن شكري، وبعده المازني، وتابعهما العقاد وقد ضمت جماعة (أبولو) جماعة الشباب المتجدد، وكان أحمد زكي أبو شادي من الدعاة بما نشر من الشعر، وكتب من النثر، وكان من هذا الرعيل مطران، وأبو الوفا، والدكتور ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، وحسن كامل الصيرفي، وفي لبنان كان الأخطل الصغير، وفي تونس أبو القاسم الشابي، وفي سورية عمر أبو ريشة، وكان الزهاوي والرصافي والشبيبي من الرواد من العراق، وجاء بعدهم جيل درس اللغة الإنجليزية وتعرف ت. أس إيليوت، وأديث ستول، وعزرا باوند.



وقد حمل شعراء الغرب إلينا ما وصل إليهم من الفرنسية والإيطالية، ومن الديانة المسيحية. وأخيراً تأثر جيلنا الذي وصلته هذه التيارات، وكان التجديد، وظهور بعض هؤلاء في العراق وفي مصر، ثم جميع الوطن العربي.

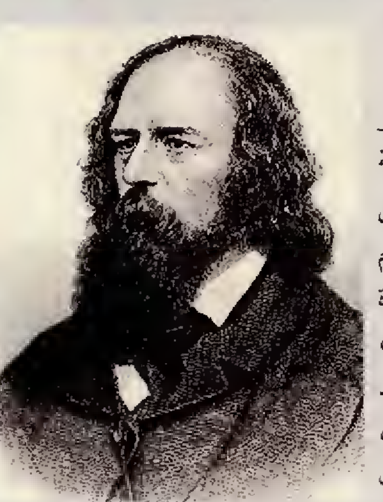
وقد كان نقد الديوان ذا أثر في الحياة الأدبية منذ خرج إلى القول الجارح الذي يتجاوز النقد الموضوعي إلى ما يقرب السباب الشخصي في كثير من مواضع الكتاب.. وتعود من ناحية أخرى إلى المزاج الشخصي للعقاد، وما عرف عنه طوال حياته من اعتزاز مسرف بفكره وأدبه، وانتقاد للآخرين يبلغ حد الازدراء أحيانًا(٦).

الرومانسية

نحن نعرف أن الشاعرين وردزورث وكولردج اتفقا على كتابة شعر جديد يقوم على إثارة القارئ عن طريق الإثارة والطرافة، ويضيف الألوان إلى الطبيعية، وأن يكون الشعر من الحياة العادية الموجودة في كل مكان، على أن يكون عقلاً وذا دراية وحس مرهف، فنظما القصائد الغنائية Lyrical Ballads، ونشرت عام ١٧٩٨م. فأسس المذهب الرومانسي على ما قام به هذان الشاعران، وبعد مئة سنة وجدنا صدى هذا المذهب في العالم العربي، وظهر فيه شعراء المذهب الجديد، وجماعة أبوللو، والديوان(٧).

أثر الأدب العربي في جوسر

يظهر التنافذ الواضح في أبرز شعراء الإنجليز بل واضع أسس اللغة الإنجليزية فقد كانت اللغة الفرنسية هي لغة مجلس الوزراء، ومجلس العموم والوزراء، وكانت اللغة في الجزيرة خليطًا من عدة لغات كالنورماندية، والألمانية، والسكسونية، والرومانية بعد أن رحلت اللغة الألمانية نحو هولندا، وصعدت إلى الجزيرة، وهضمت الجزيرة اللغات التي جاء بها المحتلون لبلادها، ومن هذا الخليط كون جوسر Chaucer اللغة الإنجليزية المعاصرة التي تحوي هذا الخليط اللغوي، لكنه صقل تلك اللغات وكون اللغة الإنجليزية؛ لأن المجتمع كان بعيداً عن لغة الكنيسة اللاتينية التي يعرفها رجال الدين، واستفاد جوسر من الخليط، ووضع أسس اللغة، وكان لغزوة النورمانديين أثر في مزاحمة الفرنسية للغة اللاتينية، فقد استعملت الدولة الفرنسية لما فيها من شعر وفن أقرب إلى الفهم من اللاتينية، إضافة إلى أن تعلم الفرنسية يقرب الناس من السلطة لفهم عقيدة الحكم وأسلوبه(٨).



تسون

فقد استمرت الفرنسية لغة الجزيرة، وكانت تصدر فيها الأنظمة والتزمها الأشراف والنبلاء، والناس على دين ملوكهم وحكامهم، وفي مجلس النواب كانت المناقشات تتم بها، وقد بقيت هذه اللغة الرسمية، ولم يخطب بالإنجليزية إلا سنة ١٣٤١م، وكان أول خطاب لرئيس الوزراء بها بعد أن وضع جوسر أصولها وقواعدها(٩)، وهي واضحة في لغته.

إن تنافذ اللغة الفرنسية وما فيها من ترجمات للأدب العربي من جراء ترجمة ألف ليلة وليلة ـ ولا بد أن هناك مؤثرات سابقة من الأندلس وبخاصة التروبادور ـ وقد عد (ج أديو) أثر ذلك مساوياً لأثره في الأدب الإنجليزي وكان هذا الأثر سبيلاً إلى سمو المشاعر وترقيق الأحاسيس وصقل الأدب الغربي في الغزل(١٠).

وقال درايدون «كان جوسر أول من هذب لغتنا الفقيرة، وأغناها من الاقتراض من مقاطعة البروفانس، أنقى الصيغ البيانية بعد أن انتشرت قصص التهذيب العربية على لسان الطير والحيوان(١١)، وقد عزا فليب حتي قصته The Squire,s Tale إلى ألف ليلة وليلة التي أخذها من الأدب العربي فصلاً وتقليداً(١٢)، كما وردت في قصص كنتربري(١٣).

أثر الأدب العربي في اللغة الإنجليزية قبل جوسر من تنافذ اللغات الأخرى

فقد قال ج أديو: إن أثر شعر التروبادور في الشعر الإنجليزي لا يختلف عن دوره في أوربا وكان الأدب العربي عامل ترقيق وسبيلاً إلى صقل لغة الأدب الغربي والحب والوجدان. وقد أكد درايدون أن جوسر أول من هذب لغتهم الفقيرة. وأثر الأدب العربي في جوسر الذي يعد أبًا للغة الإنجليزية، وكان يعرف الفرنسية؛ لأنها لغة الدولة والقوانين والبرلمان، فوجدت في شعره القافية، وقلد الموشحات الأندلسية مع تصرف حر واضح بقضية استيعاب الكاتب وهو أصلاً من نورمنديا، وفي اللاشعور يرقد المحفوظ اللغوي والأثر الاجتماعي، ولا بد أن يظهر في الأدب، وبخاصة بعد أن ضاق صدر الإنجليز من تسلط رجال الكنيسة في استعمال اللاتينية. وقد قال السر هملتن كب: «إن ما وصل إليه الولع بالقصص الشرقية من نشاط أثر في القرن الثامن عشر وغض الطرف عنها مؤرخ (دبنا

بقصد وبعمد)(١٤). ويؤكد كب أن قصة الوردة Roman de la Rose، التي ترجمها الشاعر من الفرنسية كان محاكياً العرب في خيالهم وفكرهم، وفي قصص كنتربري بصورة عامة، وفيها العاطفة المرهفة والإحساس العميق في طور الأدب الإنجليزي، وإن كان قد كتبها في أواخر حياته، ومع ذلك فقد نسخت خمسين مرة(١٥)، مما يدل على أهميتها في الأدب الإنجليزي وأثرها في إبداعه الشعري. فقد كانت الأندلس النافذة الحضارية التي دخل منها إلى أوربا في حياتها الفكرية والفنية والأدبية. وركز ذلك عندما وصلت الحركة الفكرية في صقلية التي ماتزال عادات أهل صقلية وطراز حياتها تختلف عن حياة إيطاليا، وبصورة واضحة في لغتهم ولا يرضى بعض أهل الجزيرة أن نسميهم بالإيطاليين، ولم يخل الأدب الديني من آثار الأدب العربي.

فقد قال جوليان ـ حسب ترجمة الدكتورة سهير القلماوي: «إن الشعر الغنائي الإسباني القديم ربيب أدب الأندلسيين المسلمين، وهو المورد الذي استفاد منه الفرنسيون، ومنه تنوعت أنواع الشعر في الغرب، وأثر في التطور والتجديد وبقاء أسس حديثة لهذا الأدب».

وقال السير هملتن كب، وقد استقر الرأي العام على وجود تجاذب وثيق بين الشعر العربي والشعر البروفانسي مؤكداً «أن مسيحيي الأندلس الذين صاروا نصف عرب هم بدورهم نقلوا كثيراً من بذور الحضارة الإسلامية إلى الممالك الشرقية، وشمل قسماً شبيهاً بهذا التوسع والنقل، تاريخ الشعر الأندلسي، وكثيراً من الشعر الإسباني، مما أدى إلى ظهور الزجل»(١٦).

ومما لا جدال فيه أن الشعر الشعبي الفلانشيكو Val-lancio يرتبط بالزجل العربي وتظهر آثار هذه الظاهرة بوضوح في شعر ابن قزمان المعاصر لشعر (التروبا دورو) في أسلوب النظم والروي والقافية، ونجد التشابه واضحاً عند موازنة المقطوعات مع شعر البروفانس الأول. وكان الباحثون والنقاد يشكون في هذا الأثر حتى جاءت المفاجأة عندما عثر الباحثون على شعر غنائي لابن قزمان مكتوب باللغة الأندلسية الدارجة في الأندلس الإسبانية(١٧). وقد اعتمد الباحث على نصوص وموشحات برهنت على أن أوربا قلّدت شعر الوشاحين والزجالين الذين سبقوهم بقرنين وقد أكدها نيكل عندما طبع ديوان ابن قزمان بالحروف اللاتينية وتجلت الحقيقة بأبحاث كارسيه كوميز وستيرين Sterne(١٨). ووضّح السير هملتن كب مدى أثر العرب في الغرب بمقالته في تراث الإسلام: «ومهما كانت الدرجة التي حددها الباحثون لتأثير الشعر العربي في إثارة روح الإبداع في جو الشعر الرومانسي فإن الدين الذي تدين فيه أوربا للشعر العربي في القرون الوسطى لا يماري فيه أحد»(١٩)، وملاحظة تلفت النظر هي أن الوقوف على الأطلال تنافذ إلى الوقوف على البيوت. ففي قصيدة جوسر المتوفى عام ١٤٠٠م يظل الشاعر يبكي كما يبكي امرؤ القيس، فهو يخاطب فيها بيت الحبيبة، ويراه بيتاً قفراً بعد أن كان يزدهي بالأحباب، وقد غدا حزيناً. كما أن المصباح الذي كان ينير ظلمات القصر أصبح مظلماً حزيناً بعد أن كان مشرقاً نيراً، وقال: وجدير بك يا قصر أن تسقط، وأن تنهار، وتذكر بعد أن رحلت من كانت هدفنا ومن كنا نسير إليها.

إليوت

O poleis desolat,
O house, of houses whilom best Y- hight
O paleis empty and disconsolat,
O thou Lanterne of which queynt in the light,
O palcis, whilom day that now art night.
Wel oughtestow to falle, and I to day,
Sin she is went that wont was us to gye!

ونجد ذلك عند اللورد بايرون في مطلع قصيدته عروس أبيدوس The Bride of Abydos يتحدث عن الديار التي عفت، والأشجار التي اندثرت.

-Know Ye the land where the cypress and myrtle

- Are emblems of deeds that are done in their clime?

تنسون وامرؤ القيس

أما الشاعر الذي نقف عنده فهو تنسون.

لا جدال في أن الذوق الأدبي يختلف باختلاف الحضارة، فلكل أمة براعتها الحضارية والتذوق هو الممارسة الفنية، ولا بد لها من قواعد لفهم الذوق بدراسة تاريخ الأمة. فنحن نتذوق الأدب الذي فيه الخيل والناقة، والصحراء الصافية، والسماء الزرقاء. ولن تجد شاعراً عربياً وصف تساقط الثلوج، ونزول الأمطار مع الصقيع، ولا يكترث بطلوع الشمس وغروبها؛ لأنها كوته بالرمضاء، والأمة الجائعة لا يطربها صوت العنادل وحفيف الأزهار، إنها تحلم بالطعام والكساء والشبع والرواء.

فالفنون تطور حضاري متقدم تتذوقه الشعوب القوية الغنية وكان العرب أمة قوية غنية وكان الغرب أمة فقيرة بدائية تقتات لحوم الحيوانات، وتلبس جلودها من الصيد. هذا التنافذ الحضاري بين الغرب والعرب دعا الغرب إلى تقليد الأدب العربي والأخذ منه، وكان الإسلام أساس التطور الحضاري؛ لأن الإسلام ساوى بين البشر، وعلا صيته حتى قال (أي أيم كريستي): «فأصبح الصيت الرفيع شبه الخرافي الذي كان يشار به إلى العرب حقيقة واقعة أمام المسيحية الحائرة المتعجبة وما لبثت حملات المتطوعين أن وجدت نفسها فجأة وهي على تماس مباشر بالنظام الذي كان يضيق من كل جهة بحدود تجاربهم وبعقيداتهم المحدودة»(٢٠). فلابد إذن من الأخذ من هذه الحضارة، ومنها اللغة والأدب، ولما تنافذت الحضارة الإسلامية بدأت تدخل الفنون في القرن التاسع والعاشر، وظهر أثرها بعد فترة طويلة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حتى ألف الغرب هذه الفنون، وبدأت الترجمة، ثم الفهم، ثم الهضم، ثم الإعجاب، ثم التقليد. وقد امتازت اللغة العربية بأثرها الحضاري. فقد قال أدمون بوزورث(٢١): «إن الروح الحقيقية لمأثرة الأدب العربي لم يكن لها أن تفهم في الغرب، وأن تؤثر تأثيراً عميقاً في آدابه الوطنية حتى أخذ الشعر، الذي هو التعبير الأكبر تميزاً لعبقرية الأدب العربي، طريقه إلى المعرفة، وكانت له مصاعب تحول دون تقبل هذا الشعر وفهمه بتقاليده وتعدد إشاراته». وقد وصف المستشرق الفرنسي بلاشير الشعر العربي بحق أنه حديقة سرية يتطلب دخولها لا معرفة عميقة باللغة العربية نفسها وحسب، إنما كذلك اعتناق عالم الفكر الإسلامي بدينه وثقافته(٢٢).


عباس محمود العقاد

وكانت الترجمة التمهيد لهذا، فترجم أنطوان كالان، ألف ليلة وليلة لنشر الثقافة العربية حتى يألفها الغربيون، واختار ما يلائم الذوق. وقام وليم جونز بترجمة المعلقات إلى الإنجليزية(٢٣).

ولا بد من القول إنني بحثت عن هذه الترجمة في المكتبات العامة، ولم أعثر عليها، لولا وجودها في مكتبة خاصة صورت منها الأجزاء التي أردتها.

إن الترجمة والتعريب أحد الأسباب النفسية التي بدأت تؤثر في الأدب الإنجليزي. وزادت الترجمة فوصلت إلى أكثر من مئة كتاب في القرن السابع عشر، وبالطبع ازدادت الكتب المترجمة حتى جاء القرن الثامن عشر، فكانت القصص فيها مسحة شرقية، وأثرت الترجمات حتى في الرواد منهم (ديدرو، وفولتير، ومونتسكيو). ووصلت ترجمة كالان إلى الأدب الإنجليزي بعنوان Arabian Nights Entertain-ment(٢٤).

أما الشاعر الكبير الذي تأثر بالأدب العربي فهو Ten-nyson الذي قرأ ترجمة جونز معتمداً على ترجمته للمعلقات السبع، وعلى شروح الزوزني والتبريزي نثراً، وكتبت بأسلوب جميل متصرفاً في الترجمة ليلائم الذوق الغربي. لصعوبة فهم جونز للمعلقات لما فيها من إشارات

حضارية ومواقع اختفى أثرها اليوم، ووجود كلمات يصعب فهمها - وهو العمل الذي قام به (كالان) وفيتزجيرالد، عندما نظم رباعيات الخيام التي لم ينشرها باسمه وطبع ٢٥٠ نسخة فقط في الطبعة الأولى.

كان تنسون شاعر البلاط الإنجليزي، فهل أحس الشاعر الإنجليزي بعمق الشاعر العربي؟ فوجد في امرئ القيس صدى لأحاسيسه المرهفة، فكانت قصيدته Lock-sley Hall(٢٥)، ولا يهمنا فيمن نظم الشاعر قصيدته، إنما وجدنا التنافذ الشعري واضحاً وضوحاً جلياً بين معلقة امرئ القيس وتنسون، وقد بدل اسم فاطمة إلى Anny، ولا شك في أن هناك اختلافاً بين القصيدتين. أولاً، لأن ترجمة جونز لم تكن دقيقة للظروف الفكرية عند الأديب الإنجليزي، وصعوبة الكلمات اللغوية. وقد اعترف بأنه قرأ شرح التبريزي وشرح الزوزني. ولكن لم يقدر على معايشة البيئة التي عاش امرؤ القيس فيها، ولنأخذ خمسة أبيات من القصيدة وهي:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمألِ
ترى بعر الآرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفلِ
كأني غداة البين يوم تحمّلوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظلِ
وقوفاً بها صحبي على مطيّهم
يقولون لا تهلك أسى وتجملِ

فقد ترجمها وليم جونز بعد جهوده المضنية بما يأتي:

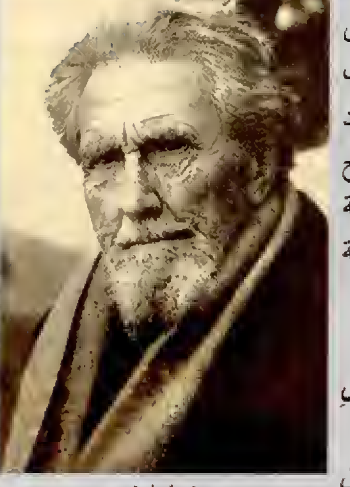
–Stay - Let us weep at the remembrance of our beloved, at the sight of the station where her tent was raised, by the edge of yon bending sands between Dahul and Haume

- Tudam and Milra; a station, the marks of which are not wholly effaced, though the south wind and the north have woven the twisted sanbd.

- Thus I spoke, when my companions stopped their courses: only be patient.

- A profusion of tears, answered I, is my sole relief, but what avails it to shed them over the remains of a deserted mansion?

- Thy condition, they replied, is not more Painful than when thou leftest HOWAIRA, before they present Passion, and her neighbour Rebaba, on the hills of Masel(26).


عيزرا باوند

وينظم تنسون قصيدته فيقول في قصيدة لوكسلي هول:

–Comrades leave me here a little, while as Yet'tis early morn leave me here, and when you want me, sound upon the bugle - horn.

- Tis the Place, and all around it, as of old, the curlews call dreary gleams about the moorland flying over Locksley Hall;

- Locksley Hall, that in the distance over looks the Sandy tracts, and the hollow ocean - ridges roaring into cataracts(28).

إن هناك اختلافاً بين القصيدتين جاء من ترجمة وليم جونز، لأنه قد تصرف في الترجمة. ولكننا لو قرأنا الترجمة لوجدناه قد حافظ على الجو العام، وحور الأسماء إلى (تودم ومكرا) (توضح والمقراة)، وزاد بعض الكلمات، وحذف بعض الكلمات، وجعل أم الحويرث (حاويره)، وحذف كلمة (أم) من (أم الرباب) و(أم الحويرث).

قال امرؤ القيس:

ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت
عليَّ وآلت حلفة لم تحلل

فقد جاءت الحبيبة بالأعذار مع أنها أقسمت إنها سوف

تفي بالعهد؛ وقال تنسون عن Anny:

- I said My cousin may I speak and speak, the truth to me. Trust me, cousin, all tha Event of my being sets to thee.

ويمكن موازنة القصيدتين بوضوح، لظهور هذا التنافذ من امرئ القيس في تنسون من ترجمة جونز إلى قصيدة تنسون. وفي كتابي «أثر الأدب العربي في حنايا الأدب الغربي» أكثر من تنافذ أدبي بين الآداب الغربية والآداب العربية(٢٧).

إن تتبع التنافذ الأدبي بين العربية والإنجليزية، بل اللغات الغربية في القرن الذي ازدهر فيه الأدب الإنجليزي يحتاج إلى دراسة موسعة، وتتبع للأدباء في العهد الفكتوري. هؤلاء الأدباء الذين شغفوا بالشرق بصورة عامة الذي كانت الدولة العثمانية ممثلة له. لذلك كثرت الترجمات من الأدب العربي، وكثر حلم زيارة الشرق، كما يحلم الآن أبناء الشرق في السفر إلى الغرب لما نسمع عنه من تطور وتجديد، وتقدم في العلوم والفنون.



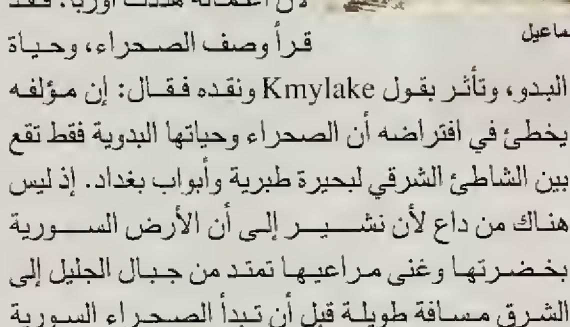
محمود حسن إسماعيل

وقد كان وليم ثاكري William Thackeray من أولئك المهتمين بالشرق الذين يستوحونه في أدبهم، فقد قال رضا حواري عن ثاكري:

«إن حماسة وليم ثاكري للشرق تبدأ من أيام رجولته المبكرة، ومن إطار عقلي رومانطيقي وشاب أساسًا، وبصورة خاصة بحيث نجد كثيرًا من الأبطال الشابة في رواياته تقاسم مؤلفة الحالة الفنية المتسمة بالرومانطيقية» بعضها «شرقي صرف، وبعضها مقلد للشرق على أن ثقافة ثاكري الشرقية إنما هي بالطبع جزء من مطالعاته العامة».

وقد عد زيارته للشرق أعظم أمل حققه في حياته مع أنه شديد التتبع لأخبار الشرق وحياته، بقراءة الكثير من الكتب(٢٨).

وكان ثاكري يتزود زادًا من اللغات الأجنبية سواء أكانت ألمانية أم إنجليزية تتحدث عن الشرق. وقد قال أحد هؤلاء الكتاب ـ الذين تأثر بهم ـ معجبًا برسوخ العقيدة عند المسلمين «إن آلافًا من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ينقضون على الموت في حومة الحرب وكأنهم ينقضون على فردوس أكيد»، وعلى الرغم من أن الموقف كان يكتب عن الإسلام والدولة العثمانية إلا أن الجهاد كان سببًا في بث الرعب في نفوسهم.. وقد رسم المؤرخون خريطة لثاكري ذكروا فيها بغداد وأدنة وإستنبول، وقد كان الأديب لشدة عنايته بالشرق قد أعد رسوم كتاب أديسون المسمى «دمشق وتدمر»، وهو كتاب عن دمشق وسورية في أثناء حكم إبراهيم باشا لها. وقد اهتم بتاريخ محمد علي باشا، واستخدم الفترة في رواياته، وكتب مقالتين عنه منها: «محمد علي»، و«السلطان التركي»؛ لأن أعماله هددت أوربا. فقد قرأ وصف الصحراء، وحياة البدو، وتأثر بقول Kmylake ونقده فقال: إن مؤلفه يخطئ في افتراضه أن الصحراء وحياتها البدوية فقط تقع بين الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية وأبواب بغداد. إذ ليس هناك من داع لأن نشير إلى أن الأرض السورية بخضرتها وغنى مراعيها تمتد من جبال الجليل إلى الشرق مسافة طويلة قبل أن تبدأ الصحراء السورية الكبرى(٢٩).



إن تعليق ثاكري ونقده برهان على شدة ولعه بالشرق وفهمه بطبيعة الأرض العربية في سورية، ومقدار المساحة التي كانت تتسع لها سورية في عهده.

وقد طالع «نفح الطيب»، وجاء في أدبه ذكر الخليفة الواثق. وتحدث عن عادات شرقية، وحلق في الخيال، فذكر الجلوس على الأرض، والتدخين في الشرق، وذكر مناظر القاعات المصرية الطراز، والغرف المقببة، وجلوس الناس حول مواقد النيران. إنه خيال الرومانسية،

وذكر الواثق لا شك في أنه قرأ ألف ليلة وليلة، وكان Beckford وترجمته أدت إلى زيادة معلومات ثاكري في العادات والسلوك؛ لأنه كان ملمًا بالشرق وعاداته، لأنه كان يعرف العربية، وترجم بعض المخطوطات العربية المتنوعة. وكان قد طالع المعلقات وترجمة القرآن الكريم، ومن هواة جمع المخطوطات العربية.

واستفادة ثاكري من ترجمة «نفح الطيب» جعلته يذكر الأندلس ومعركة العقاب التي جرت بين النصارى والمسلمين، وإن لم يكن شديد العناية بالوقائع، إنما كان يساير هواه فيها، وتلك طبيعة العمل الإبداعي، التصرف حسب خيال الكاتب، وحسب فكره وعقيدته(٣٠).

جيمس تومسون والأدب العربي

إن النص الأدبي الجيد في أي لغة دليل على أصالة المبدع، متى كان عميق المعنى، سامي القصد، وهو النص الذي يكون سريع التنافذ بين نصوص الآداب الأخرى. ولا نعجب أن تتخطى النصوص الجيدة من لغة إلى لغة أخرى، كما وجدنا تنافذ الأدب الألماني والفرنسي والإيطالي في الأدب الإنجليزي محملاً بالآراء العربية والأفكار الإسلامية. ولعل اللغة الفرنسية بما فيها من تأثيرات عربية وشرقية وإسلامية دخلت في فكر الأديب الإنجليزي أكثر من غيرها.

إن تنافذ لغة إلى لغات أخرى دليل على متانتها وقوتها وسمو حضارتها، فقد بدأ التنافذ الحضاري بين الشرق والغرب واضحاً بما حمله الصليبيون من الشرق من حضارة أدت إلى تقليد الشرق العربي حتى بالأزياء والطعام والأساطير، وقام أبناء الغرب برحلات متعددة إلى الشرق يدفعهم الشوق إلى الجديد. وكتبوا في رحلاتهم ما وجدوه، بل إنهم بالغوا في ذلك، واختلقوا المعلومات، ولهذا دخلت الثقافة العربية والشرقية والإسلامية في جذور الثقافة الغربية، فازدهرت ثقافة الغرب. وقد تتبع المثقف الغربي الثقافة العربية في المخطوطات، ودرسها، وترجم الكثير منها، فطور أدبه، ووسع أفق فكره.

إن الاستفادة من الحضارة لا تكون بالتقليد إنما بفهمها أولاً، ثم هضم تطورها واختيار ما يوافق الذوق الفني والأدبي، وإلا أصابته الحيرة الفكرية، والمحنة الروحية التي نجدها عند بعض الكتاب والشعراء العرب اليوم.

وإن بناء الجسور وتعبيد الطرق ونشر وسائل المواصلات الحديثة كالسيارات والقطارات والاستفادة من المخترعات الغربية الكثيرة، يجب أن تبني الإنسان، وتطور ثقافته؛ لأن صناع الحضارة هم القادرون على الاختيار والاستيعاب، ثم هضم حضارة الأمم الأخرى، واحتواء محاسنها.

تومسون

ولا بد من ذكر كتاب أثر في الغرب وأهملناه وهو كتاب «ألف ليلة وليلة»، ولم نقدره حق قدره، فقد أثر في الغرب، وتنافذ في عدة لغات غربية، حتى عرفه الأميون. فقد ذكر الباحث (رانيلا): أن حكايات ألف ليلة وليلة تسربت بين شعوب الغرب حتى عرفها الأميون، ودرسها الكتاب منذ عام ١٧٠٤م عندما ترجمها كالان إلى الفرنسية، وأخذتها الإنجليزية عن الفرنسية، وتسربت خلالها صور الشرق العربي المتعددة، وبقي في ذهنهم صور «علي بابا والأربعين حرامي»، و«البساط الطائر» و(شهرزاد)، ولشدة إعجاب الإنجليز بها ظهرت في أربع طبعات سنة ١٧١٣هـ، وقال رانيلا: إنها نشرت في جريدة «لندن نيوز» مسلسلة، واستغرق ذلك ثلاث سنوات من عام ١٧١٣م فأصبح أثرها جزءاً من ثقافة الصغار والكبار(٣١).

وفي خلال قرنين طبعت أكثر من (٤٠٠) مرة بلغات غرب أوربا، وقد أسهمت «ألف ليلة وليلة» في القرن الثامن عشر في الاهتمام بالدراسات الشرقية، كما كانت دافعاً إلى تطور الفلكلور والقصص بوصفهما حقلاً للدراسة.

أما في مجال الخيال فقد أدت إلى نشأة مدرسة كاملة لما

سمي بالروايات الشرقية. ويمكننا أن نصف تأثير الليالي في الحركة الرومانسية في القرن التاسع عشر بأنه كان هائلاً، وقال: «ولم تصبح ألف ليلة وليلة أدباً فحسب، ولم تصبح أدبنا بل أصبحت في الحقيقة إحدى كلاسيكياتنا. فقد أعيدت طبعاتها، وأخذت منها مسرحيات، ورقصات (باليه)، وأوبرات، وأفلام، ومسرح عرائس، و(بانتومايم) بصفة خاصة للصغار»(٣٢).

وقد استخدم كالان المخطوطات السورية لترجمة «ألف ليلة وليلة»، لأنه كان يجمع المخطوطات العربية للمكتبات الفرنسية، وقد بقيت ترجمته أساس الطبعات الأوربية أكثر من قرن.

والطريف أن بعض الأجزاء المترجمة من العربية ترجمت إليها وأول نسخة مطبوعة كانت في مطبعة بولاق التي اعتمد عليها المستشرق (لين)(٣٣).

ويظهر تنافذ الأدب الفرنسي المتأثر بالأدب العربي في الشاعر جيمس تومسون Thomson James، وتومسون من الأدباء الإنجليز الذين أعجبوا بالأدب العربي بعد اطلاعه على أدب ستندال Stendhal الفرنسي المعجب بالأدب العربي، الذي ترجم كتاب ابن أبي حجلة (- ٧٧٦) «ديوان الصبابة» وسماه De l'Amour. ولم يكن الكتاب مطبوعاً في هذه الفترة، إنما اعتمد على نسخ مخطوطة منه، وقد كان تومسون في زيارة لستندال عندما قدمت له النسخة المترجمة، فأخذها تومسون عنوة من صديقه، وكانت سبباً في البحث عن نسخ أخرى بعد أن أعجبه ما فيها من قصص. ولشدة إعجابه تمنى أن يتعلم اللغة العربية، حتى يخلق اتجاهات أدبية في الحب ليست موجودة في الأدب الغربي. وأعجب تومسون بالحب العذري أو الجو الأفلاطوني، وكان الحب العذري من أساليب ظهور الأدب الرومانسي في أوربا. فقد اعتمد تومسون على النسخة التي ترجمها

إننا أخذنا المخترعات والعلوم الحديثة دون أخذ آدابها الاجتماعية، وخصائصها الفنية، فلم نطبقها في الحياة الاجتماعية والإنسانية حسب القواعد العامة، فكثرت المخالفات في السيارات، وارتفعت أصوات مكبرات الصوت تقلق الآخرين

فوربيل لصديقه ستندال، والتي اختطفها تومسون منه، وكانت ذات أثر في أدبه ومؤلفاته.

الحب العذري

وقد أثر الحب العذري في كتاب الغرب، فقد عدّ أسمى درجة في التضحية من أجل المحبوب، فقد أعد أرنولد Mathew Arnold التضحية أعلى تضحيات البشر وهو الذي ألهم الشاعر الألماني Heine قصيدته Der Asra، وتنافذت إلى أدب تومسون عندما ترجمها إلى اللغة الإنجليزية. وقد اعترف تومسون بهذه الترجمة، وذكر أنه تصرف فيها.

وتأثر الأدب الإنجليزي بقصة وضاح اليمن. وأم البنين لما فيها من الجمال الطبيعي، والعاطفة الصادقة الحق، وهما ينبعان من معنى ذي قدسية. وهاتان الصفتان من بني عذرة هما اللتان أوحتا بالكثير إلى الشاعر هايني الألماني الذي يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الحب الحقيقي الصحيح يحررنا جميعاً من كل المشاعر الوضيعة والأنانية، ويدفعنا إلى التضحية بكل نعم الحياة الزائلة.

ان تأثر تومسون بآراء هايني، خير دليل على تنافذ العربية إلى الفرنسية بترجمة هايني، وتأثر تومسون بهذه الترجمة، وأوحت إليه بجميل شعره.

ويجب إفراد جزء من أثر الأدب العربي في تومسون الذي طوره، وأبدع أموراً جديدة محلقاً بعيداً عن الواقع، يغلفها بصور الرومانسية لإثارة القراء في الأدب الغربي وشغفه.

كما أثر كتاب لين (Egyptians Manners and Customs of the Modern) E.W.Lame ، في أدب الشاعر عندما وصف النساء العربيات، وذكر جمال العيون السوداء الواسعة ذات الرموش الجميلة الطويلة الساحرة.

إن اهتمام تومسون بالأدب العربي طور أدبه؛ فقد كان شديد الاهتمام به؛ لأنه استفاد من ترجمة ستندال في كتاب De L' Amour وكان شديد الاهتمام والانفعال العميقين بما أخذه ستندال من (ديوان الصبابة)، وقال: «لو لم أكن متقدماً في العمر كثيراً لتعلمت العربية، ذلك لأنني أجدني مسحوراً لوقوعي آخر الأمر على شيء ليس مجرد نسخة أكاديمية عن الأدب القديم.. عندما كان يؤلف كتابه عن الحب، وأراد أن تكون في خلال هذه الدراسة نفحات جديدة يدخلها في أدبه».

إن التنافذ الأدبي هو الذي يطور الأدب، وينقذه من الجمود. ولهذا وجدنا الأدب الإنجليزي شديد التأثر بالأدب الفرنسي سواء بوب أودرايون أو سونبرن Swinburne. وتأثر كارليل بالأدب الألماني، ولا يمكن أن ننسى تأثر الشاعر جوته Goethe بالأدب الإسلامي، وحاول في السبعين من عمره دراسة العربية والفارسية حتى أخرج الديوان الشرقي. وقد بقي الأدب العربي سبعة قرون يؤثر في الغرب، واشتهرت ملحمة دانتي بأنها من إبداع الشاعر أبي العلاء المعري. فقد أخبرني الأستاذ كبريللي المستشرق الإيطالي بأثر الأدب العربي فيها. وأكد أثر الأدب العربي الأستاذ بلاشيوس، بصورة لا تقبل الشك.

وقد تنافذ أدب الغرب في الأدب العربي في أدب طه حسين، وتوفيق الحكيم، والعقاد، والمازني وظهرت الروايات وأدب المسرح، وأثر النقد الغربي في أدبهم. وكما تطور الأدب الغربي من الأدب العربي، ها هو ذا أدبنا يتطور من تنافذ الآداب الأخرى.

ولكن ما أخذوه من أدبنا هو أكثر مما أخذناه منهم.

المراجع

١. الماضي المشترك بين العرب والغرب ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم ص١١ طبع في الكويت، ١٩٩٩م.
٢. المصدر نفسه ص١٢.
٣. رسائل النقد للدكتور رمزي مفتاح ص١١، ط٢ القاهرة، الطبعة الثانية.
٤. المصدر نفسه ص ج.
٥. المصدر نفسه ص٢٦.
٦. حركة الديوان وأثرها في النقد الأدبي والشعر، بغداد ١٩٩، ص٢٧ د. عبدالقادر القط.
٧. من الوجهة النفسية في دراسة الأدب والنقد ٧٠ ـ ٧٢.
(حقق وطبع الأستاذ وديع فلسطين أربعة من كتب أحمد زكي أبو شادي هي: النيروز الحر، والإنسان الجديد، ومن أناشيد الحياة، وإيزيس).
٨. موجز تاريخ الأدب الإنجليزي ص٥ وأثر الأدب العربي ص٤٢، وأثر رحلة الأدب العربي في أوربا، مفيد الشوباشي ص٨٦ و٨٧.
٩. الشوباشي وجوسر المفكر تأليف ج ج كوكتون ص٣.
١٠. ١٢٩ ـ ١٣٥ أثر الأدب العربي ص٥١.
١١. أثر الأدب العربي ص٥١، والشوباشي ١٢٩.
١٢. تراث الإسلام ٢٨١ فيليب حتي ص٦٦٣، وهملتن كب تراث الإسلام ـ أثر الأدب العربي ٥٩.
١٣. أثر الأدب ٥٩.
١٤. تراث الإسلام ٢٩٢ وأثر الأدب٥٤.
١٥. English Literature Through Ages ص٨٥.
١٦. تراث الإسلام مقالة السر هملتن كب ٢٧٣ ص ٥٦ أثر الأدب.
١٧. تراث الإسلام ص٥ أثر الأدب العربي ص٥٩.
١٨. كب: تراث الإسلام ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣، ٢٢١.
١٩. المصدر نفسه وأثر الأدب العربي ص٥٩.
٢٠. تراث الإسلام وأثر الأدب ص٢١٩، وأثر الأدب ص٣٢ الحاشية.
٢١. أثر الأدب العربي ص٥٣.
٢٢. مقالة بوزورث في Auzue أثر الأدب العربي ص ٣٨.
٢٣. أثر الأدب العربي ص ٣٨.
٢٤. أثر الأدب العربي ص ٥٩ و ٣٦.
٢٥. The works of William Jone,s Lord Teigmmouth ١٨٠٧، لندن والمصدر السابق وقد صورها لي الدكتور ديفيد بريدي ـ جامعة مانجستر مشكوراً.
٢٦. The Works of William Jones, London 187, Vol, VIII P.b.
٢٧. Tennyson Poems and Play ٩٢.
٢٨. أثر الأدب العربي ص ٦٢ ـ ٦٩ طبع في جدة في دار الصافي عام ١٩٩٠م.
٢٩. الروائي ثاكري History of the Turtes. الدكتور رضا حواري.
٣٠. المصدر نفسه.
٣١. المصدر نفسه.
٣٢. الماضي المشترك بين العرب والغرب ص ٣٠٢.
٣٣. الماضي المشترك بين العرب والغرب ص ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤.

المسارح الأثرية في سورية

ياسر محمد أبو نقطة

درعا ـ سورية

من المعروف أن المسرح هو ابتكار إغريقي جاء نتيجة طبيعية لتطور الفن بجميع أشكاله، وانتشرت المسارح ابتداءً من الفترة الإغريقية في كل المناطق التابعة لها.

وكان لسورية الهلنستية نصيب كبير من المسارح التي زينت المدن المنشأة حديثًا ذات القيمة التاريخية الكبيرة أمثال أفاميا «اباميا»، وصالحية الفرات «دورا أوروبوس»، واللاذقية «لاوداكية»، وأنطاكية وغيرها.

إلا أن هذه المدن المبنية بتوجيهات وأوامر الإمبراطور سلوقس نيكاتور حاكم سورية، لم تُوصل إلينا أيًا من مسارحها، وكل ماوصلنا من مسارح يعود بتاريخه إلى الفترة الرومانية، وهذا قد يعني بالضرورة أن جميع المسارح المشيدة في المدن السورية هي مسارح خشبية، وليست حجرية، وهذ الوضع طبيعي تمامًا بالنسبة إلى بناء المسارح في المدن السلوقية و البطلمية، بدليل عدم اكتشاف أي مسرح حجري في مدينة الإسكندرية أعظم المدن في تلك الفترة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لو كانت المسارح السلوقية مبنية من الحجر لما أزالها الرومان كليًا بل كانوا رمموها، وأضافوا إليها شيئًا من خصوصيتهم، ومن ثم لم يجد الرومان مايرممونه فبنوا المسارح من جديد باستخدام الحجر.



مسرح أفاميا

إن جميع المسارح الموجودة في سورية حاليًا تعود إلى الفترة الرومانية، وهي الفترة التي تابعت فيها جميع المدن ازدهارها وتوسعها، وهذا لايعني أن الرومان هم من بنوا هذه المسارح، فجميع الادلة والشواهد تدل على أن أبناء المنطقة من فنانين ومعماريين هم الذين بنوا مسارحهم وعماراتهم بطابعهم المميز وذوقهم الخاص المزوج بروح الحضارة السائدة في تلك الأيام. سنتكلم الآن على المسارح السورية المكشفة حتى الآن على أمل أن تظهر بقية المسارح الراقدة تحت التراب لتؤكد للعالم إرث سورية غير المحدود.

مسرح بصرى

يعد مسرح بصرى واحداً من أضخم المسارح وأهمها



من آثار تدمر

على الإطلاق، وهو الأول في سورية وذلك لاتساعه وتنظيمه ومحافظته على أصله الأول.

ويقع خارج أسوار المدينة موازيًا للشارع الطويل وغير بعيد عن الشارع القاطع، أحاطت به القلعة الإسلامية «الأيوبية» من جميع جوانبه، فحفظته سليمًا أصيلاً طوال مئات السنين.

أمر ببنائه الإمبراطور الروماني الشهير تراجان (٩٨-١١٧م)، وأنجزه مهندسون ومعماريون محليون من أبناء المدينة كانوا على مستوى فني رفيع.

أثار مسرح بصرى اهتمام كل من رآه أو سمع عنه، فتغنى به معجبوه تراتيل ستبقى عالقة في الأذهان ردحًا طويلاً.

فالرحّالة العالم غليوم الذي كان له شرف زيارته عام ١٨٥٤م، وصفه بقوله: «مسرح عسكري، وهذا أكثر مما كنا نرجوه كي نشبع نهمنا الأثري».

أما الكونت مكليور فينيه فيقول في كتابه الشهير عن سورية الوسطى« بُني في العهد الروماني، وفي القرن الثاني من دون شك على مقياس هائل، وهو محفوظ بصورة جيدة. فإذا أمكن رفع المباني الحديثة التي تحجبه عن الأبصار يعطينا أكثر من أي بناء مماثل سواء أكان ذلك في الشرق أم في الغرب الصورة الكاملة عن داخل مسرح قديم».

بني مسرح بصرى من الحجر البازلتي الأسود المحلي المنحوت بدقة متناهية، كيف لا وبصرى تقع على مشارف جبل العرب البركاني. يشكل المسرح بناء ضخماً يبلغ قطره ١٠٢م، بجدران مرتفعة أكثر من عشرين متراً، اتجاهه شمال جنوب أي أن المنصة في الشمال والمدرجات في الجنوب، ويتألف من عدة أقسام هي:

المدرج:

جاء مدرج بصرى على شكل نصف دائري يطوقه من الأعلى رواق بأعمدة ذات طراز توسكاني، تنحدر ابتداءً من الرواق العلوي المدرجات المعدة لجلوس المشاهدين على ٣٧

صفًا، مقسمة ثلاثة مجاميع: الأول «السفلي» يحتوي على ١٤ درجة، أما الثاني «الاوسط» فيحتوي على ١٨درجة، بينما يحتوي الثالث «العلوي» على ٥درجات.

تقطع هذه المجاميع طولاً وعرضاً ممرات تصل إلى أبواب الدخول والخروج، ويحدّ الممرات ظهور المقاعد الحجرية المشكلة حاجزاً بين الأبواب ومقاعد المشاهدين. ينفتح على المدرج ٢٥ باباً منها (١٨) موجودة في الممشى الأوسط و ٧ في الممشى العلوي، تتصل الأبواب مع ١٥ باباً خارجياً بواسطة ممرات وسلالم حجرية وصلت الذروة في سهولة اتصالها بعضها مع بعض.

من الميزا ت الفريدة لهذا المدرج هو أن جداره الخارجي جاء على شكل حذوة حصان. فضلاً عن ذلك فإن الانحناء العادي لجدار جناحي المسرح وانحرافهما الخفيف إلى الخارج قد ساعد المشاهدين الجالسين على الصفوف الأخيرة للدرجات متابعة ما يجري فوق منصة التمثيل، وساحة العازفين دون أي صعوبات تذكر.



مسرح بصرى

من جهة أخرى، إن درجات المدرج تستند إلى أقواس متتابعة تشكل سقف الممرات التي يصل بواسطتها المشاهدين إلى مكان جلوسه، وهذا النوع من سقف البناء غير معروف في المسارح اليونانية والرومانية، وهذه ميزة أخرى لهذا المسرح.

منصة التمثيل وواجهتها:

يبلغ عرض منصة التمثيل ٥.٥٤م، من جهة الداخل و٣٥.٤٥م، من الخارج بعمق ثمانية أمتار وكانت أرض المنصة مصنوعة من الخشب الذي يستند إلى قواعد مبنية من الحجر بشكل قوائم مربعة الشكل، ترتكز على خلف المنصة واجهة كبيرة مرتفعة تصل إلى مستوى الأعمدة المحيطة بأعلى المدرج، ونشاهد في الواجهة أعمدة كورنثية ضخمة جداً . ترتكز فوقها ثلاث طبقات من الأعمدة المزينة بالطنف البارزة. تحوى هذه الواجهة خُزناً جدارية كانت تستخدم لوضع تماثيل آلهة الفنون والجمال عند أهالي مدينة بصرى.

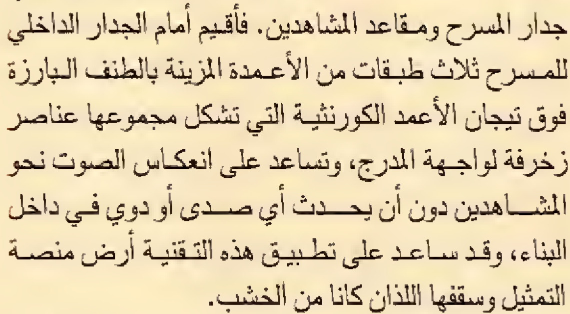
ساحة العازفين:

هي أرضية مرصوفة ببلاط حجري شكلها نصف دائري، وتكاد أرضية هذه الساحة تكون أخفض نقطة في البناء كله. ينفتح على جوانب الساحة مدخلان واسعان أعدا لمرور مواكب المحتفلين أيام المناسبات الكبرى من أعياد واحتفالات قومية، ولا تزال هذه الساحة محتفظة بمعظم بلاطها الأصلي القديم، ويوجد في طرفها الغربي بئر ماء.

خصوصيات فريدة لمسرح بصرى:

يتمتع مسرح بصرى بعدة خصائص يكاد لا يجمعها معًا أي مسرح من مسارح العالم، أبرزها:

ـ تطبيق تقنية انعكاس الصوت وتضخيمه بشكل دقيق جداً كحل لعدم وجود مكبرات صوت، وذلك بغية تقوية الصوت، وبثه صافيًا لجميع المشاهدين على مختلف أماكنهم. تم الحصول على هذه التقنية من خلال ضبط تخطيط الشكل العام للبناء مع مقاييس أبعاد منصة التمثيل، وارتفاع



جدار المسرح ومقاعد المشاهدين. فأقيم أمام الجدار الداخلي للمسرح ثلاث طبقات من الأعمدة المزينة بالطنف البارزة فوق تيجان الأعمد الكورنثية التي تشكل مجموعها عناصر زخرفة لواجهة المدرج، وتساعد على انعكاس الصوت نحو المشاهدين دون أن يحدث أي صدى أو دوي في داخل البناء، وقد ساعد على تطبيق هذه التقنية أرض منصة التمثيل وسقفها اللذان كانا من الخشب.

ـ إن منصة التمثيل تنفرد باحتوائها على سلسلتي ألواح منتظمة على الجدارين الجانبين في مبنيين متلاصقين: أحدهما الألواح المنتصبة على أربعة طوابق في كل جانب، وثانيهما متصل بالأول ومخصص لأدراج موصلة إلى هذه

الألواح ووضع الألواح على الشكل الموصوف هو ابتكار معماري جريء، يجعل من يجلس فيها يشاهد التمثيل دون أن يراه المشاهدون الجالسون على درجات المدرج. إضافة إلى أن الوصول إلى هذه الألواح عن طريق الأدراج كان يخفي قدوم المرء إليها وخروجه منها، والألواح المذكورة كانت مخصصة لحاكم المدينة وكبار القادة فيها.

ـ ضخامة المسرح واتساعه لأكثر من ١٥ألف مشاهد، وسهولة تفريغه بزمن قياسي لا يتجاوز عشر دقائق وذلك لكثرة أبوابه وانتشارها في جميع أجزائه، كذلك سهولة المرور بين أقسامه.

ـ أنه بناء روماني ومحاط بقلعة إسلامية، وفوق بقايا نبطية «كما يُعتقد»، والمكان كله محاط بخندق عميق وسور ضخم، وقلما نجد مثل هذا التنوع التاريخي والأثري في مكانٍ واحد.

ـ تواصل الناس مع المسرح من خلال الزيارات والرحلات اليومية، كذلك المهرجانات الدورية التي تجذب إليه آلاف المشاهدين عبر عروض تقدمها الفرق العالمية.

مسرح درعا

يعود تاريخ بناء مسرح درعا إلى القرن الثاني، ويقع في القسم القديم في مدينة درعا المعروف باسم (البلد).

كانت الأبنية الحديثة تجثم فوقه، ولم يكن يظهر منه سوى مدخلين شرقي وغربي، ومنذ عام ١٩٨١م، والمسرح يشهد تنقيبات أثرية موسمية أدت إلى الكشف عن معظم أجزائه.

يتكون المسرح من ساحة العازفين «الأوركسترا»، والكواليس، والممر السري، ومنصة تمثيل، وعدة بوابات، كذلك مدرج نصف دائري متوسط الحجم يحوى أربع عشرة درجة تستوعب أكثر من ألفي مشاهد، اتجاه المسرح شمال جنوب ويبلغ طول منصة التمثيل ٢٥م، وعرضها خمسة أمتار، وكانت حافتها المواجهة للمدرج ذات «عضادات»



كواليس مسرح درعا

بارزة، وأخرى غائرة متناوبة معها.

وكل واحدة من هذه الأشكال حملت خطوطاً زخرفية نافرة زينت القاعدة والقمة، وكانت المنصة تحتوي على عدد من الأعمدة المستخدمة لحمل أرضية المنصة ماعدا القسم الغربي منها حيث لا يوجد أي أعمدة، وإنما الصخر الكلسي الأبيض الأم هو بديل الأعمدة ووظيفتها حمل الأرضية وتثبيتها من الهبوطات التي قد تحصل.

يوجد أيضاً في الجهتين الشرقية والغربية من المنصة درجات يتألف كل منها من ٤ درجات مخصصة للمرور في ساحة العازفين وبالعكس، وهنا مدخلان واضحان على



شكل بوابة مقنطرة يتم الدخول منها إلى المنصة. يوجد كذلك مدخلان ضمن الواجهة الأمامية للكواليس في الشرق والغرب على شكل أبوابٍ عادية ذات شكلٍ مستطيلٍ وقوائم مزخرفة بخطوط مستقيمة وعتبات مرتفعة.

الكواليس:

هي رواق يمتد شرق غرب، وهو ذو جدارين مزودين بأشكال مستطيلة في كلتا الجهتين الشمالية والجنوبية، يتبعه شكل نصف دائري من جهة الجنوب فقط حيث يقابله


مسرح تدمر

بعض الحجارة المنحوتة حديثًا لسد النقص الحاصل من جراء العناصر المفقودة.

الميزات الخاصة لمسرح درعا:

يضيف مسرح درعا الأثري إلى أهميته المعمارية والتاريخية، ميزات فنية تجعل منه مكانًا تراثيًا على درجة كبيرة من الرقي لعل أبرزها:

أولاً: مرور شارع طويل جدًا فيه يربط مدينة بصرى الشام بمدينة أم قيس الأثرية المهمة في الأردن، وما زالت بقايا هذا الشارع قائمة حتى الساعة، وهو شارع روماني عريض مرصوف بقطع حجرية كبيرة من البازلت الأسود الخاص بمنطقة حوران، مع وجود رصيف من كلا طرفي الشارع.

ثانيًا: احتواء المسرح على ممر سري يقع عند الدرجة الأولى من درجات المسرح في الجهة الجنوبية، وهو نفق محفور بالصخر يبدأ من هذه الجهة ليلتف بعدها تدريجيًا للجهة الغربية، ويتابع التفافه إلى الجهة الشمالية ليكون بذلك قد التف بشكلٍ نصف دائريٍ بطولٍ يزيد على الستين مترًا.

ويظهر أنه ممر وقائي كان يستخدم أوقات الخطر، إذ يؤمن خروجًا سريعًا وسليمًا بآنٍ معًا.

ثالثًا: إشادة المسرح بالاعتماد على الصخر الطبيعي في بعض أجزائه، وعمارته بالحجارة المنحوتة في أجزاء أخرى ليجمع بين طرازين مختلفين في العمارة.

شكل مربع بارز في جهة الشمال.

وقد شهدت الكواليس ومنصة التمثيل في مسرح درعا عمليات ترميم تضمنت إعادة بناء تلك الكواليس، بالاعتماد على العناصر الحجرية الأصلية المهدمة، كذلك استخدمت

رابعًا: وجوده بالقرب من صرح إسلامي مهم جدًا هو المسجد العمري الكبير، أحد أقدم المساجد في العالم الإسلامي، وذلك إلى الشرق منه بنحو مئة متر، بينما تقوم في زاويته الشمالية الغربية عدة أفران لشي الفخار، وهي

محفورة في الصخر.

خامساً: المسرح مشابه من حيث مخططه العام وأقسامه الرئيسة لمسرح بصرى، لكن في إطار مبسط ومصغر عنه.

مسرح الأشعري:

يرتكز مسرح الأشعري في الغربية من محافظة درعا على ضفاف وادي الهرير، أحد روافد وادي اليرموك، وهو مبني فوق تل الأشعري الأثري، على ارتفاع يزيد على عشرين متراً عن مستوى الأرض المحيطة.



حفريات في مسرح السويداء

لكن الطبيعة ويد الإنسان كانتا وراء تخزين معظم أجزائه، فالزلازل ادّت دوراً حاسماً في سقوط منصة التمثيل والواجهة العلوية.

كذلك أثر الإنسان سلباً في المدرج، فنقل معظم عناصره «من مقاعد وسواكف وأعمدة» إلى مدن أخرى لاستخدامها في البناء الحديث. ولم يبق منه سوى معالم دارسة. لكن عملية تنقيب وترميم مبرمجة قد تعيد له بعض بريقه الغابر.

يظهر من المسرح مدرج كبير الحجم يتسع لنحو ستة آلاف مشاهد تقريباً، أما منصة التمثيل فلا تزال إلى الآن تضم تيجان كورنثية وأيونية وبعض أقسام من أعمدة ضخمة، كذلك فإن الممرات والكواليس ما زالت قائمة إلى يومنا هذا مع مشاهدة صريحة لملاط كلسي أبيض هو ذاته الذي كان يربط بين حجارتها.

ومن الأمور الفريدة التي يتميز بها مسرح الأشعري أن اتجاهه غرب شرق، بعكس معظم مسارح سورية المتجهة شمال جنوب حيث المدرجات في الشرق ومنصة التمثيل مع الواجهة في الغرب، والمعروف



منصة التمثيل في مسرح تدمر

أن وادي الهرير بشلالاته وينابيعه ومناظره الخلابة يقع إلى الغرب من تل الأشعري الأثري، فربما تم تغيير اتجاه المسرح لكي يتمتع المشاهد بما يُعرض على منصة التمثيل، إضافة إلى تلك المناظر الآسرة بآنٍ واحدٍ معاً.

مسرح تدمر

بُني المسرح في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وفق الطراز الروماني «السائد في ذلك العصر»، ولم يكن يظهر منه أي شيءٍ، فطبقات الرمل والرماد كانت تملؤه تماماً.

في عام ١٩٥٢م، بدأت المديرية العامة للآثار والمتاحف بالكشف المنهجي عنه حتى ظهر بكامل أقسامه، ويكاد يكون بوضعه الحالي سليماً لايحتاج إلا إلى عملية ترميم تتضمن رفع أجزائه المتساقطة.

إن مسرح تدمر صغير جداً، ولايشير أبداً إلى مكانة مدينة تدمر المهمة التي استقلت معلنةً نفسها إمبراطورية ذات سيادة، وسكت النقود باسمها، وفعلت كل ما يدل على استقلاليتها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن المسرح الذي يتسع لألف مشاهد فقط لا يدل على حجم النشاط الشامل بشقيه الثقافي والترفيهي الذي كان واسع الانتشار بتدمر. ومع ذلك أدى المسرح وظيفتين أساسيتين هما:

التمثيل وصراع الوحوش ونزال المصارعين، فهو يعدّ مسرحاً ثقافياً من جهة، ودليله وجود منصة شامخة مترفة تدل على عظمة المدينة، ومن جهة ثانية، فالمسرح يعد أيضاً حلبةً رياضية من خلال وجود مدخل للوحوش والمصارعين في صدر المدرج، كذلك يوجد آثار قضبان الشباك التي كانت تحمي المشاهدين، وهي لا تزال ظاهرة في الحواجز، لكن لا يوجد ما يدل على أن المسرح قد استخدم للاضطهاد الديني، فالتدمريون كانوا معروفين بتسامحهم الديني.

ولعل أروع الأمثلة على ذلك أن الملكة زنوبيا عطفت على المسيحية، وحمت بولس السميساطي أسقف أنطاكية. وكانت الجالية المسيحية في وضع مناسب حتى سقوط تدمر ٢٧٤م.

لكن من الصعب التكلم على نوعية المسرحيات التي كانت تقدم في المسرح، وذلك لنقص الأدلة، إلا أن إحدى

الروايات تذكر أن الملكة زنوبيا أمرت بوضع تاجر في المسرح لتنهشه الوحوش الكاسرة أمام الجمهور، وبينما كان الجمهور متوتر الأعصاب. والتاجر المقيد في الحلبة يحسب لحظاته الأخيرة، فتح الباب ودخل منه ديك، فضحك الجمهور طويلاً وكان هذا العمل إضافة إلى كونه عقاباً للتاجر، دليلاً على أصالة الملكة زنوبيا، ورهافة حسها، وروح النكتة اللاذعة الذكية لديها.

يحتل مسرح تدمر مركز المدينة ويتوسط السوق العامة، وهو بذلك يخالف التقليد المعماري الشائع في بناء المسارح التي كان مكانها خارج الاسوار وليس في منتصف المدينة، وربما كان سبب ذلك هو صغر حجم المسرح.

خصائصه المعمارية:

يبلغ طول خشبة المسرح ٤٨م، وعرضها مع الكواليس ١٠.٥م، وقطر الأوركسترا المستديرة بين الخشبة والمدرج لايتجاوز العشرين متراً.

أما المدرج فقط فبقي منه ثلاثة عشر صفًا نصف دائري وهو مقسم أحد عشر قسمًا بواسطة درجات لا تسمح إلا بالصعود أو النزول الإفرادي لشخص واحد فقط.

أما الواجهة فهي غنية في صياغتها المعمارية حيث يتجوف فيها محرابان تنتصب بكل منهما عدة أعمدة تحمل طنفًا فوقها.

مسرح جبلة

يتوسط المسرح مدينة جبلة الساحلية المتضمنة ميناء فينيقيًا مهمًا مماثلاً لما هو موجود في مدن اللاذقية وبيروت.

يتألف المسرح، كباقي المسارح من المدرج، وخشبة المسرح، وواجهتها، والكواليس، وساحة العازفين، والابواب، والممرات الجانبية.

أما المدرج فهو مشكل من ثلاثة طوابق بقي منها اثنان فقط، بينما سقط الطابق الثالث، إضافة إلى الجزء الشرقي من المدرج من جراء زلزالين مدمرين كان أقواهما الأخير الذي حصل في عام ٧٤٠م، وهو الذي حوله إلى شبه قلعة



رحلة علمية لطلاب قسم الآثار بجامعة دمشق إلى مسرح جبلة

أو حتى تحصينات بسيطة في بداية الفتح العربي الإسلامي للمنطقة، بني المسرح في بداية القرن الثالث الميلادي بأمر وإشراف من الإمبراطور سبتيموس سفيروس «الليبي الأصل». زوج الملكة الحمصية «جوليا دومنا».

جاء بناؤه من الحجر الكلسي الأبيض القاسي، ذي الأحجام الكبيرة باتجاه شمال جنوب على شكل نصف دائري، بقطر ٩٠م، ويتضمن ١٧ بوابة ومنصة تمثيل ارتفاعها ١٤٠سم، عن أرضية المسرح بطول يقارب العشرين متراً تقريباً، تحوي قناة بغية تصريف مياه الأمطار.

يتسع المدرج لنحو ٨٠٠٠ متفرج، ونلاحظ أن بناءه مماثل لبناء مدرج بصرى من حيث اعتماده على نظام الأقواس فيحمل كتل صفوف الدرجات.

فهناك أكثر من درج صاعد يقسم المدرج عدة أقسام، مع وجود ممرين يقسمان صفوف المقاعد قسمين. كان المدخل الرئيس مقبباً، ولايزال شامخاً حتى الآن، وهو دليل على مكانة مدينة جبلة وأهميتها في العصور القديمة.

أعمال الكشف والترميم:

كان المسرح مطموراً بالأتربة والردميات، ولم يكن يظهر منه سوى سطحه العلوي فقط. ومنذ الخمسينيات من القرن الماضي تقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بأعمال الكشف والتنقيب فيه. ومع أن تلك الأعمال جزئية وموسمية، ولكنها علمية من حيث الدراسة والتوثيق ونظام العمل.

تركزت الأعمال حول المنصة، إضافة إلى تنفيذ غطاء كامل لسطح المدرج، وذلك لحمايته من الأمطار التي تتغلغل فيه مسببة تفتت الحجارة الرملية.

وكان الغطاء الأخير فعالاً جداً من ناحية حماية سطح المدرج كحل سريع، وإن لم يكن جذرياً، وهو تغطية السطح بشبكة من الخشب بميول مناسبة مغطاة بألواح توتياء مزيبقة ملونة بلونة يناسب الحجر. ويتناثر حول منصة التمثيل عدد من عناصر المسرح المعمارية.

ومنها تيجان لأعمدة وأجسامها خاصة تلك النوعية الغرانيتية التي تبدو أنها مستوردة من مناطق بعيدة.

مسرح أفاميا

يقع مسرح أفاميا خارج أسوار المدينة في جهة الغرب،



جزء من قلعة حلب

فوق جزء من السور الهيليني مقابل الأكروبول. واستعين بمنحدر طبيعي باتجاه وادي الغاب لإشادة المسرح عليه. فهو بذلك مبني على الطريقة اليونانية، وإن كان يعد صرحاً معمارياً رومانياً صرفاً.

يبلغ عرض خشبة المسرح وكواليسه ١٤٥م وبناءً عليه يعدّ من أكبر المسارح الرومانية على الإطلاق. وهذا ليس ضرباً من الخيال فالزائر لمدينة أفاميا ولمسرحها العملاق يرى بأم عينه أدلة الكلام.

فالكتل الحجرية الضخمة التي تذهب بعيداً في أحجامها وتنوعها، ومساحة المدرج الهائلة التي تحتل حيزاً مساحياً عجيباً هي شواهد على تفرد المسرح وتميزه.

للمسرح واجهة شرقية في الجهة التي تنخفض فيها التلة إلى مستوى الأرض، وتعرض هذا الصرح المهم للتعديات والتخريب فقد نُقلت حجارته واستخدمت في بناء قلعة المضيق

المجاورة وتجديدها والتي كانت الزلازل سبباً في هدمها في القرن الثاني عشر الميلادي، كذلك من أجل بناء الخان الإسلامي في الفترة العثمانية في قلب الوادي.

مسرح قلعة النبي هوري

تعدّ المنطقة الغربية من محافظة حلب منطقة زراعية خصبة، تشتهر بزراعة الكرمة والزيتون وإنتاج الخمور والزيت الذي كان يُصدر إلى الخارج.

وتعود آثار تلك المنطقة إلى الحضارتين السلوقية والرومانية. ولعل أشهر المواقع الآثرية فيها أطلال مدينة سيريوس «النبي هوري» الواقعة إلى الغرب من نهر عفرين. بعد دخوله لـلأراضي السورية، وهي التي ازدهرت في عهد الإمبراطور «إسكندر بالا» عام ١٥٠م، وتضم داخل أسوارها قلعةً ومسرحاً رومانياً وضريحاً لأحد الملوك، فضلاً عن القصر الملكي، وكانت تتصل بإعزاز بواسطة جسرين رومانيين تحملهما القناطر الضخمة.

المسرح:

يعدّ المسرح الأثري الوحيد القائم في محافظة حلب و يعود إلى العصر الروماني، واستخدم في بنائه الحجر البازلتي الأسود المنحوت بدقة متناهية، ويتألف من عدة أقسام رئيسة، كما هو الحال في جميع المسارح الرومانية، فالمدرج ومنصة التمثيل والكواليس وساحة العازفين إضافة إلى الأبواب والمداخل، ولعل المدرج أفضل ما بقي من أقسامه، فلا يزال إلى الآن يحتفظ بصفوف الدرجات المتوالية الارتفاع، مع وجود أدراج صغيرة تقطع تلك الصفوف، كذلك يوجد مساند حجرية يظهر أنها كانت مخصصة للصف الأول حيث الحاكم وكبار القادة.

لكن ما يثير انتباه الزائر لمسرح قلعة النبي هوري هو تلك البوابات المقنطرة الكبيرة الحجم والمتشكلة من كتل حجرية مختلفة الأشكال والأحجام، مرصوفة بعضها بجانب بعض وفق طراز تبادلي مثير يعطيها خصوصية معمارية وفنية كبيرة، وتستطيع بسبب ضخامتها حمل عشرات الأطنان فوقها.

وفي منطقة ليست بعيدة عن القلعة ومسرح النبي هوري توجد المواقع والمباني الأثرية والتاريخية المهمة كقلعة سمعان والطرق والكنائس البيزنطية، كذلك تل عين دارة الأثري حيث المنحوتات الآرامية الكثيرة العائدة إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

المسارح في محافظة السويداء

كانت توجد في جبل العرب «محافظة السويداء»، خمسة مسارح موزعة على المدن الآتية: السويداء، وشهبا، وقنوات، وشقا، وسيع. ونلاحظ أن مسرحي شقا وسيع قد اختفيا تماماً، ولم يعد يظهر لهما أي أثر على الرغم من ذكرهما في بعض النصوص.

وتعدّ خمسة مسارح قليلةً جداً في منطقة كانت تضم ١٥٠ قرية ازدهرت في جبل العرب خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

وعليه يظهر أن المسارح بنيت فقط في المدن الكبيرة التي كانت مراكز إدارية وتشهد أنشطة ثقافية متميزة.

أما العروض التي كانت تُقدم فيها فنعتقد أنها كانت مسرحيات وتمثيليات، لكتاب يونان ورومان تفهمها طبقة من الناس تتقن اليونانية التي كتب الناس بها الكثير من وثائقهم، و مازالت نقوشها متوزعة في كل القرى. بالإضافة إلى ذلك كانت تُقدم أيضاً ألعاب المصارعة والحفلات الموسيقية والرقص والألعاب الاستعراضية.

مسرح السويداء

يرتكز جنوب الكنيسة الكبرى على طرف الشارع المستقيم وقد تهدم منذ مئات السنين، وبقيت منه بعض الشواهد مثل أجزاء من صفوف مقاعد المشاهدين وخشبة المسرح والممرات.

ثم اختفى تماماً بعد بناء البيوت الحديثة فوقه ومرور طريق معبّد أسفلتي على جزئه الشرقي، وفي نهاية العقد الأخير من القرن الماضي اكتشف هذا المسرح مصادفة، فبدأت عمليات التنقيب عنه بمشاركة بعثة إنجليزية ، آلت أعمالها السريعة إلى الكشف عن كامل أجزائه وترميمها بشكل جيد، ويظهر أنه لكبار القوم أو لمجلس الشيوخ، وذلك لصغر حجمه. ومن الأدلة ماتشير إلى وجود مسرح عملاق إلى جنوب هذا المسرح الصغير.

مسرح شهبا

أُقيم وسط المدينة قرب معبد عائلة فيليب «الفيليبيون» بعيداً عن مرافقها العامة، وشوارعها الرئيسية على سفح تل أسند إليها بناء المنصة والممرات والحجرات الجانبية التابعة لها، واقتضت الضرورة رفع صفوف مقاعدة المشاهدين فوق بناء



مسرح شهبا بعد ترميمه

أرضي حتى يستقيم البناء. وهو على كل حال مسرح صغير كان مخصصاً للاجتماعات الخاصة «لمجلس المدينة أو لكبار القادة». وربما أقيمت به بعض الحفلات الموسيقية الصغيرة.

يمثل مسرح شهبا نموذجاً واضحاً لتقنية البناء العربية في بلاد الشام خلال العصر الروماني يبلغ طول قطره ٤٢,٥م، في صدر جدار منصة التمثيل إلى جدار الإطار، ويراوح عدد صفوف المقاعد بين ١٥ و٢٠ صفاً موزعة على طابقين بقي منها تسعة صفوف في درجات الطابق السفلي، ودرجة واحدة في الغرب تعود إلى الطابق الثاني.

والمسرح موجود بحالة جيدة خاصةً بعد ترميماته الأخيرة ومن الممكن عرض المسرحيات وإقامة الاحتفالات والمهرجانات عليه، فالخشبة والكواليس والدهاليز الخلفية والأبواب لا تزال على أفضل حال.

مسرح قنوات

أُقيم مسرح قنوات على ضفة الوادي خارج سور المدينة، وأُسندت صفوف مقاعد المشاهدين على السفح، وبذلك رفعت الدرجات بعضها فوق بعض من غير حاجة إلى إنشاء قواعد تستند إليها، فتسوية السطح كانت كافية.

يعدّ مسرح قنوات من أصغر المسارح المعروفة، ونتيجة لذلك سمّاه بعضهم صالة موسيقية أو «ملعبة» وهي تصغير الملعب حسب الصيغة التي اعتمدوها، وأرادوا بها وصف حجم المسرح الصغير جداً، وهو مبني بالحجارة البازلتية السوداء المحلية، ويتألف من عدة صفوف على شكل نصف دائري.

المراجع

١ـ آثار سورية القديمة، هورست كلينكل، ترجمة قاسم طوير، دمشق وزارة الثقافة ١٩٨٥م.
٢ـ أفاميا تاريخ وآثار، إعداد راما إلياس كرياكي، دمشق«د.ن» ٢٠٠٠م.
٣ـ الآثار الكلاسيكية، مفيد رائف العابد، دمشق، جامعة دمشق ١٩٩٥م.
٤ـ الآثار في جبل حوران، علي أبوعساف، دمشق «د. ن» ١٩٩٧م.
٥ـ الآثار في محافظة درعا، سليمان مقداد، دمشق «د. ن» ١٩٨٠م.
٦ـ الحوليات الأثرية العربية السورية، سليم عبدالحق، ١٩٦٤م.
٧ـ بصرى دليل أثري وتاريخي، سليمان مقداد، دمشق ، وزارة الثقافة ١٩٨٥م.
٨ـ تدمر والتدمريون، عدنان البني، دمشق ، وزارة الثقافة، ١٩٧٨م
٩ـ جريدة البعث السورية ، شباط، ١٩٩٧م.
١٠ـ جريدة الثورة السورية، كانون الأول، ١٩٩٧م.
١١ـ محافظة حلب، عبدالرحمن حميدة، دمشق، وزارة الثقافة ١٩٩٢م.
مصادر الصور: الكاتب والإنترنت.

وصف الزلازل في الكتابات العربية القديمة

عماد عبدالرحمن الهيتي
طرابلس - ليبيا

يطلق علماء الزلازل على الهزات الأرضية التي زلزلت الأرض قبل بداية عصر التسجيل الآلي للزلازل، وبالتحديد في مطلع القرن العشرين، تسمية الزلازل التاريخية. إن معلوماتنا عن هذه الزلازل هي معلومات وصفية. يتملك العالم العربي والإسلامي تأريخًا زلزاليًا جيد التوثيق قد يمتد إلى آلاف السنين، فقد عثر على رُقُم طينية في العراق تضمنت معلومات تصف الآثار التي أحدثها زلزال العراق قبل بضعة آلاف سنة.

ترمي الدراسة الحالية إلى الاطلاع على وصف الزلازل في الكتابات العربية القديمة وموازنة هذا الوصف مع مثيله من الزلازل التي تزلزل الأرض في الوقت الحاضر.

الكتابات العربية

تصنف الكتابات العربية التي وصفت الزلازل في نوعين من الكتابات: هما الكتب والرسائل المختصة بالزلازل وكتب التأريخ:

- الكتب والرسائل المختصة بالزلازل:

يتضمن هذا النوع من الكتابات الكتب والرسائل المختصة بوصف الزلازل وآثارها في الإنسان وممتلكاته وبيئته الطبيعية. وفيما يأتي عرض مختصر للرسائل والكتب التي تناولت وصف الزلزلة:

- «جمل الإيجاز بنار الحجاز» للقطب محمد بن أحمد القسطلاني.
- «تحصين المنازل من هول الزلازل» لأبي الحسن علي بن الجزار.
- «الحوقلة في الزلزلة» لحامد بن علي العمادي.
- «الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية» لياسين العمري.
- «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» لجلال الدين السيوطي.

وتعدّ هذه الرسالة من أفضل الرسائل المختصة بوصف الزلزلة وآثارها التي وردت إلينا، وهذه الرسالة تبرز مدى اهتمام العرب بدراسة هذه الظاهرة الطبيعية. وتوجد منها عشرون نسخة مخطوطة في دول العالم المختلفة. حققت هذه الرسالة بنصها الكامل في المغرب اعتماداً على أربع نسخ خطية من قبل عبداللطيف السعداني.

كتب التاريخ

إضافة إلى الرسائل والكتب المختصة بوصف الزلزلة، هناك عدد من كتب التأريخ التي تضمنت



الزلازل ظاهرة كونية اهتمت بها الكتابات العربية القديمة

وصفًا للزلازل التي حدثت في الفترات التاريخية التي أرخ لها مؤلفو هذه الكتب، وفي أدناه أهم كتب التاريخ التي وصفت الزلازل ووفقا لتسلسل تواريخ وفاة مؤلفي هذه الكتب:

- «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبري «ت ٣١٠هـ».
- « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي «ت ٥٩٧هـ».
- «الكامل في التاريخ» لابن الأثير «ت ٦٣٠هـ».
- « تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان» لأبي الفضائل محمد بن علي «ت ٦٣١هـ»
- « البداية والنهاية» لابن كثير « ت ٧٧٤هـ».
- «كنز الدرر وجامع الغرر» للدواداري «ت ٧٣٦هـ».
- «السلوك لمعرفة دول المماليك» للمقريزي «ت ٨٤٥هـ»
- «أبناء الغمر بأنباء العمر» لابن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ».
- بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس «ت ٩٣٠هـ».
- «بغية المستفيد» و« الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد» لابن الديبع (ت ٩٤٤هـ).
- «شذرات الذهب في أخبارمن ذهب» لابن العماد «ت ١٠٨٩هـ».

وصف الزلازل

تضمن وصف الزلازل في الكتابات العربية والإسلامية القديمة مايأتي:

- وصف شدة الزلزال أو قوته:

لوصف شدة الزلزال أو قوته في الكتابات العربية، استعملت عدة تعابير وصفية من قبيل زلزلة مهولة وزلزلة عظيمة وزلزلة شديدة أو رجفة شديدة أو عظمى، وزلزلة صعبة وزلزلة خفيفة وزلزلة لطيفة،

وفيما يأتي نماذج لوصف شدة عدد الزلازل التي زلزلت مناطق مختلفة من العالم العربي والإسلامي أو قوتها:

«في ١١ربيع الأول من سنة ٢٣٣هـ كانت زلزلة مهولة بدمشق، ... إلخ» السيوطي ص ٢٥.

« وفي سنة ٢٢٦ هـ زلزلت الأهواز زلزلة شديدة ... الخ» ابن الأثير ٥٩١/٦.

«في ٢٠ صفر من سنة ٦٢٢هـ زلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة» ابن الأثير ٤٤٧/٢١.

- وصف الخسائر البشرية:

استخدم العرب في كتاباتهم لوصف الخسائر البشرية، تعابير وصفية، بالإضافة إلى إعطاء أرقام محدودة لهذه الخسائر. فمن التعابير الوصفية، «هلك فيه خلق كثير» و «مات تحتها خلق كثير لايحصون»، و«هلك تحت الردم خلق كثير»، «قتلت خلقا». وفيما يأتي نماذج لوصف الخسائر البشرية التي تحدثها الزلازل:

«وفي سنة ٢٢٤هـ، زلزلت فرغانة فمات فيها خمسة عشر ألفًا ...الخ» السيوطي ٢٥.

«في سنة ٢٤١هـ، كانت بالري زلزلة شديدة هدمت المساكن، ومات تحتها خلق كثير لا يحصون ... الخ» ابن الأثير ٨٠/٧.

«في رجب من سنة ٧٣٩هـ، وفيها حدثت زلزلة بطرابلس «الشام»، وهلك فيها ستون إنسانًا» المقريزي ٤٧٠/٢».

- وصف الزلازل الرادفة «للاحقة»:

يقصد بالزلازل الرادفة: الزلازل التي تلي حدوث الزلزال الرئيس، وقد يستمر حدوث هذه الزلازل خلال فترات تراوح بين عدة ثوان وعدة سنوات بعد الزلزال الرئيس. سجلت الكتابات التاريخية وصفا لهذا النوع من الزلالزل، نورد نماذج منه أدناه:

«في سنة ٩٤هـ، كانت الزلازل بالشام ومادامت أربعين يومًا فخربت البلاد... الخ» ابن الأثير ٥٨٢/٤.

« وفي سنة ٢٢٦هـ، زلزلت الأهواز زلزلة شديدة، خمسة أيام ... الخ» ابن الأثير ٥٢١/٦.

« في ٨ شوال سنة ٤٥٠هـ، بين المغرب والعشاء، كانت زلزلة عظيمة لبثت ساعة ..الخ» ابن الجوزي ١٩٠/٨.

- وصف تأثير الزلازل في سطح الأرض:

تظهر على سطح الأرض تبدلات مهمة عند حدوث الزلازل، وتتجلى هذه التغيرات في تشكل الشقوق، وحدوث الانهيارات والالتواءات، وارتفاع بعض الأماكن، وخسف أماكن أخرى. مثل هذه التغيرات في مظاهر سطح الأرض ترافق زمن حدوث الزلزال. وهناك تغيرات تحدث بعيد وقوع الزلازل، تتمثل بالانهيارات الصخرية الكبيرة، وبانزلاق الصخور القليلة التماسك، وقد يرافق ذلك ظهور الغبار وتشكل سيول الأطيان وبخاصة في المناطق الجبلية كما أن بعض العيون قد تظهر، وأخرى قد تختفي، وفيما يأتي نماذج لوصف مثل هذه التبدلات التي تظهر على سطح الأرض عند وقوع الزلازل وبعدها:

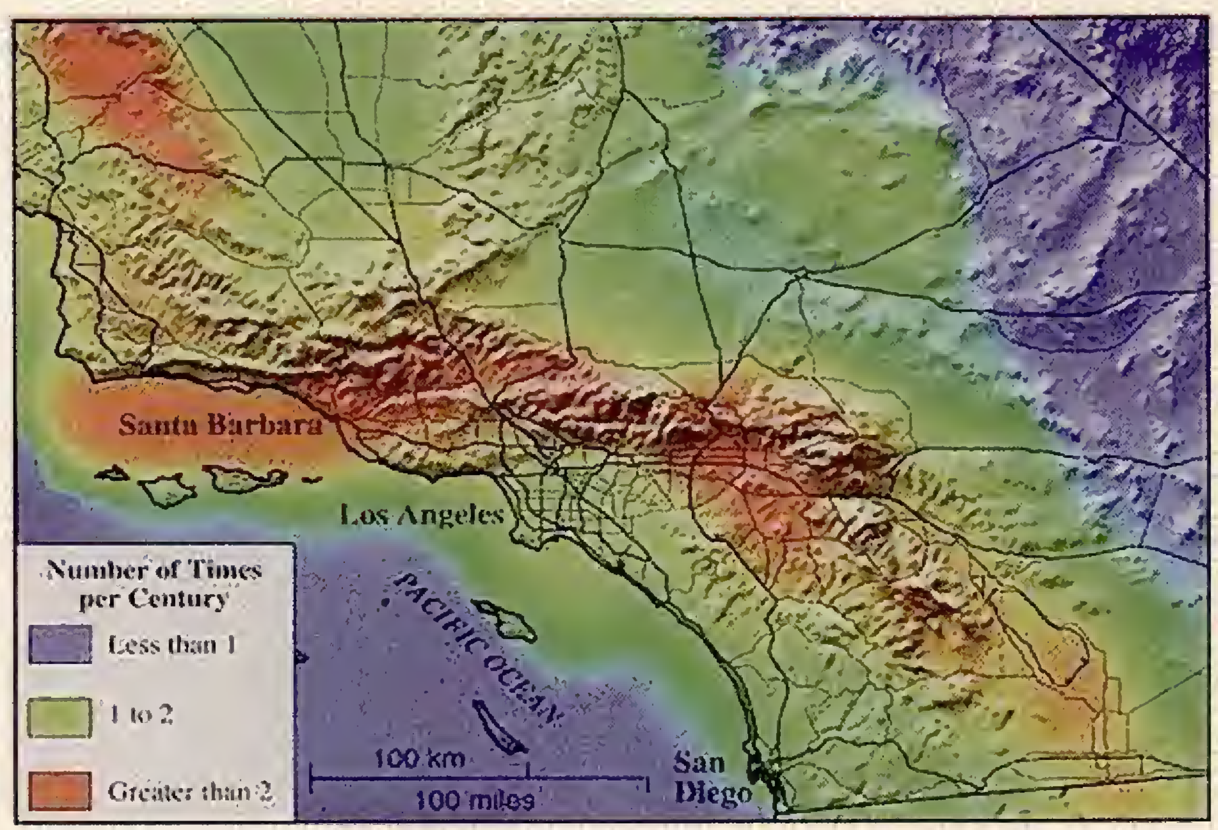
«في شهر شوال من سنة ٢٤٥هـ، غارت عيون مكة.. وعبرت الزلزلة الفرات ...الخ» السيوطي٢٧.

«في سنة ٣٠٠هـ، ورد الخبر بانخساف جبل بالدينور يعرف بالتل، وخروج ماء من تحته أغرق عدداً من القرى. ووصل الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر» ابن الجوزي ١١٥/٦.

« في سنة ٦٠٠هـ، وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري، والبلاد الشامية: دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها، وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت فيها الأبنية، وتشققت الجبال، وتقطعت الصخور، وتفجرت الأرض عيونًا، وخرج الناس من مساكنهم» القلقشندي ١١٤/٢.

- وصف مايعرف الأن بالأمواج البحرية الزلزالية «التسونامي»:

ينجم عن الزلازل التي تقع بؤرها في قيعان البحار والمحيطات موجات مائية هائلة تسبب الخراب والدمار



قدمت الكتابات العربية وصفاً شاملاً للزلازل ما عدا المعاملات الكمية المرتبطة بتطور تقنية تسجيل الزلازل

للمدن الساحلية، وتسمى هذه الأمواج بـ«تسونامي» ومعناها موجة الميناء. من علامات هذه الأمواج انسحاب المياه من الساحل إلى داخل البحر، وبعد فترة تعود المياه إلى الساحل بسرعة كبيرة وبشكل موجات عالية قد يصل ارتفاعها إلى ١٢متراً، وصف العرب في كتاباتهم هذه الظاهرة، وهذا يدل على أن العرب كانوا مدركين تماماً لعلاقتها بالزلازل. وفي أدناه نماذج من هذا الوصف:

«في سنة ٧٤٩هـ، حدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة «ميناء فاماجوسطة» نحو مئة قصبة، فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت ، ...الخ» المقريزي ٧٧٦/٢.

«في سنة ٣٩٨هـ، وقعت رجفة بشيراز غرقت بسببها مراكب كثيرة في البحر» السيوطي ٣١.

«في جمادى الأولى من سنة ٤٦٠هـ، كانت زلزلة بأرض فلسطين، أهلكت بلدة الرملة ... وغار البحر مسيرة يوم وساح في البر وخرب الدنيا، ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون، فرجع إليهم فأهلك خلقًا عظيمًا منهم».

- وصف الأنشطة البركانية المصاحبة للزلازل:

تتضمن الكتابات العربية بعض الإشارات إلى الأنشطة البركانية التي صاحبت وقوع الزلازل. وفي أدناه نماذج لوصف تلك الأنشطة:

«وفي غرة جمادى الآخرة من سنة ٦٥٤هـ، كان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة، وابتدأ بزلزلة خفيفة أحس بها سكان المدينة المنورة، ثم اشتدت ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه، وفي الثلث الأخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة أشفق الناس منها، وانزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت إلى يوم الجمعة.

وظهرت النار يوم الجمعة شرق المدينة على مرحلة متوسطة منها «نحو خمسين كيلو متراً» ... ثم عرجت واستقبلت الشام سائلة إلى أن وصلت إلى موضع يقال

له قرين الأرنب بقرب من أُحُد فوقفت وانطفت ... واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال وتسيل ذريعا مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد، في واد يكون طوله أربعة فراسخ «٢٣٦ كيلو متراً» وعرضه أربعة أميال «نحو ثمانية كيلو مترات» وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك ..الخ» السمهوري ١/١٠٠ـ١٠٦.

وصف الارتباط بين حدوث رياح عاصفة وكسوف الشمس وانخساف القمر وحدوث الزلزلة:

تضمنت الكتابات العربية إشارات إلى ارتباط بين حدوث رياح عاصفة أو كسوف وحدوث الزلزلة. وهنا لابد من الإشارة إلى أن علماء الزلازل المحدثين لم يشيروا إلى وجود علاقة بين حدوث رياح عاصفة أو كسوف أو أي ظاهرة طبيعية أخرى وحدوث الزلزلة. وفي أدناه نماذج لوصف هذه الظواهر الطبيعية:

«في سنة ٥٤٩هـ، زلزلت الأهواز زلزلة شديدة خمسة أيام، وكان مع الزلزلة ريح شديدة، فخرج الناس عن منازلهم وضُرِب كثير منها» ابن الأثير ٥٢١/٦.

«في١٧صفر من سنة ٨٢٢هـ، كسفت الشمس قبل الزوال.. واتفق وقوع زلزلة في هذا اليوم في مدينة أرزنكان، ... إلخ» العسقلاني ١٩٢/٣.

«وفي سنة ٢٨٠هـ ـ فيما ذكر ـ في ذي الحجة ورد كتاب من دبيل بانخساف القمر في شوال لأربع عشرة خلت منها، فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء، فلما كان ثلث الليل، زلزلوا فأصبحوا وقد ذهبت المدينة، فلم ينج من منازلها إلا اليسير ...إلخ» الطبري ٣٤/١٠.

ـ وصف الأصوات المصاحبة للزلازل:

كثيراً مايبلغ حين وقوع الزلازل عن سماع أصوات وهدير أو ضجيج مخيف، ولوحظ أن بعض الأصوات يسمع قبل وقوع الزلزلة، وبعضها يرافقها، والأخرى بعدها. وتوجد إشارات في الكتابات العربية تصف هذه الأصوات، وفي أدناه نماذج منها:

«في شعبان من سنة ٢٤٢هـ، زلزلت الري وجرجان ... وسمع للسماء والأرض أصوات عالية ... الخ» ابن العماد ٩٩/٢.

«في شوال من سنة ٢٤٢هـ، ... ... كانت في إنطاكية زلزلة ورجفة قتلت خلقاً كثيراً، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمعوا أصواتاً هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل ..... الخ»الطبري ١٢١/٩ـ٢١٣.

ـ وصف ردود أفعال الناس عند وقوع الزلزلة:

احتوت الكتابات العربية، وصفاً لردود أفعال الناس عند وقوع الزلزلة، والتي تراوحت بين الخوف والرعب وترك منازلهم والخروج إلى التضرع والصلاة، ولوم النفس، وأنتشار السرقات، وتهيئة الظروف الملائمة للغزو. وفيأدناه نماذج لوصف ردود أفعال الناس عند وقوع الزلزلة:

«في سنة ٢٢٥هـ، كانت رجفة في الأهواز عظيمة، تصدعت فيها دور كثيرة، وهرب أهل البلد إلى البر وإلى السفن ....الخ» ابن العماد ٥٦/٢.

«.... فيما كان يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة من سنة ٧٠٢هـ، عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها، وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة ... وفقد الناس من الأموال شيئاً كثيراً، فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شيء مما فيه، فدخلها أهل الدعارة، وأخذوا ما أحبوا .... الخ» المقريزي ٩٤٢/١ـ٩٤٣.

دراسة مقارنة بين وصف الزلزلة حديثًا ووصفها في الكتابات العربية

في هذه الفقرة سوف نجري موازنة بين وصف الزلزلة في الكتابات العربية القديمة ووصفها حالياً، مع ملاحظة الفارق في أن الذين يقومون بوصف الزلزلة في الوقت الحاضر هم علماء متخصصون بدراسة الزلازل، يقومون بتسجيل كل صغيرة وكبيرة عنها بينما اعتمد وصف الزلزلة في الكتابات العربية القديمة على مؤرخين أو علماء موسوعيين ذوي اهتمامات متعددة ونورد فيما يأتي وصفاً لزلزال كوانتا في اليابان، الذي زلزل الأرض في مدينتي طوكيو ويوكوهاما في الأول من سبتمبر/ أيلول عام

١٩٢٣:« في الأول من سبتمبر / أيلول عام ١٩٢٣م، زلزلت الأرض في مدينتي طوكيو ويو كوهاما، لقد هدم الزلزال في كثير من المدن الصغيرة على امتداد خليج ساغامي مانسبته ٥٠٪ من البيوت، بل ارتفعت النسبة أحيانًا إلى ٨٠٪. وكان الضرر الأشد في تلك المدن أو أجزاء المدن التي كانت مبنية فوق توضعات صخرية ورباعية هشة. بينما قلّت الأضرار بوضوح وسط الأبنية المشادة فوق قواعد صخرية صلبة. كما كان للحرائق دور مهم في تخريب البيوت في بعض المدن لقد ظهرت تبدلات واضحة في أعماق الخليج، مما ساعد على ظهور كتلة مَوجية عاتية ضربت الشواطئ القريبة بعنف، وكان ارتفاعها ١٠م، وهذه هي أمواج التسونامي. تجمعت في البؤرة السطحية للزلزال مظاهر طريفة مرتبطة بالمياه الجوفية، فلقد اندفعت في كثير من المواضع النافورات المائية بسبب الزلازل ويقول شاهد عيان: «لقد انطلقت أصوات صفير دوت بشدة ثم تلتها صدمة قوية، تهدمت نتيجة لها خُمس المباني تقريبًا، ولقد حدثت الهزة ظهراً تقريبًا، أي في الوقت الذي كان يحضرون فيه وجبات الغذاء».

لقد هبت رياح قوية زادت من استعار الحرائق، ومن تلاحمها في الأماكن. وعندما انتهت النيران كان عدد الضحايا في مدينة يو كوهاما أكثر من ١٠٠ألف نسمة و٤٠ ألف جريح ودمار ٤٠٠ ألف منزل تماماً بسبب الحرائق والهزات الأرضية. كثرت بعد الهزة الرئيسة الهزات المرادفة «اللاحقة». وظهرت في شمال وشرق خليج ساغامي انشطارات صخرية كثيرة وتأثر قاع الخليج بالزلزال بشدة، فلقد هبط وسطه بمقدار ١٠٠-٢٠٠ متر، وفي جزئه الشمالي ارتفع القاع بمقدار ٢٥٠متراً».

من تحليل النص أعلاه، نجد وصفًا لعدد من الظواهر المرافقة لحدوث الزلزلة والظواهر التي تلي حدوثها، فقد تضمن وصفًا لحجم الخسائر البشرية، وحجم الدمار الذي أصاب مديني طوكيو ويوكوهاما، ووصف النص التبدلات التي تعرض لها قاع خليج ساغامي الذي هبط وسطه كما وصف النص الموجات الزلزالية البحرية «التسونامي». ووصف النص أصواتًا سبقت حدوث الزلزلة، كما وصف هبوب ريح قوية تلت حدوث الزلزلة، كذلك وصف النص ظهور تشققات صخرية. ووصف النص أيضًا الهزات الرادفة للهزة الرئيسة.

عند موازنة هذا الوصف بالوصف الوارد في الكتابات العربية القديمة والذي استعرضنا نماذج منه سابقًا، نجد أن وصف الكتابات العربية للزلزلة وآثارها كان دقيقًا، ولايختلف عن وصف الزلازل الآن، باستثناء معاملات الزلزلة المتعلقة بالجانب الكمي «القياس»مثل عمق البؤرة الزلزالية والمقدار الزلزالي وغيرها من المعاملات الكمية، التي أمكننا الحصول عليها نتيجة للتطور في تقنية تسجيل الزلازل، والتوسع في نشر محطات الرصد الزلزالي والتقدم في معالجة البيانات الزلزالية باستخدام الحاسب الآلي.

وختاما نقول: ان الكتابات العربية القديمة أظهرت مدى اهتمام العرب بتوثيق كل ما يتعلق بالزلزلة وتدوينه، وهذا سهّل لعلماء الزلازل العرب والأجانب المحدثين بناء سجل زلزالي يغطي فترة زمنية تتجاوز ألف سنة، وكان هذا السجل جيد التوثيق لقد انتفع من هذا السجل، ومـا زال ينتفع منه علماء الزلازل عند دراستهم للمخاطر الزلزالية لأي منطقة يخطط أن يقام فيها مشروعات إستراتيجية مثل السدود والمفاعلات النووية.

المراجع

- الزلازل - حقيقتها وآثارها. شاهر جمال آغا - سلسلة عالم المعرفة - عدد ٢٠٠، الكويت ١٩٩٥.
- أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي - عبدالله يوسف الغنيم - دراسة جغرافية - وثائق الحلقة الدراسية العربية الثالثة للعلوم الزلزالية، ص ٢٥-٨٩ - المكتبة العربية السعودية ١٩٨٦م.
- علم الزلازل في التراث العربي والإسلامي - عماد عبدالرحمن الهيتي، وعبدالوهاب كاظم - بحث تم إلقاؤه في الندوة التاسعة لمركز إحياء التراث العربي في جامعة بغداد، مايو / أيار١٩٩٣.

عملية التخاطر الاتصال عن بعد

عبدالرحمن محمد العيسوي

الإسكندرية - مصر

يطرح هذا المقال المتواضع مجموعة من الأسئلة المهمة منها: هل في الإمكان أن يصل الإنسان إلى معرفة عقلية أو إدراك حسي دون الاعتماد على حواسه المعروفة؟ وهل يسير الإنسان دائماً وفقًا لخطوات التفكير العلمي والمنطقي الذي يبدأ بالمقدمات، ثم ينتهي إلى النتائج، والذي يعتمد على جمع الشواهد والأدلة والبراهين والمعلومات والمعطيات أو المدخلات؟ وهل في الإمكان حدوث معرفة أو صدور قرارات وأحكام دون مدخلات للحس أي مثيرات أو تنبيهات حسية؟

وهل صحيح أن هناك أناساً يستطيعون قراءة عقولنا ومعرفة محتواها أو ما يدور بداخلها؟ وهل يوجد في الإنسان قوى نفسية خارقة تتجاوز حدود المنطق والحس؟ وهناك من يدعي قدرته على التنبؤ بأحداث المستقبل، فما موقف العلم من هذه الادعاءات؟ وما طبيعة الأحلام؟ وما مدى مطابقة الأحلام لعالم الحقيقة والواقع؟ وما مدى اعتمادها على القوى الحاسة في الإنسان؟ وهل الحلم مجرد محاكاة للواقع أم أنه حاله يختلط فيها الواقع بالخيال وبالأوهام والهلاوس؟ وهل هناك مايُعرف بالأحلام التنبئية؟ وما طبيعة عملية التنويم المغناطيسي؟.

معرفة بلا حواس

هل يوجد إدراك أي معرفة أو وعي دون عملية الإحساس؟

هناك بالطبع المعرفة العقلية والمشاعر الروحية والإلهام أو الإشراق والحدس حيث تهبط الفكرة على ذهن الإنسان كالوهج أو الضوء أو الإشراق، وتعرف هذه الظاهرة بظاهرة الحدس أو المعرفة الحدسية أو الإلهامية أو الروحية أو الاشراقية Intuition والتي لا ينتقل العقل فيها من خطوة إلى أخرى من خطوات التفكير العلمي أو المنطقي أو الانتقال من المقدمات إلى النتائج. ويمر الذهن بالخطوات الآتية حتى يصل إلى المعرفة أو إلى الحكم.

خطوات التفكير العلمي أو المنطقي

- الإحساس بالمشكلة أو الوعي بها.
- وصف المشكلة وتحديدها وتعريفها.
- فرض الفروض، أي وضع الحلول المبدئية لهذه المشكلة.
- جمع الأدلة والشواهد والبراهين والحصول على البيانات والمعلومات والمعطيات من خلال إجراء التجارب والمقابلات والملاحظات والقياسات والاطلاع على الملفات والسجلات واستطلاع التراث العلمي الخاص بالمشكلة المراد الوصول إلى حل بشأنها.
- التحقق التجريبي من صحة الفروض أو بطلانها، وقد يتطلب الأمر حذف بعض الفروض أو تعديلها أو وضع غيرها وإصدار الحكم أو الوصول إلى النتيجة.

والمفروض، في الظروف العادية، أن تحدث عملية الإحساس أولاً Sensation بالموضوع المراد دراسته، وذلك من خلال الحواس الخمس المعروفة وهي السمع، والإبصار، والتذوق، والشم، واللمس، وبعد عملية الإحساس يضفي الإنسان المغزى أو المعنى والدلالة أو الوظيفة لمادة الإحساس، فيعرف معناها ودلالتها ووظيفتها، ولكن يثور جدال حول هل كنا لا ندرك فقط إلا مانحس



به؟ أو أننا قادرون على الإدراك دون أن نتلقى مدخلات حسية سمعية أو بصرية أو شمية أو ذوقية أو لمسية Without sensory input أو ما يُعرف، في إطار الباراسيكولوجي، باسم ماوراء الحس، أو مافوق الحس، أو ماهو أبعد من الحس، أو وجود حس إضافي Extrasensory perception.

هل يوجد لدى بعض الناس مايمكن أن نسميه بالحاسة السادسة؟

لقد دلت بعض الدراسات التي أجريت في المجتمع الأمريكي على أن هناك نصف أفراد العينة يعتقدون صحة الإدراك الحسي الزائد أو الإضافي (ESP.) وأن ربع العينة قرروا أنهم ليسوا متأكدين. أما أجهزة الإعلام الجماهيرية فتسرد عدداً من الخيالات النفسية Psychic wonders كحل الجرائم، وتحقيق الأحلام، أو وجود الأحلام التنبئية، ومعرفة المستقبل أو التنبؤ بالمستقبل، والعروض السينمائية والتلفازية تعمل ذلك، ومطالعة البخت، وقراءة الفنجان، وقراءة الكف، ومعرفة الحظ.

ولكن يتساءل علماء النفس هل يوجد حقاً أناس يستطيعون قراءة ما يدور في أذهاننا أو في عقولنا أو يستطيعون الرؤية مع وجود حواجز أو سدود أو عوائق أو حوائط؟ وهل هناك من يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل نحن المسلمين نقول: «كذب المنجمون ولو صدقوا».

ويدرس الباراسيكولوجي أي ماوراء علم النفس، الظواهر التي هي فوق طبيعية أو ما وراء السواء من الظواهر Paranormal happenings ويندهش الملاحظون عندما يشاهدون أناساً يعرفون محتويات بعض المظاريف المغلقة Discerning the contents of sealed envelopes، أو معرفة مصير الغائبين، أو مكان الأشياء المسروقة، أو يقوم من يدعي هذه القدرة برسم الصورة التي يراها شخص آخر يقع على بعد آلاف الأميال منه.

موقف العلم من هذه الظواهر الخارقة

ولكن ما موقف العلماء من هذه الظواهر الخارقة لنواميس الطبيعة؟

الغالبية الساحقة من العلماء يتشككون في صحة هذه الظواهر فقد تبين أن هناك ٩٦٪ من علماء أكاديمية العلوم الأمريكية القومية The National Academy of Science يشكون في صحة هذه الظواهر والعرف السائد بين العلماء أن عقولنا تخضع لأدمغتنا.

وأن معرفتنا بالعالم الخارجي وما يحيط به من الأشياء والموضوعات وما يجري فيه من أحداث نتعرفها من خلال حواسنا، أو من خلال عملية الإحساس، ولكن المعرفة العلمية تمتاز بالمرونة والتطور والنمو وعدم الجمود أو التحجر، كما يدلنا على ذلك استطلاع تاريخ العلم، فقد ظهرت ظواهر غيرت مفهوم الناس لمعرفة قوانين الجاذبية والتطور وقوانين الصوت والضوء ونظرية النسبية. فهل سيأتي اليوم الذي نستطيع فيه أن نتحقق من صحة أدعاء بعض الناس أنهم يقرؤون ما يدور بأفكارنا، أو يحسون بالأحداث والوقائع التي تجرى على بعد آلاف الأميال منا أو أنه في وسعهم رؤية الأشياء من خلال الحوائط، أو التنبؤ بما سوف يحدث من أحداث في المستقبل، أو يستطيعون استقبال رسائل وإرسالها لأناس على بعد عشرات الأميال؟ هل في الإمكان الإحساس عن بعد، الإحساس في غيبة المحسوسات أو موضوعات الحس؟

الانفتاح الذهني

يتناول العلماء مثل هذه الظواهر بعقول مفتوحة، ويحاولون التحقق التجريبي من صحتها، ولكنهم في النهاية لا يزالون

يتشككون في صحتها. من هذه الظواهر الخارقة تنبؤ بعضهم بالأحداث الفلكية قبل حدوثها، أو العلاج النفسي أو الشفاء النفسي من الأمراض المستعصية دون معالجة حقيقية، كذلك عملية التناسخ Reincarnation، أو الادعاء بالقدرة على الاتصال بالموتى، أو تحضير أرواحهم والتحدث إليهم، أو الطيران في عباب السماء.

ولعل أهم هذه الظوهر التي يمكن نسبياً إخضاعها للمحكات العلمية مايأتي:

- ظاهرة التخاطر Telepathy، وهي الاتصال من عقل إلى آخر كأن يرسل فرد ما أفكاره إلى شخص آخر، أو يستقبل أو يدرك أفكاراً آتية إليه من عقل شخص آخر دون وسائط، أو دون أدوات الإرسال أو الاتصال المعروفة كالهاتف أو التلفاز أو الإنترنت أو الاتصال الشخصي المباشر، أو من خلال مكبرات الصوت والتلغراف.

- ظاهرة الاستشفاف Clairvoyance، وفيها يدعي الفرد إدراك أشياء بعيدة، أو أحداث تقع بعيدة عنه، كأن يرى الإنسان أن النيران تشتعل في منزل صديقه.

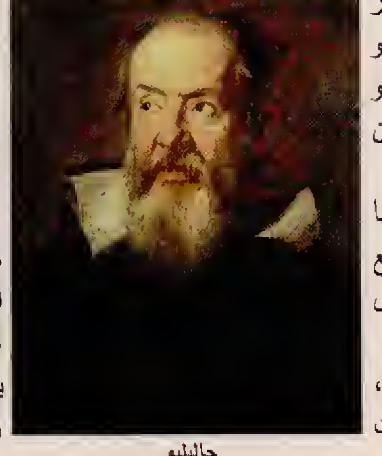
- المعرفة بأحداث المستقبل Precognition، كأن يتوقع الفرد موت إحدى الشخصيات السياسية البارزة، أو وقوع هزيمة بأحد الفرق الرياضية الكبرى، أو نشوب حروب أو معارك، أو حدوث هزات أرضية، وما إلى ذلك.

- التأثير العقلي في الأشياء والمواد Psychokinesis= mind over matter، من ذلك تحريك مائدة ما كأن ينظر الإنسان إلى جماد فيحركه.

ففي إحدى الدراسات قدم الباحثون قائمة بأرقام من ١-٥ لمجموعة من الطلاب في إحدى الجامعات الأمريكية بلغ عددها ١٧٩ طالباً شاركوا في هذه الدراسة، ووضعوا ١٠٠قائمة من هذا النوع في مظاريف وأغلقوها وطلبوا من الطلاب أن يخمنوا عن محتويات هذه المظاريف وما فيها من أرقام . ووفقاً للمصادفة وحدها، أو لقانون الاحتمال، فإنه كان من المتوقع أن ينجح الطالب مرة واحدة في كل ٥ كروت، أي أنه ينجح في ٢٠مرة في كل مائة. ولقد عمد الباحثون إلى إخبار العينة بأن ظاهرة الخوارق النفسية هذه مفيدة فكان متوسط أداء العينة هو ٢٠.٦٦ استجابة صائبة في كل مئة كرت. ولكنهم عندما أحيطوا علماً بأن ظاهرة الخوارق النفسية هذه ضارة، انخفض متوسط الأداء الناجح إلى ١٩.٤٩محاولة ناجحة.

فالإحاطة بفائدة الظواهر النفسية الخارقة تؤدي إلى زيادة الاستجابة الناجحة، بينما الإحاطة بأنها ضارة تؤدي إلى انخفاض معدلات الأداء الصائب وذلك بفارق ضئيل هو ٢٠.٦٦-١٩.٤٩= ٠.١٧، ولكنه كان دالاً إحصائياً. وعلى ذلك خلص الباحثون إلى أن هذه الظواهر من الممكن أن تحدث في حالات نادرة.

العلماء الذين يعتقدون صحة هذه الظوهر يتهمون الشكاك فيها بالجمود والتعصب. ولقد تبرع أحد الأدباء الإنجليز بمبلغ ٧٠٠ ألف دولار أمريكي لإنشاء كرسي لوظيفة علم نفس ما فوق، أو ما وراء الطبيعة، وزعم أن رفض علماء اليوم قبول هذه الظواهر يشبه ذلك الرفض الذي أتى من قبل العلماء الإيطاليين الذين رفضوا النظر إلى الأقمار من خلال منظار جاليليو ، لأنهم كانوا يعتقدون خطأ أن هذه الأقمار ليست موجودة من منطلق الشك التعصبي، أو العناد في الشك، وهو يعمى عيون الناس، عن إدراك الحقيقة ولكن الشكاك يقولون: إن عقل الإنسان يجب أن يكون ناقداً وواعياً، وإلا أصبح عقلاً ساذجاً سهل الانخداع Gullible min.



جاليليو

دعاة هذه الحيل يجعلون المشاهدين يشعرون بالدهشة والاستغراب، إذ يتظاهرون أنهم يتصلون بأرواح الموتى، وأنهم يقرؤون ما يدور في عقول الناس الأخرين من أفكار أو يحركون الأشياء الساكنة Levitate objects أي جعل الأشياء تسبح في الهواء، أو تطير في الهواء وكأنها خفيفة جداً، ولكن هذه الأعمال ليست سوى خداع للحواس، أو من قبيل الخداع والنصب والاحتيال Illusions كما يفعل «السحرة» على خشبة المسرح. وفي الحقيقة لقد شرح كثير من هؤلاء السحرة السر وراء هذا الخداع Deceptions، ويستدعي كثير من المدارس بعض هؤلاء السحرة لأداء مهاراتهم هذه أمام الطلاب ثم شرح سرها.

قوة خارقة؟

هل توجد قوة نفسية خارقة في الإنسان، أو على الأقل في بعض الناس؟

لقد ذهب بعض «السحرة» إلى معمل الدراسات الباراسيكولوجية، وعرضوا استعداداتهم لممارسة هذه

الأنشطة الخارقة لنواميس الطبيعة في محاولة لتحدي قوانين الطبيعة To defy the laws of nature أمام حشد من العلماء والطلاب.

ولقد كانوا يتظاهرون بالقيام ببعض الأنشطة الخارقة للعادة، مثل لي الأشياء المصنوعة من المعدن أو ثنيها دون بذل أي جهود عضلية، وتحريك الأشياء الساكنة والموضوعة في بعض الآنية المغلقة، وتحريك الساعات الموضوعة فوق المائدة. ولذلك صدقهم بعض الباحثين في قبول أحداث تستعصي على الفهم والشرح أو التفسير(١).

القدرة على التنبؤ بالمستقبل

ولكن هل يستطيع هؤلاء الناس معرفة المستقبل؟ لقد تبين أن مجموعة من هؤلاء لم تنجح في التنبؤ الصائب بالمستقبل إلا في حالتين فقط من مجموعة ٤٨٦ محاولة. وخلال التسعينيات من القرن الماضي أخفق هؤلاء في التنبؤ بالأحداث الكبرى التي وقعت، وأخفقوا في إدراك الأحداث غير المتوقعة، من ذلك تفكك الاتحاد السوفيتي The dissolution of the Soviet Union، أو احتلال العراق للكويت.

وقوات الشرطة تكتشف كثيراً من زيف هذه الادعاءات، وعلى حد تعبير أحد الأمثلة الإسبانية، فإن الشخص الذي يكثر من الكلام قد يأتي من بين كلامه ما هو صحيح بالمصادفة. والمصادفة وحدها مسؤولة عن بعض الأحداث أو ما يعرف باسم قانون الاحتمالات. كذلك فإن تنبؤات هؤلاء تأتي في صورة عامة غامضة ومبهمة، ثم بعد وقوع الأحداث يتم تفصيلها على أساس هذه التنبؤات العامة. كأن يقول لك: سوف تحدث لك أحداث سارة في غضون العامين القادمين. ثم ننتظر أي حادثة سارة تقع بالمصادفة، وندعي صدق هذا التنبؤ وبالمثل إذا قال لك شخص إن حادثاً غير سار سوف يحدث لك، فلا يخلو الأمر من حدوث بعض المنغصات التي قد تؤخذ على أنها دليل على صدق هذا التنبؤ. التفسير يأتي بعد حصول الحدث.

ويعي رجال الشرطة كل هذه الأساليب، بل إن الفضل يرجع إليهم في ضبط كثير من جرائم النصب. فقد أجريت دراسة تناولت رجال الشرطة في ٥٠ مدينة كبرى من المدن الأمريكية لمعرفة هل كانوا قد صادفوا شيئاً من هذه الخوارق النفسية، فأجابت الغالبية الإحصائية، وبلغت ٦٥٪، من مجموعهم، أنهم لم يحدث لهم ذلك، أما البقية التي قررت أنها خبرت ذلك، فلم يقرر أي من رجال الشرطة أن ذلك كان مفيداً بالنسبة إليه في عمله الشرطي، والذي ينبغي أن يقوم على أساس من العلم والمنهج العلمي، وأن يعتمد على الوقائع الثابتة والأدلة القاطعة سواء في النفي أو الإثبات.

هل الرؤية التلفازية للناس العاديين أكثر دقة من هذه الظواهر الخارقة Spontaneous "visions" كما يحدث مثلاً في الأحلام ؟ هل تروى لنا الأحلام ما الذي سوف يحدث في المستقبل ؟ هل تتنبأ الأحلام بالمستقبل؟ لقد قررت نسبة بلغت ٥٠٪ من مجموعة عينة من الطلاب الأمريكيين حدوث ذلك.


فرويد

هل هناك أحلام تنبئية؟ أم أننا نميل فقط إلى رواية الأحلام التي تتحقق فعلاً واسترجاعها؟

تدل بعض التجارب الشخصية أو الذاتية أن أحلام بعض الناس تنبؤية، ولكن حدث أن اختطف نجل شخصية شهيرة أمريكية، وطلب أحد الباحثين من الجمهور أن يسجلوا أحلامهم حول جريمة اختطاف هذا الصبي، ووصله ما جملته ١٣٠٠حلم، ولكن كم في المائة من هذه الأحلام في التنبؤ بمقتله، وكم في المائة تنبؤوا بمكان اختفاء الجثة؟ لقد وجدت مختفية بين الأشجار. فقط ٤٪ من مجموع الأحلام البالغ عددها ١٣٠٠. ولم تكن هذه النسبة أفضل من مجرد المصادفة أو التخمين. الإنسان في الأحلام لا يتنبأ لغيره، وإنما يتنبأ بما سوف يحدث له هو أو للأشخاص المقربين جداً منه.

ولكن في حياتنا اليومية كل منا يتخيل الآلاف من الأحداث والوقائع. وأحياناً تقع فعلاً هذه الأحداث، ولكنه نسبة قليلة، ومع ذلك تثير دهشة الناس. الأحداث العشوائية قد تظهر تأييداً لشيء ما. الأحداث قد تترابط بعضها مع بعض في ظل حدوث ملايين الأحداث على امتداد العالم، أو في شتى أنحاء العالم(٢).

ويقول المتشككون في صحة هذه الظواهر النفسية: إنه بعد إجراء الآلاف من البحوث والدراسات والتجارب لم يحدث إطلاقاً أن وجدت الظاهرة النفسية الخارقة التي يمكن أن يعيد العالم حدوثها أو يكررها غيره تحت الظروف والملابسات نفسها Reproducible E. S. P. phenomenon. ومن مبادئ العلم الحتمية والاطراد وتكرار حدوث الظواهر، كشروق الشمس يومياً، ولم يوجد أي شخص يستطيع أن يمارس مثل هذه

الظواهر بطريقة تقنع الآخرين، ووفقاً للمعايير والمبادئ العلمية. ويذهب هؤلاء إلى القول بأن مثل هذه الظوهر لا توجد في الواقع. ولقد تحدى بعض الناس هذا، وقدموا جوائز باهظة لمن يستطيع أن يمارس أمامهم مثل هذه القدرات الخارقة. ومارس بعضهم ما يدعون ممارسته أمام لفيف من القضاة أو الحكام، ولم يتمكن أي منهم من القيام بمثل هذه الظواهر الخارقة.

في ضوء الشك فقدت الجمعية الأمريكية للباراسيكولوجيا كثيراً من أعضائها، وكثير من المعامل والمختبرات تم إغلاقها، بعد أن فقدت التمويل اللازم لإدارتها، وخاصة خلال الثمانينيات من القرن الماضي.

لقد قررت نسبة ٦٧٪، من المراهقين الأمريكيين في العام ١٩٨٧م، أنهم يعتقدون في صحة هذه الظواهر، ولكن في عام



حالات المشي في أثناء النوم تحدث في فترات النوم الهادئ

١٩٩٢م، انخفض هذا المعدل إلى ٤٣٪، فقط. بل إن اعتقاد صحتها لا يعني القدرة على ممارسة أي منها في الحقيقة والواقع. ولكن هذه تجارب ذاتية شخصية، وليست عامة، وقد توجد أحياناً عند بعض الناس في ظروف خاصة بالغة الشفافية والدقة، ولا توجد عند غيرهم، والعلم دائماً يقوم على أساس الأدلة الواقعة التي تؤيد الظواهر التي يدرسها، فالعلم يستهدف وصف الظواهر وتصنيفها وتفسيرها أي معرفة أسبابها بغية التنبؤ بها والتحكم فيها، والعلم يقوم على أساس العموميات وليس على أساس الخبرات الفردية الذاتية، كالإلهام والإشراق. ويقدم بعض علماء النفس اختبارات تُعرف باسم Gangfeld tests للتحقق من الظواهر النفسية الخارقة للقانون الطبيعي.

وفي مثل هذا الاختبارات يُحرَمْ المبحوث من المثيرات الحسية حيث يوضع في مجال إدراكي غير واضح.

ولكن نظرة الشك يجب ألا تجعلنا نغلق أذهاننا وعيوننا حول الادعاءات الخارقة، ذلك لأنه في تاريخ العلم كانت هناك ظواهر تبدو خارقة، وتبين للعلم بعد ذلك أنه صحيحة، فالانفتاح الذهني والمرونة الذهنية مطلوبان ولكنهما لا يجعلاننا نقبل أموراً خرافية. المطلوب التفكير الناقد في ضوء تأكد أن معرفتنا بالعالم المحيط بنا ليست كاملة ومطلقة تماماً. أليس من المحتمل وجود كائنات بالغة الصغر لا نراها، أو وجود قوى غير القوى المادية؟! وعلى حد قول شكسبير: «هناك أشياء أخرى في السماء أو في الجنة، وفوق هذه الأرض لا يعرفها الإنسان بحكم محدودية قدراته الطبيعية».

قد يعتقد الإنسان في صحة مثل هذه الظوهر الخارقة من جراء حدوث خطأ في عملية الإدراك الحسي، أو من خلال عملية الخداع الحسي، أو سوء تفسير ما يراه الإنسان من ظواهر، أو من خلال ما يقع في وظائف الذاكرة من أخطاء، أو من ميلنا نحو الاختيار والانتقاء في عملية استرجاع أحداث الماضي وخبراته. الإنسان لا يتذكر كل شيء أو لا يتذكر مايتذكره تذكراً آلياً كما حدث بالضبط. الإنسان ليس آلة تصوير أو آلة تسجيل ميكانيكية. هناك أناس يتطلعون إلى الاندهاش، وآخرون يعتقدون في السحر والشعوذة. هناك أحداث صعبة التفسير كانحلال الاتحاد السوفييتي دون أن يخوض أي حروب. ألا يوجد إحساسات أخرى لا نشعر بها الآن، ولا نشعر بها في ضوء آليات القياس المتوافرة الآن.

منذ فترة لم يكن تقسيم الذرة أمراً ممكناً، كذلك لم يكن الصعود إلى القمر أمراً ممكناً، ولم يكن هناك أقمار صناعية، ولا شبكات للإنترنت، نحن لانعرف الطبيعة معرفة كاملة ومطلقة. الادعاء بشفاء الأمراض المستعصية أو معرفة الغيب يثير دهشة الناس. قدرات الإنسان على الإدراك محدودة، ولا يزال هناك أمام العلم والعلماء الكثير من الظواهر الغامضة التي تتطلب من الباحث في المستقبل الاهتمام والدراسة. ولا تزال في حاجة إلى إجراء الدراسات التتبعية. أو إلى تطبيق مزيد من إجراءات الضبط التجريبي، والتحكم في المتغيرات والظواهر(٣)

فالاتجاه العقلي نحو العلم يراوح بين قطبين:

الانفتاح الذهني للأفكار والآراء والفروض والادعاءات الجديدة وبحثها حتى ما يبدو منها غريباً وشاذاً في الوقت

الراهن، والشك والريبة في قبول كل الأفكار القديمة والجديدة والتحفظ في قبولها.

منذ فترة من الزمن لم يكن في وسع علماء النفس قياس ظواهر، مثل الاتجاهات العقلية، والعواطف، والأمور المعنوية، قياساً كمياً وموضوعياً، ولقد بات ذلك أمراً ممكناً الآن بل لم يكن من السهل قياس قدرات كالذكاء والإبداع. وحتى الآن لا يعرف العلماء ماذا يحدث داخل الكائن الحي عندما يتعلم الإتيان بسلوك معين أو حل مشكلة ما؛ ولذلك مازلنا نقول: إن الذكاء أو التعلم أو القدرات مفهومات أو تصورات فرضية مجردة ومعنوية، وليس للذكاء وجود مادي محسوس ومجسد أو مشخصاً وإنما نحن الذين نفترض وجوده افتراضاً.

ما وجه الحقيقة والخيال في الأحلام؟

الحلم هو نشاط عقلي يحدث في أثناء النوم، ويحتوي على سلسلة من الصور الذهنية والأحداث والوقائع الخيالة التي، في بعض حالاتها لها معنى نفسي يمكن معرفته عن طريق تفسير أو تأويل الأحلام أو تحليل الأحلام Dream analysis، ومعرفة محتوى الحلم أو مضمونه الباطن. وفي أثناء الحلم تفرض الأنا نوعاً من الرقابة على صور الحلم حتى تمنع الرغبات غير المقبولة من الظهور، ولذلك قد تظهر هذه الرغبة في صورة مستترة أو رمزية أو محرفة حتى تفلت من رقابة الرقيب الداخلي Dream Censorship

والأحلام لا تتمشى دائماً مع الواقع الحقيقي، وإنما قد يحدث لها نوع من التكثيف Dream condensation وبذلك تظهر الصور الذهنية بشكل يتجاوز حدود الزمان والمكان والواقع، ففي الأحلام مدركات حسية دون استخدام الحواس، ولا يخضع الحلم للمنطق أو للواقع. كما أنه ليس خيالاً محضاً ، وإنما تؤثر في الحالم بعض العوامل البيئية المحيطة به وقت النوم أو قبله، وتعرف باسم محددات الحلم، كظروف الحرارة والبرودة والرطوبة والإضاءة والضوضاء والتهوية والألوان، وحالة الجوع أو الشبع التي يكون عليها النائم، أو التعب والإرهاق أو الألم. ومن وظائف الحلم المحافظة على حالة النوم وحراسة النائم ومنعه من الاستيقاظ، وذلك عن طريق تحقيق رغباته المكبوتة، وهناك خداع الحلم Dream illusion.

والحلم لا يسير وفقاً للمطلق العقلاني، وإنما هو تعبير رمزي لرغبات الإنسان المكبوتة، وقد لايكون الحلم تحقيقاً لرغبات مكبوتة، وإنما قد يكون نوعاً من العقاب للفرد(٤).

ويعد بعضهم الحلم نوعاً من الهلاوس السمعية والبصرية أو



اهتمام قديم بالتنويم المغناطيسي الذي يعتمد على الإيحاء

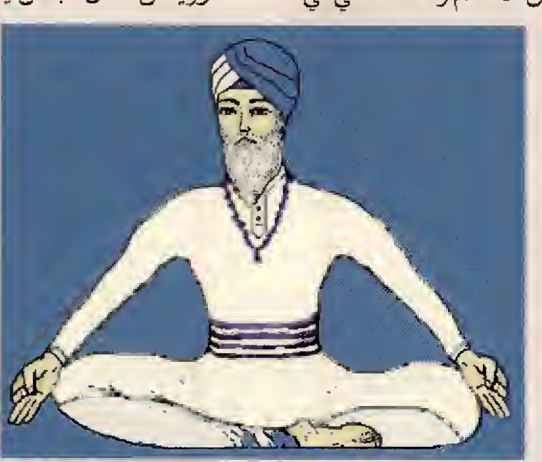
الشمية التي تحدث في أثناء النوم، وقد يكون محتوى الحلم منطقياً ومتماسكاً ومترابطاً، وقد يكون مفككاً وغير منطقي وشاذاً. والأحلام من الحيل الدفاعية اللاشعورية، أو من بين العمليات العقلية اللاشعورية التي من أظهرها الإسقاط والتسويغ والتعويض والتقمص والإزاحة والعكسية والإبطال والإنكار والعدوان والتي تقوم بها الذات الوسطى Ego في الإنسان لحماية نفسه من القلق الحاد.

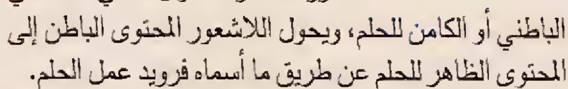
ولقد اهتم فرويد بتفسير الأحلام، ووضع في تفسيرها كتاباً أسماه «تفسير الأحلام» وعدّها تحقيقاً لرغبات مكبوتة، أو رغبات إخفاق الفرد، على مستوى الوعي، في تحقيقها، ولكن الأحلام لا تظهر سافرة علنية، وإنما تظهر بشكل رمزي مموه ومستتر. وقد تكون الأحلام ممسوخة عارية تماماً من المعنى والدلالة، وبعيدة عن منطلق الأشياء والواقع، أو ما يعرف باسم أضغاث أحلام. وفي حالة النوم تقل رقابة الرقيب الداخلي، ولذلك تظهر الأشياء الممنوعة، وإن كانت تظهر بصورة مقنعة أو خفية فالعدو قد يتخذ شكل ثعبان أو وحوش، ولكن الأحلام ليست جميعاً تعبيراً عن اللاشعور، فقد تؤدي الظروف الواقعية والشعورية دوراً فيها، فالأمور التي تشغل بال الفرد قد ترد في إحلامه، ولكنها ليست محاكاة للواقع، وإنما ينطلق فيها خيال الفرد. وقد يكون للحلم محتوى جنسي، وقد يصاحبه الشعور

بالفزع والرعب والخوف، أو الشعور باللذة والمتعة.(٥).

ويتساءل علماء النفس عما يحدث ونحن في أثناء النوم، ولماذا يحلم الناس؟(٦)

الأحلام تحدث سواء في النوم الهادئ أو في أثناء النوم الذي يصاحبه حركات في جفن العين والذي يعرف باسم النوم النشيط Active sleep. فقد أجريت دراسة على مرضى المشي في أثناء النوم Sleepwalkers، ووجد أنهم يحلمون في أثناء النوم الهادئ، وغالباً ما تحدث الأحلام في الثلث الأول من الليل في حالة تمتع الفرد بنوم عميق ولكن أحلامهم لم تكن مرتبطة بالأفعال التي يقومون بها، وهم في حالة المشي في أثناء النوم، وقد يصاحب الحلم كلام يصدر عن النائم أو بعض الحركات. ولكن وجد أن الغالبية العظمى لحالات المشي في أثناء النوم (٨٠٪)، تحدث في النوم الهادئ ولكن الأحلام وكذلك المشي في أثناء النوم، والكلام في أثناء النوم ليس من الضروري أن تحدث كلها معًا، أي في وقت واحد (Hayes, N 2000:335).





يتلمس الإنسان الوسائل لامتلاك قدرات خارقة

وظاهرة الحلم تبدو عامة، فجميع الناس يحلمون في أثناء النوم، وإن كان هناك بعض الناس الذين يقررون أنهم لم يحلموا إطلاقًا، ربما لأنهم لا يتذكرون ما مروا به من أحلام في أثناء النوم. ففي بعض الدراسات عمد الباحث إلى إيقاظ الناس من نومهم، وتبين أن الفرد إذا أوقظ في أثناء الحلم كان قادراً على تسجيله والإفصاح عنه أما إذا لم يكن في حالة حلم عند إيقاظه فإنه لايذكر شيئًا.

الأحلام ظاهرة مثيرة للدهشة، وقد اهتمت البشرية بتفسيرها ودراستها منذ أقدم العصور، وفي كل الثقافات. وقد كانت هناك محاولات للتأثير في أحلام النائم Lucid dreaming والإنسان في أثناء النوم لا يكون غائباً كليًا عن العالم الخارجي وأحداثه، ففي تجربة قام الباحث برش النائم رشاً خفيفاً بمياه باردة عندما كان في حالة نوم مصاحب بالحلم، فماذا كانت النتيجة؟ وبعد فترة من الزمن أيقظ الباحث النائمين وسألهم عما دار في أحلامهم، فماذا كانت النتيجة؟

لقد أجابت الغالبية العظمى من هذه العينة بربط خبراتهم في الحلم بالمياه الباردة بصورة أو بأخرى، كأن يحلم الحالم بأنه يمشي في وسط الأمطار، أو أنه يستحم. وعلى ذلك فالمثيرات الخارجية الحقيقية تدخلت في الحلم، ونسجت معه تفاصيل الحلم ولكن ليس تمثيلاً طبق الأصل. وفي الأحوال العادية دون الخضوع لتجربة ما إذا نام الإنسان، وكان هناك بصيص من الضوء من نافذة مايسقط فوق عينه، فإنه قد يترجم ذلك، ويستمر في الحلم، ويحلم أنه يسبح في الفضاء، أو أنه يستمع إلى صوت سيارة الإسعاف تنقل بعض المصابين كي يستمر في النوم، ولذلك يقال: إن الحلم هو الحارس الأمين للنوم. والأحلام تعبير عن صراعات داخلية يعانيها النائم.

كيف فسر فرويد الأحلام؟

لقد فسرها فرويد S. Freud بأنها تحقيق لا شعوري لرغبات الفرد Unconscious wishfulfilment ففي أثناء الحلم يقرر فرويد أن العقل الباطن يظهر على السطح، ويعبر عن حاجاته ورغباته ودوافعه وصراعاته كي يضمن أن الذات لا تشعر بالتهديد المباشر عن طريق هذه الرغبات ولكن من الأهمية بمكان أن هذه الحاجات، وتلك الرغبات لا تظهر أو لا تعبر عن نفسها سافرة علنية، وإنما تظهر بصورة مقنعة خفيفة أو مستترة أو رمزية فالاحلام تحتوى على معان خفيفة مستترة أو معان رمزية، ولقد ميز فرويد بين المحتوى الظاهر للحلم وهو عبارة أحداثه ووقائعه والمحتوى الخفي الضمني الباطني أو الكامن للحلم، ويحول اللاشعور المحتوى الباطن إلى المحتوى الظاهر للحلم عن طريق ما أسماه فرويد عمل الحلم.

ولأهمية عامل الجنس في نظر فرويد، فقد فسر معظم محتويات الأحلام الباطنية بمعان جنسية أورموز جنسية. وقد يرجع ذلك إلى أن فرويد عاش في العصر الفكتوري، حيث كان يسود نوع من الكبت الجنسي بين أبناء الطبقة الاجتماعية الوسطى Sexually repressed Victorian period وخاصة أن فرويد تناول في علاجاته ودراساته السيدات من أبناء الطبقة الوسطى في فينا وكن يعانين حرماناً جنسيًا، ومن المحتمل أن مرضاه عبروا عن محتويات جنسية لأحلامهم، ولكن ليس من الضروري أن يصدق هذا التفسير الجنسي في أيامنا هذه، فالأحلام تتأثر بعوامل ثقافية واجتماعية أو

حضارية وجسمية وعقلية ونفسية. كذلك كان تناول الطعام يتم باحتشام كبير، وكذلك جاءت الأحلام بها أنشطة تناول الطعام. الأحلام تتخذ شكلاً رمزياً حتى لا يشعر صاحبها بالقلق.

ومع ذلك فهناك كثير من العلماء الذين يرفضون تفسيرات فرويد لهذه للأحلام. كما يلاحظ بعض نقاد فرويد أن تفسيراته الأولى تختلف عن تفسيراته التي أتى بها في أواخر حياته. وكان مرضاه يرون الحلم أولاً ثم يبحثون عن تفسيرات له في واقع حياتهم Retrospective بعد ذلك. ولذلك تأثر التفسير بخيال الفرد، كذلك فإن تفسير فرويد للأحلام يصعب إخضاعه للمحك التجريبي العلمي، فآراؤه لم تزد عن كونها مجرد فروض (٧).

ولكن هناك من يرفض تفسير فرويد، ويرى أن الأحلام تحدث بالمصادفة، من جراء تأثير الدماغ بكثير من الأحداث والمثيرات في أثناء اليقظة؛ ولذلك يعيد الإنسان التعبير عن هذه الخبرت النهارية وارتباطاتها، وكأننا نحلم كي ننسى بعض الأحداث الأحلام بلا شك ترتبط ببعض المخزونات السيكولوجية أو المدخلات السيكولوجية في أثناء الخبرة النهارية. فقد وجد في بعض الدراسات أن النساء اللائي كن يعانين التوتر الذي يسبق دورة الحيض عندهن خبرن نوماً فيه أحلام كثيرة قياساً بنومهن في أوقات غير أوقات دورة الحيض. وتم تفسير ذلك بأنه يرجع إلى الضغط النفسي الناشئ من صعوبات الطمث. كذلك فإن هناك دراسات أجريت على مرضى الأمراض العقلية ، وتبين أنهم يمرون بنوم فيه أحلام أكثر من غيرهم من الأسوياء الذين لا يتلقون أي معالجات نفسية طبية. ربما تكثر الأحلام لحل ما يعانيه الإنسان من مشكلات. ويذهب بعضهم إلى إرجاع الأحلام أيضاً إلى الرغبة في تفسير المثيرات والأحداث النهارية من الانطباعات الحسية ومن المعلومات التي يستقبلها المخ، ولكن ليس كي ننسى هموم النهار، ولكن لمساعدة المخ على تعرف هذه المعلومات، ولجعلها ذات معنى بالنسبة إلينا وتصنيفها، ولمساعدة الدماغ لربط الأحداث بعضها ببعض وتخزينها. من ذلك أن الإنسان إذا نام وهو يفكر في مشكلة ما، فإنه عندما يستيقظ يكون قد توصل إلى حل لها، أو على الأقل فإن الحلم يجعل المشكلة تبدو أكثر وضوحاً وجلاء. وقد يكون الحلم ناجماً عن الحالة المزاجية التي يعانيها الفرد أو تعبيراً عن التعب والإرهاق أو عن حالة الجوع أو العطش أو الحرمان. وفي الحلم قد يحل الإنسان مشكلة ما حلاً إبداعياً. فقد أتى حل بعض المشكلات العلمية لأصحابها في أثناء النوم، إذ يشعر النائم بالحل لما يعاني منه من مشكلات أو ما يفكر فيه من مشاكل، بل إن المشكلات العلمية قد يهبط حلها على ذهن الفرد وهو نائم. وقد تفسر الأحلام السيئة بأننا نحلم بها عندما نعاني الأزمات، وعندما ننام دون الشعور بالراحة مما يجعلنا أكثر حساسية للمثيرات أو للاضطرابات. فالإنسان قد يهبط عليه حل المشكلة في أثناء الحلم، ولكن في حالات الصراع النفسي الشديدة قد يتحول الحلم إلى كابوس مزعج ومؤلم Night-mare (Hayes, N. 2000: 344).



الأفلام السينمائية لا تعكس حقيقة التنويم المغناطيسي

تفسير ظاهرة التنويم المغناطيسي

وتتصل بهذه الظواهر الخارقة ظاهرة التنويم المغناطيسي(٨)، وهو حالة تشبه النوم، ولكنها ليست نوماً عميقاً، وفيها يصبح الإنسان شديد القابلية للإيحاء والخضوع لإرادة النوم (٩).

وتشتق كلمة تنويم Hypnosis من كلمة يونانية هي Hypnos، وهو إله النوم عند الإغريق، وفيها تقل حالة الوعي للنائم. ولقد اشتهر عالم النفس النمساوي مسمر (١٧٣٤ـ ١٨١٥) بالقيام بتنويم كثير من الأفراد، ومن الحيوانات، وتمكن من تحقيق التنويم الجماعي وفي التنويم يصبح الفرد شديد القابلية للاستهواء أو للإيحاء، ولذلك أستخدم في العلاج النفسي (١٠)، لإقناع المريض بأنه قد شفي، وأنه يتمتع بصحة نفسية جيدة، ويصلح هذا العلاج أكثر ما يصلح مع مرضى الهستيريا وذلك لشدة قابليتهم للإيحاء. وقد ادعى مسمر ما أسماه مغنطة الحيوانات Animal magne-tism، وفيه يدعى بوجود تأثير غير منظور من المنوم إلى النائم أو

الوسيط، وكأن نوعاً من السوائل ينتقل من المنوم إلى النائم مما يجعل النائم طائعاً للمنوم ولقد كان مسمر أول من أذاع هذا النشاط، وعرف باسمه عدة سنوات. ولقد أدرك عالم الأعصاب الفرنسي شاركو أن للتنويم فائدة علاجية لمرضى الهستيريا (١١).

فقد نوحي للمريض الذي يشكو من شلل أصابعه أنها سليمة، وأنها تتحرك، وفعلاً يقوم بتحريكها. فالتنويم حالة عقلية وجسمية يصبح فيها الفرد شديد القابلية للإيحاء Extreme suggestibility، ولكنه يتعاون إرادياً مع المنوم وإيماءاته(١٢).

ولقد كان الاعتقاد سائداً بأن ما يبديه النائم في أثناء التنويم هو أعراض مرض الهستيريا الناجمة عن اضطرابات عصبية، ولكن فرويد اعتقد أن التنويم حالة من النكوص Regression فيرتد الفرد أو ينتكص إلى حالة طفلية سابقة، ومن ثم يهرب من القيود الصارمة الصادرة من الذات الوسطى Ego، ولكن هذه الظاهرة استولت على خيال العامة من الناس، وظهرت على المسرح ومثلها «السحرة»، واستخدمت لكشف الأمور المنسية، ولكن بولغ فيها أكثر من اللازم، وخاصة في الأفلام وعلى المسرح وهذا ما أتى مختلفاً عن حقيقة هذه الظاهرة التي لا تعدو أن تكون حالة تشبه النوم. وشاع عنها بعض الأفكار الخاطئة منها:

- أن الشخص النائم يخضع كلية للمنوم.
- قد يدفعه المنوم إلى القيام بأعمال لا يمكن أن يأتي بها لو كان في حالة اليقظة لدرجة تكليفه بالقتل.
- أن الناس قد تخضع للتنويم ضد إرادتهم.

فالناس تتعاون مع المنوم إرادياً، حتى وهم تحت تأثير التنويم، فلن يعمل الواحد منهم ضد ضميره الأخلاقي. ولا يمكن إخضاع الفرد للتنويم ضد إرادته(١٣)

هل يعمل الفرد ضد إرادته في حال التنويم؟

ففي دراسة أجراها هلجارد Hilgard عام ١٩٦٥م، تناولت ٥٣٣ طالباً جامعياً أمريكياً لقياس مدى قابليتهم للإيحاء أو التنويم المغناطيسي، وطلب منهم الباحث القيام ببعض الأعمال المباشرة وغير المباشرة، وغير المباشرة مثل غلق العين بعد الحملقة فترة ما لهدف ما، وأنهم ذاهبون في النوم. إلى جانب بعض الأعمال

يخضع الحلم للمنطق أو للواقع. وكما أنه ليس خيالاً محضاً ، وإنما تؤثر في الحالم بعض العوامل البيئية المحيطة به وقت النوم أو قبله، وتعرف باسم محددات الحلم، كظروف الحرارة والبرودة والرطوبة والإضاءة والضوضاء والتهوية والألوان، وحالة الجوع أو الشبع التي يكون عليها النائم، أو التعب والإرهاق أو الألم. ومن وظائف الحلم المحافظة على حالة النوم وحراسة النائم

الأكثر تعقيداً مثل الإحساس بالهلاوس بعد التنويم. في المحاولة الأولى لم يستجب سوى ٢٥٪، من مجموع الطلاب بأنهم فعلاً قد تم تنويمهم مغناطيسياً وفقط ٥٪ منهم حصلوا في ذلك على الدرجة النهائية. إنهم فقط ينفذون الأعمال التي يمكن تنفيذها فقط سواء أكان ذلك في وقت النوم أم اليقظة. أما الأعمال المستحيلة فإنهم لا ينفذونها. ولذلك هناك نظريتان في تفسير ظاهرة التنويم المغناطيسي، الأولى:

أنها حالة خاصة من حالات الوعي، والثانية: أنها استجابة قوية لمثيرات اجتماعية وإيحاءات نفسية.

على خشبة المسرح يختار المنوم أناساً يشعر أنهم سوف يستجيبون أكثر من غيرهم للإيحاء، كذلك فإن وقوفهم فوق خشبة المسرح يجعلهم يرغبون في التعاون مع المنوم، ويستجيبون لإيحاءاته لهم، ولذلك فإن استجابتهم تختلف عن استجابة عينات البحث في المعامل والمختبرات.

التنويم المغناطيسي
في يد رجال الشرطة

ومنذ وقت طويل تستخدم الشرطة الأمريكية التنويم المغناطيسي للمساعدة فيما تجريه من تحقيقات شرطية، ويقول رجال الشرطة في هذا الصدد: إن التنويم يساعد على الحصول على بعض التفاصيل والجزئيات التي لا تظهر عادة على سطح الذاكرة. ولكن هذا الاعتقاد قائم على أساس وجهة نظر تنظر إلى ذاكرة الإنسان، كما لو كانت كاميرا للتسجيل، وما على رجل الشرطة سوى أن يعرف المطلوب من أجزاء جهاز التسجيل هذا لإدارته والحصول على ما يريد من المعلومات المسجلة فيه. ولكن الذاكرة لا تعمل بهذه الصورة الآلية، إنها نشاط نشيط وفعال والتذكر عملية بنائية، وليست مجرد تسجيل آلي ميكانيكي. ولكن يتعين التأكيد أن الناس في حالة التنويم يصبحون أكثر قابلية للإيحاء، وقد يخترعون ذكريات خاصة لإرضاء رجال الشرطة، تتمشى مع التوقعات الاجتماعية لرجال الشرطة فقد يروي النائم قصصاً مقبولة وكاملة بدلاً من ذكر تفاسير ناقصة، وليس من الضروري أن تتمشى هذه القصص مع الحقائق، ولكنها تتمشى مع الموقف وظروفه(١٤)

عملية التذكر تحت تأثير التنويم المغناطيسي

تتم هذه العملية وفقًا للاستعداد والتهيؤ لإطاعة المنوم وتوقعاته مع استخدام الخيال في تكوين تفسيرات مقبولة لما يحدث.

وهناك ظاهرة أخرى تتصل بحالة التنويم المغناطيسي، وهي تحمل النائم لقدر كبير من الألم والتحكم فيه، ولكن ما الأسباب التي تجعل الإنسان يحس بألم أقل وهو تحت تأثير التنويم؟

هل يرجع ذلك إلى قلة حالة الوعي، المهم هو التخفيف من حالة الألم من ذلك خفض حالة القلق عن طريق الاسترخاء والتنويم، وعن طريق العلاج النفسي بالتنويم Hypnotherapy لدرجة أن هناك بعض العمليات الجراحية الكبرى التي أجريت تحت تأثير التنويم المغناطيسي دون شعور المريض بالألم، إلى جانب القليل من التخدير الموضعي على سطح جلد المريض. ويرجع ذلك لتوقع المريض أنه منوم ومن ثم لن يشعر بالألم والجراحة.

وإلى جانب حالة التنويم التي تتم عن طريق المنوم، هناك ما يُعرف بالتنويم الذاتي، أو الإيحاء الذاتي للفرد، إذ يدخل بنفسه في حالة التنويم Autohypnosis or self-hypnosis، ويصلح هذا الإيحاء الذاتي في علاج كثير من المشكلات النفسية، كالإقلاع عن التدخين، والتخفيف من حدة أحداث الحياة الصدمية أو الصادمة، كموت شخص عزيز على الفرد ولقد كشفت بعض الدراسات أن أصحاب أعراض الشخصية المزدوجة أو ثنائية الشخصية Multiple personality disorder لديهم استعداد كبير لقبول الإيحاء. ومعروف أن ثنائية الشخصية من بين أعراض مرض الهستيريا، وهو مرض نفسي وظيفي. في هذا المرض تنتاب المريض شخصيتان أو أكثر كشخصية الفتاة الناضجة والشخصية الطفلية.

ويستخدم التنويم المغناطيسي فيما يعرف بالتناسخ التنويمي Hypnotic reincarnation، ففي حالة امرأة أمريكية روت أنها عاشت فترة ما في مدينة نيويورك علماً بأنها لم يحدث أن عاشت هناك، ولكنها عملت في مكتبة تحمل اسم مكتبة نيويورك. وفي حالة رجل آخر ادعى أنه كان يعمل في أسطول نيلسون، ولكن تبيّن أن ما يرويه مأخوذ من قصة قرأها وهو في طفولته. وفي حالة امرأة أخرى روت أنها كانت تعيش في إنجلترا في العهد الروماني لدرجة أنها وصفت الفيلا التي كانت تعيش فيها آنذاك، ولكن الفيلا التي وصفتها لم تكن موجودة في العمارة البريطانية، ولكنها كانت موجودة في العمارة الإيطالية أو الرومانية وهناك ما يُعرف باسم الذاكرة المزيفة، إذ تحتشد في ذاكرة الفرد أحداث ووقائع وذكريات لم تحدث له إطلاقًا. وتؤدي الضغوط الاجتماعية دورًا في عملية طاعة المنوم والتعاون معه. فهناك من يتم تنويمه فعلاً، وهناك من يتظاهر فقط بالتنويم، ولذلك طلب أحد الباحثين من مجموعة من الناس وهم تحت تأثير التنويم أن يقوموا بأعمال لايقوم بها أحد، وهو في حالة الوعي التام، من ذلك تكليف العينة بالقيام بجمع سلسلة طويلة جدًا من الأرقام الحسابية، ثم تمزيق الورقة بعد ذلك. لقد استمر رجل في هذا العمل مدة ست ساعات متواصلة، ولم يتوقف إلا بعد أن أوقفه المجرب ويوضح ذلك تأثير التوقعات الاجتماعية في سلوك الناس من جراء الرغبة في التعاون مع المجرب.

الإنسان لا يدرك حقائق العالم الخارجي ووقائعه، كما هي بالضبط ، وإنما قد يتشوه هذا بالواقع في حالات كثيرة، منها خداع الحواس، وعمى الألون، والأحلام والتنويم المغناطيسي، والوقوع تحت تأثير المواد المخدرة، والإيحاء والضغوط والتوقعات الاجتماعية، فالإنسان ليس كالآلة الصماء أو اللوح الفوتوغرافي الذي تنطبع عليه أحداث العالم الخارجي، كما هي، وإنما الإنسان يختار وينتقي ما يهتم به. وذاكرة الإنسان ليست محاكاة طبيعية لأحداث الماضي، فالعلم أكثر سعة ودقة وتعقيداً من أن يدركه الإنسان إدراكًا كاملاً بحواسه المختلفة. ومن ذلك ما يدعيه بعضهم من حالات خارقة لنواميس الطبيعة، كالتخاطر أو الاتصال الذي يحدث من عقل إلى آخر، أو قراءة العقول، أو التأثير في الأشخاص البعيدين عنا، أو تحريك الجمادات أو الرؤية من خلال حجب أو حوائط.

المراجع

1 - Myers, D. G.(1993), Eploring Psychology, Third Edition. Worth Pubishers, New York,P155.

٢. المرجع السابق، ص١٥٦.

٣. المرجع سابق، ص١٥٩.

٤. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، عبدالمنعم الحفني (١٩٩٤)، ص ٢٤٠، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٥. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، طه فرج عبدالقادر وآخرون (١٩٩٣م)، ص٣٠٩، دار سعاد الصباح، الكويت والقاهرة.

6 - Hayes. N.,(2000),Foundations of psychology, Third edition Thomson learning, United states. P331.

٧. المرجع السابق، ص٣٤٣.

٨. المرجع السابق، ص ٣٤٤.

٩. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، عبدالمنعم الحفني، ص٣٦٧.

١٠. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، طه فرج عبدالقادر، ص٢٥٦.

11 - Hayers, P.344.

12- Hayers, P350.

13- Hayers, P.344.

14- Hayers, P.347.

هبت بنصركم

الأمير أبو الربيع الموحد

هَبَّت بنصرِكُمُ الرِّياح الأَربَعُ
وجَرَتْ بسعدِكم النُّجومُ الطُّلَّعُ

واستبشرَ الفَلَكُ الأثيرُ تَيَقُّنًا
أنَّ الأمورَ إلى مُرادِكَ تَرْجِعُ

وأَتَتْ لِعَونِكُمُ الملائِكُ سُبَّقًا
حتى لضاقَ بها الفَضاءُ الأوسَعُ

وأمدَّكَ الرَّحمنِ بالفَتحِ الذي
مَلأَ البسيطةَ نورُهُ المتَشَعشِعُ

لِمْ لا وأنتَ بذلْتَ في مَرضاتِهِ
نَفْسًا تُفَدِّيها الخَلائقُ أَجْمَعُ

ومَضَيْتَ في نصرِ الإلهِ مُصَمِّمًا
بعَزيمةٍ كالسَّيفِ بل هيَ أَقْطَعُ

وكتائبٍ منصورةٍ يَحْدو بها
عَزْمٌ إذا أَمْضَيْتَهُ لا يَرجِعُ

مادَتْ بها أرجاءُ كلِّ تنوفةٍ
حتى حسِبْنا أرضَها تَتَصَدَّعُ

مِنْ كلِّ مَنْ تَقْوى الإلهِ سِلاحُهُ
ما إنْ لهُ إلاّ التَّوكُّلُ مَفْزَعُ

ولا يُسلِمونَ إلى النَّوائبِ جارَهُم
يومًا إذا أضْحى الجِوارُ يُضَيَّعُ

للّهِ جَأْشُكَ والصَّوارمُ تُنْتَضى
والخَيلُ تُرْدي والأسنَّةُ تُشْرَعُ

كَمْ من قَصِيٍّ الدَّارِعاصِ قادَهُ
حَتفٌ يَخُبُّ به إليكَ ويوضِعُ

لم يُلْفِ أرضًا يستقرُّ بظهرِها
أنّى له ومَضاءُ عَزْمِكَ أوسَعُ

إنْ ظَنَّ أنَّ فِرارَهُ مُنْجٍ لهُ
فَلِجَهْلِهِ قد ظنَّ ما لا يَنْفَعُ

أينَ المَفَرُّ ولا فِرارَ لِهارِبٍ
والأرضُ تُنْشَرُ في يديكَ وتُجْمَعُ

فمتى يَفُتْ يومًا فإمْلاءٌ له
كَيما يُحَمَّ له الحِمامُ الأَشْنَعُ



أخليــفــةَ اللَّهِ الرَّضي هُنِّيــتَــهُ
فَــتــحًــا يُمَــدُّ بمثْلِه ويُشَــفَّعُ
ولْيَــهْنِ هذا الفَــتحَ أنَّكَ فَــتَـحْـتَـهُ
وبحَـسْـبِـهِ منكَ النصـيبُ الُمـقْنِعُ
فلقـد كَـسَـوْتَ الـدِّينَ عِـزًّا شـامِخًـا
ولَبِــسْتَ منـه أنتَ مــا لا يُخْلَعُ
إنَّ الذي سَــمَّــاكَ خَــيــرَ خليــفَــةٍ
جَــعَلَ الخِــلافــةَ فــيكُمُ لا تُنْزَعُ
لكُـمُ الـهُــــدى لم يُؤتَـهُ إلاَّ كُمُ
ومَن ادَّعــاهُ يقــولُ مــا لا يُسـمَعُ
هيــهــاتَ سِــرُّ اللَّهِ أُودِعَ فــيكُم
واللَّـهُ يعطي من يشــاءُ ويَمْنَعُ
إن قــيلَ مَنْ خَـيـرُ الخَـلائفِ كُلِّهـا
فــإليكَ يايَعْــقُــوبُ تُومي الأصْــبُعُ
فَــلأنْتُمُ ذُخْــرُ الخِــلافِــةِ، والذي
عينُ الزَّمــانِ لوقْــتِــهِ تَتطَلَّعُ
إن كنتَ تتلو السَّــابقينَ فــإنَّمــا
أنتَ المُقَــدَّمُ والخــلائفُ تُبَّعُ
حَـسْبُ البـريـةِ أن تكونَ إمـامَـهـا
ونصـيـرَها إنْ رابَ خَطْبٌ مُـفْظِعُ(٢)
جلَّت صِـفـاتُكَ أن يُحيطَ بكُنْهِـهـا
نَثْــرٌ يُؤلَّفُ أو قَــريضٌ يُجْــمَعُ
فلتَـشْـتَـهي كلُّ الَجـوارحِ أنَّهــا
أُذنٌ تُصــيخُ لَمِــدْحِكُمْ وتَسَــمَّعُ
خُــذْها أمــيــرَ المؤمنينَ مَــديحــةً
من قَلْبِ صِــدقٍ لم يَشُــبْــهُ تَصَنُّعُ
فــالَمدْحُ مني في عُــلاكَ طبــيــعــةٌ
والَمــدْحُ من غَــيــري إليكَ تَطَبُّعُ
جَــرِّرْ مُــلاءَةَ عِــزَّةٍ مــوصــولَةٍ
قَـعْـسـاءَ يحـسُـدها السِّـماكُ الأرْفَعُ
واسلَم أمــيــرَ المؤمـنينَ لأُمَّــةٍ
أنتَ المَلاذُ لـهــا وأنتَ المَفْــزَعُ
وحَــمــاكَ مَنْ يحـمي بسَـيـفِكَ دِينَهُ
وكَـفــاكَ مــايُخْـشى ومــايُتَــوقَّعُ
وعليكَ ياعَلَم الُهــداةِ تحــيَّــةٌ
يفنَى الزَّمـانُ وعَـرْفُـهـا يتَـضـوَّعُ!

هامش: مختارات من الشعر الأندلسي،

د. محمد رضوان الداية، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، سلسلة دراسات أندلسية، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.



صداقة

حيدر الغدير
جدة - السعودية

أخافني الموت دهراً ثم صافاني ... وقال لي لست بالعادي ولا الجاني

لا أنقص المرء يوماً قط من أجل ... ولا أجور على إنس ولا جان

أنا الوفي لأمر الله أنفذه ... كما يشاء وإن العدل ميزاني

ولست أظلم إنساناً لمسكنةٍ ... ولا أداري ذوي مال وسلطان

بل أحرس العمر للإنسان يقطعه ... والحبل أرخيه للقاصي وللداني

حتى إذا جاء أمر الله قمت به ... أذاك ظلمي له أم ذاك إحساني

سمعت ما قال واسترسلت أرقبه ... فكان حقاً أخا صدق وإيمان

وكان أرحم من باغٍ وطاغية ... يستأصل الناس وهو الباسم الهاني

فمات خوفيَ منه وهو بادلني ... حباً بحب وناجاني وآخاني

رأيت منه وفاء رغم سطوته ... لم ألقه في كثير بين إخواني

وضعت في كفه كفي فعاهدني ... على الإخاء ولا تعجبْ وأرضاني

نمشي وللود فيما بيننا عبق ... كأنه المسك في أزهار نيسان

رأى صداقتنا قالٍ فساءلنا ... هل أنتما - هكذا يبدو - صديقان

فقلت بل نحن في أغلى مكارمها ... ونحن في ذروةٍ منها نديمان

إذا مضى العمر والأقدار دائرة ... عليه تغشاه في صبر وتغشاني

واصفرت الشمس في عمري مودعة ... وصوّح النبت في روضي وبستاني

ولاح لي من وراء السوف من غبروا ... وأطفأ البرد في كانون نيراني

أتاني الموت في رفق وفي حدب ... وقال دع عنك هذا العالم الفاني

فزال عني غطائي وانجلى بصري ... يرنو وبي لهفة للعالم الثاني

وطار بي أمل جذلان يغمرني ... أن الكريم تولاني وأدناني

غداً أعانق نعمى الله وارفةً ... وبشرها النضر حيّاني وناداني

نعمى تتيه بأبراد موشحة ... وسيمة بالرضا والعفو تلقاني

كاهن الحزن

فاطمة بلفوضيل

بومرداس ـ الجزائر

يحدق فيَّ مشدوها ويعود إلى وجومه. احترمت صمته ورحت أبحث عن عتمة مضيئة في ذلك الليل الأدهم، عن همس في ذلك السكون السرمدي..

آه!! لا همس، لا صوت

ليس غير حشرجات منبعثة من أغوار روحه المسكونة باليأس..

ثمة علاقة حميمة تنجدل بين اليأس واليائس حتى يكاد يعتقد أنه وحيد غريب في أرض قصية مجهولة، في لحظات الفرح العابر.

يحدق في ثانية ويعود إلى كآبته المبهمة.. تسع سنين مرت وهو على هذه الحال، قبل ذلك كان يقول كلامًا جميلاً عن النوارس والسنونوات، عن العيون الحزينة، والجدائل المسافرة مع الريح، عن لحظات الفرح الهاربة من أدغال الحزن الأبدي.

ذات مساء خريفي حاولت أن أتحسس جرحه.. قلت له: يا صديقي العزيز، أنا أيضًا تقاذفتني اللجج، وتألمت مثلك: لكن أنا لا أستطيع أن أحول الوجع إلى (رقصة البجع) على طريقة شايكوفسكي.. أنا لا أستطيع أن أشعل النجوم المطفأة، أو أرمم خرائب الروح، لكن أنت تستطيع لأنك شاعر.. ألم يقل الشاعر الألماني العظيم هولدرين: إن ما يبقي يؤسسه الشعراء.

الشاعر سنديانة لا تهزمها الأعاصير،

بوصلة لا تكسرها الرياح العاتية...

الشاعر يا صديقي، يعيد الزرقة للبحر، يعيد النوارس إلى الشواطئ المهجورة.. يزرع في القفار



حقول الياسمين...

قناديل الشاعر، يا صديقي، كبومة منيرفا، لا تظهر إلا في الظلام...

فأين أنت؟

أين قناديلك؟

حدق فيَّ مرة أخرى والحزن ينهمر من عينيه...

ثم قال: لقد أطفأت العاصفة كل قناديلي،

ها أنذا جثة في تابوت خرب يسمى: الوطنْ!!

قبر علي - بلّوس

الكاتب الإسباني : بِثِنْتِه بلاسكو إبانييز
ترجمة: وفيق فايق كريشات
اللاذقية - سورية

حدثنا غارثيات النحات، قال: في هاتيك الأيام، اضطرني كسب القوت إلى أن أنفق معظم وقتي في ترميم الكنائس ومنحوتاتها، وقد قادني عملي ذاك إلى الكثير من الأسفار.

وذات يوم، عرض عليَّ عمل ذو قدر: ترميم مذبح كنيسة بلّوس العظيم. انخرطت مع الرفاق في هذا العمل، وأخذت بين الفينة والأخرى أغني عايدة(١) أو فاوست(٢)، ولعل غنائي هو الذي أتى إلى الكنيسة عصر كل يوم ببعض جاراتنا: جماعة من العجائز الثرثارات اللاتي لا يحسن سوى النظرات إلى عملنا. وقد أبدين في بعض الأوقات نقداً لما نطلي به الأحجار من لون. أما إحداهن، وهي أحسنهن منظراً، وربما أكثرهن مالاً - إذا اعتبرنا ما تبدي من سلطة عليهن - فكانت تصعد السقالة المثبتة على جانب الحائط تري عظيم شأنها.

فرشت أرض الكنيسة بقطع كبيرة من البلاط الحجري المرصوف، وركز في وسطها حجر مدور كبير في مركزه حلقة صدئة من حديد. وقفت عصر يوم من الأيام فوق هذا الحجر أسائل نفسي عما يختبئ تحته. وحينما انكببت عليه أحاول رفع حلقته، دخلت المرأة التي ذكرتها آنفاً - وتدعى باسكوالا - وبدت عليها معالم الدهشة البالغة لرؤيتي على هذه الحال.

أمضت عصر ذلك اليوم كله فوق السقالة، ولم تلتفت إلى أترابها تحت، بل ظلت تنظر إليَّ وكأنها تهم أن تلقي عليَّ سؤالاً، ثم ما لبثت أن ألقت سؤالها. كانت تبغي معرفة شأني مع ذلك الحجر. لقد تناقلت الأجيال أن ليس من رجل قد رفع هذا الحجر من مكانه ألبتة.

أنكرت رفعي الحجر، لكني وجدت أن الإنكار لم يزدها إلا فضولاً، فانتابتني رغبة صبيانية في المكر بها فتعمدت أن تراني وهي تدخل الكنيسة عصر كل يوم، وأنا واقف فوق ذلك الحجر أنعم النظر فيه. وفرغنا من العمل، وفككنا السقالة، وشرعنا في التجهز لمغادرة الكنيسة. وحينما هممت بالمغادرة، أقبلت تلك المرأة إليَّ وهي تحاول مرة أخرى معرفة سري المزعوم.

وقالت: «سيدي الدهان، أخبرني بسرك ، أكتمه»

وإذا كان الدهان - وهذا كان لقبي بينهم - في ميعة الشباب ولوعاً بالمزاح وبالكيد، فقد همس إليها بحكاية مضحكة. أخذت عليها خمسة وعشرين عهداً بألا تفوه، ولو همساً، بكلمة واحدة مما أهم بقوله لها. ثم رويت لها جملة من الأكاذيب تخرصتها بلا تلكؤ. قلت لها: إنني رفعت الحجر بقوة خفية «لا يعلم سرها غيري»، ورأيت تحته العجب العجاب. ففي بدء الأمر، وجدت سلماً طويلاً ينحدر إلى بطن الأرض. ثم صادفت عدداً من السراديب يؤدي كل واحد إلى ناحية. وقد شع في أحدها ضوء خافت. مضيت في ذلك السرداب حتى بلغت حجرة كبيرة يتوقد فيها مصباح عتيق مر عليه وهو يتوقد ألف سنة. وفي وسط الحجرة سجي على سرير من الرخام رجل ضخم ذو لحية شيباء مغمضة عيناه، وبجانبه سيف عظيم.

وطفقت أقول لها: إن الرجل يرتدي عباءة تلمع لمعان الذهب، ويطوق رأسه ثوب مرصع بذهب وماس. وحكيت لها أنه قد كتب على الرخام سطور بلسان غريب لا يستطيع أحد قراءته، ولا الكاهن. أما أنا فدهّان، والدهّانون يعرفون كل شيء، ولهذا قرأت السطور دونما عسر. أما معناها فهو - هو - إيه - «هنا يرقد علي بلّوس. شيدت له هذا الضريح زوجته سارة وابنه ميكائيل».



اشتدت العزائم من كلامها، وجدّ الرجال في العمل. وبعد ساعة أخرى أفلحوا في قلع الحجر، ومعظم أرض الكنيسة، حتى إنه كان يخشى على البناء كله من أن يهوي مندكًا. لكنهم ما كانوا مكترثين للبناء! لقد ثبت الجميع أنظارهم على الحفرة أمامهم هرش الرجال الشجعان رؤوسهم مرتابين لكن أشجعهم بادر بالنزول في الحفرة متعلقًا بحبل وحبس البقية أنفاسهم. لكن نزول الرجل لم يأخذ منهم جهداً كبيراً. فقد استقرت قدماه في قعر الحفرة ورأسه لم يزل خارجها.

صاح الجميع: «ماذا رأيت؟».

نظر حوله داخل الحفرة متحسسًا بيديه فلم يجد سوى حيطان صلبة وبضع كومات من التبن العفن.

«انظر حولك! فتش» صرخ الذين احتشدوا عند الحفرة لكنه ما وجد سوى الحيطان الأربعة والتبن العفن. خرج من الحفرة وأخذت طائفة منهم مكانه وهي تعيره بالغباء. وفي نهاية الأمر، ثبت للجميع أنهم لم يقعوا إلا على حفرة ذات ست أقدام مربعة.

إن قلنا إنهم تكانوا غاضبين فذلك قليل على وصف حالهم فغضبهم لم يكن له حد. اغتنم النسوة الفرصة للانتقام من باسكوالا التي أسبغت على نفسها الشأن العظيم سنين طويلة.

لكن شقوتهم بلغت ذروتها حينما رجع الكاهن. فما إن رأى أرض الكنيسة وسمع بما جرى حتى عزم على إغلاق الكنيسة أبداً. ولم يثنه عن عزمه هذا إلا وعد الناس إياه بتحمل تكاليف إعادة أرض الكنيسة إلى خير ماكانت عليه.

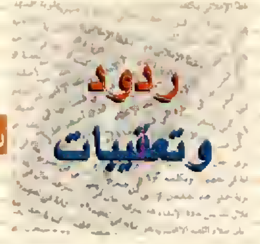
وسأل أحد الحاضرين النحات، قال: «هل رجعت إلى هناك مرة أخرى؟».

«لا ألبتة لقد زرت بلنثية أكثر من مرة، ولقيت عدداً من أهل البلدة ومن الغريب أنهم عدّوا الأمر كله مزحة، وقال الجميع: إنهم ما كانوا ممن دخل الكنيسة لأنهم ارتابوا في الأمر، من أوله وفي كل مرة، كانوا يختمون كلامهم بدعوتهم إياي إلى زيارتهم. كانت الابتسامة تعلو وجوههم الملائكية حينما وجهوا إليّ تلك الدعوات، غير أني أبصرت في أعينهم ما أراني البلدة أعظم بقاع الأرض شراً.

وبعد أن مرّ من الزمان شهر، وحينما زرت مدينة بلنثية، علمت بالذي حدث في البلدة الصغيرة الطيبة بعد أن غادرتها. لقد نبأت باسكوالا زوجها بالقصة من فورها: فروى الزوج الحديث من جديد في نزل البلدة في ثاني يومه. وأخذت الجميع الدهشة! لقد أدهشهم أن يعيشوا حياتهم كلها في تلك البلدة، وأن يذهبوا إلى الكنيسة كل يوم أحد وهم لا يعلمون أن تحت أقدامهم يسجي الرجل العظيم ذو اللحية الطويلة والسيف العظيم وغطاء الرأس المرصع بذهب وماس، وأن ذلك الرجل هو بلّوس العظيم من زوجته سارة! وابنه ميكائيل! وهو بلا ريب باني البلدة! وأن الذي شهد هذا كله رجل غريب لم يقم في البلدة سوى أيام قليلة، ولم يخطر هذا الأمر لأحد منهم ببال!

وفي يوم الأحد التالي، وحين غادر الكاهن البلدة الصغيرة زائراً بعض أصدقائه لوليمة دعي إليها، هرعت جماعة كبيرة من الناس راجعين إلى الكنيسة. أفلح زوج باسكوالا في أخذ المفتاح، ودخل الجميع، ومنهم العمدة وأمين سره، بمعداتهم الثقيلة من حبال وقضبان من حديد ويا لعرقهم! لاريب في أن الحجر لم يزحزح من مكانه منذ ثلاثة قرون. وقد بذل الرجال الأقوياء بين الحاضرين جهوداً مضنية ساعة من الزمن، لكن الحجر لم يتزحزح قيد شعرة.

«العزم! العزم!» صاحت باسكوالا. «اذكروا ماتحت الحجر!»



تعقيب على «هرم الحاجات الإنسانية»

هرم
الحاجات الإنسانية

خالص جلبي

...ذا لا يتنازع الناس على الهواء ويتقاتلون على مصادر المياه كما يتوقع المحللون السيسيون من جس نبض الاحداث في شرايين الشرق الاوسط في القرن الحادي والعشرين؟
السر هو في الدعم اللامتناهي وعدم الخوف بالاستعمال من النفاد. فمع حاجة كل

أشيد بداية بجهود الدكتور خالص جلبي في مجال الفكر والعلوم الطبيعية، ومحاولاته إضفاء الصبغة الإسلامية على معظم أعماله. إلا أنه من المعروف لدى الجميع أن الإسلام دين رباني منزل، وعلى الرغم من امتداد رسالته على طول أربعة عشر قرناً، إلا أنه مازال يجدد نفسه يوماً بعد يوم مثبتاً مرونته وتجدده مع كل التغيرات في مجالات العلوم والفكر الإنساني. ولم يثبت عبر تاريخه الطويل أن تعارض النص - قرآنياً كان أو سنياً - مع المكتشفات العلمية المؤيدة بالبرهان، وكذلك الحال مع النظريات الفلسفية التي تصل مرتبة اليقين اعتماداً على المنطق والعقل. أما النظريات الفكرية أو العلمية والتي لا تستند إلى برهان حسّي أو منطقي فهي غير معنية بهذا الحديث، والمؤمن إذ سلّم بصحة القرآن الكريم وقدسيته والحديث النبوي المجمع على صحة روايته وفقًا لقواعد علم الرجال والجرح والتعديل، لابد أن يسند هذه النظريات، ووفقاً لقواعد العقل والمنطق إلى مابين يديه من نصوص سبق أن سلّم بصحتها: فإن تعارضت النظرية مع النص فهو مخير بين أمرين: إما أن تكون النظرية خاطئة أصلاً وإما أن يكون النص قد تم تفسيره بشكل خاطئ فلحق البطلان بالقياس.

لذا فإنه من المؤسف أن نرى عدداً من الكتاب المسلمين اليوم يحاولون إسقاط هذه النظريات الغربية على النصوص الدينية، وأن يستصدروا لها أدلة وبراهين قد تبدو غير ملائمة في كثير من الأحيان. وقد وردت في مقالة للدكتور خالص جلبي في العدد (٣٠٧) والمعنونة «هرم الحاجات الإنسانية»، عدة ملاحظات أود التعقيب عليها. فمن الواضح بداية ظهور النزعة الداروينية عند حديثه عن الحاجات الغريزية للإنسان وقد ظهرت جلية في قوله: «وعندما خافت الطبيعة على الإنسان من إهمال الطعام والجنس جعلت فيهما نوازع جذبية إغرائية لا تقاوم»، وكأن الطبيعة قادرة على الإدراك والفهم اللذين يدفعانها إلى الخوف على مصير الإنسان ومن ثم قامت، وبكل إرادتها، بتزويد حاجاتها بما يلزم لإغرائه. ولايشك كل من آمن بوحدانية الله بأنه هو الذي خلق الإنسان وصوره بيديه (سبحانه) وجعل فيه كل مايحتاج إليه من عقل وحكمة وعواطف وغرائز قبل أن يزج به في معترك الحياة منذ حكم على أبيه آدم بالنزول إلى الأرض.

ويقول في موضع آخر: «تدخلت الفلسفة الإنسانية في هذا الحقل فوصلت إلى فهم انقلابي بطبيعة الإنسان، فالإنسان في فترة طويلة امتدت ملايين السنين بقي أقرب للحيوان؛ لأنه لم يدخل التاريخ»،

وهذه عودة إلى اعتماد «الفلسفة الإنسانية»، في الحكم على طبيعة الإنسان وتاريخه، وقد عدّت هذه الفلسفة الإنسان بأنه وإن لم يكن قد نشأ متطوراً وعبر مراحل كثيرة عن مخلوق يشبه القرود، فإنه عاش ملايين السنين في حال أقرب إلى التوحش، استناداً إلى الحفريات التي كشفت عن عدد من الجماجم التي تقف في حالة وسط بين الإنسان والقرد، مما جعل بعضهم يذهب إلى القول بأن هذه الكائنات المتوحشة هي الإنسان الأول، ويجدر بالذكر أن نشير إلى أن ماسمّي بإنسان بلتداون الذي اكتشف في إنجلترا بين عامي ١٩١٢ و١٩١٣م، كشف عن خدعة كبرى، فقد حمل هذا الاكتشاف على الاعتقاد بأن اتساعاً حصل في قحف الدماغ قبل تعديل الحنك وصولاً إلى شكل الجمجمة الحالي، وهذا ماكان سائداً وفق النظرية التطورية آنذاك، إلا أن الاختبارات التي أجريت بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٣م، على الجمجمة كشفت عن أنه كناية عن مزيج من جمجمة إنسان عاش في القرن الرابع عشر وحنك أحد الأورانغ أوتان العائدة إلى سنة ١٤٥٠، بعد الميلاد. فما كان من العلماء إلا أن عكسوا النظرية واعتقدوا أن تعديل الحنك حصل قبل اتساع قحف الدماغ، وبقيت الفرضية الأساسية دون تغيير «راجع موسوعة بهجة المعرفة - المجموعة الثانية - الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان»، وقد أورد مؤلفو هذه الموسوعة عدداً من الشكوك التي تنفي هذا التطور الأسطوري والذي حول القرد إلى إنسان منتصب، ومنها اكتشاف رودولف بكينيا، وبكين وجاوا، ولم يثبت أي اتصال بين الهياكل البشرية وغيرها من المخلوقات.

ولسنا الآن بصدد نقد الداروينية، ويجدر بمن أراد أن يطلع على انتقاداتها الرجوع إلى كتاب «الحياة الحيوانية» للدكتور عبدالحليم

سويدان، أو ما أورده الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه «كبرى اليقينيات الكونية» من نقد للداروينية الحديثة.

وفي معرض حديثه عن تطور الإنسان قال: « وهناك تعانق وتشابك بين ـ اللغة والفكر والتاريخ ـ واللغة هي أعظم إنجازت المجتمع الإنساني التي منحت الإنسان التفرد والتفوق بين الكائنات»، وهذه العبارة تعيد إلى الذهن صورة الإنسان الوحشي الذي يتساوى مع غيره من الحيوانات، حتى إنه لا يملك القدرة على الكلام والتواصل، إلى اللحظة التي استطاع فيها إنجاز هذا «الاختراع» الذي مكّنه فيما بعد من التفكير والتأريخ «فكما تشكل اللغة الفكر ولا فكر من دون لغة، وكذلك لا لغة من دون تاريخ»، دون أن يوضح الكيفية التي تشكل اللغة بها كلاً من الفكر والتاريخ، مع أنها مجرد أداة للتواصل بين الناس، كما يقول الكاتب نفسه : «وكذلك ـ اللغة ـ فهي توليد اجتماعي لإنجاز الاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع».

ثم كيف يكون الفكر نتيجة مباشرة للغة، مع أن اللغة بحد ذاتها إنجاز إنساني على حد قوله، أي أنها في الواقع ناتجة من الفكر وليست منتجة له؟

أما القرآن الكريم فقد أشار إلى أن الله سبحانه عندما خلق آدم وعلّمه مسمّيات الأشياء حتى قبل أن يخلق حواء، وقبل نزولهما إلى الأرض في قوله تعالى: *وعلم آدم الأسماء كلها*. **البقرة ٣٠**. قال ابن عباس هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس؛ إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه. ذلك من الأمم وغيرها وهذا قول أغلب المفسرين، كما جاء في حديث البخاري ومسلم عن النبي صلى عليه وسلم ما معناه أن المؤمنين يستشفعون يوم القيامة بآدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن اللغة ابتدأت مع بداية خلق آدم وهو أبو البشر جميعاً.

أما نشوء اللهجات وتعددها وتفرعها فقد بدأت في قوم نوح عليه السلام، ففي رواية عن ابن عباس عن الطوفان يقول: «... فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها العربية، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم»، والمقصود بالعربية هنا طبعاً أصولها، فقد كان إسماعيل عليه السلام هو أول من تكلم بالعربية الفصحى «انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ـ الجزء الأول»

ثم كيف يعقل أن يخلق الله سبحانه الإنسان، ثم يتركه طريداً شريداً لا يفقه شيئاً مما حوله، ولايحسن حتى الكلام، ثم يكلف بإعمار الأرض حين شرفه باستخلافه عليها؟ يقول الدكتور: «ومع دخول الإنسان ميدان الحضارة، وتأسيس مجتمع المدينة، ونشوء التخصصات، وولادة الدولة والنظام السياسي، تحول الفرد فجأة من كائن حرّ في الغابة إلى كائن اجتماعي يعيش تحت ظل القانون، ويخضع لإكراهات لا نهاية لها»!! مع أن المعروف أن التشريع نزل مع نزول آدم إلى الأرض وإن كان قد بدأ بالفعل مع النهي عن الشجرة فكيف إذا خرج الإنسان من الجنة وعُرِّض لهمزات الشيطان وأتباعه؟ أليس من الأجدر أن يتلقى التشريع جاهزاً قبل أن ينتظر نشوء الأمم، وتكوّن الحضارات والمدن، ثم يقوم بعدها بوضع النظم والقوانين طبقاً لتطوّر مستوى إدراكه العقلي والاجتماعي؟!

وهنا يعتقد الكاتب أن نشأة الإنسان مرتبطة بقدرته على التاريخ، والتاريخ كما أسلفنا يعتمد على اللغة الممثلة بالكتابة: «والآية القرآنية عدّت الإنسان فترة أنه لم يكن له ذكر، ولم يسجل في التاريخ، لأن التاريخ بدأ مع الكتابة، وحيث لا كتابة لا تاريخ: *هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا*. **الإنسان: ١**. فالإنسان أصبح شيئًا مذكوراً عندما دخل الحضارة واخترع الكتابة، وهذا تم قبل بضعة آلاف من السنين فقط».

ولست أدري ـ ليت شعري ـ من أين أتى بهذا التفسير للآية الكريمة، أما المفسرون فقالت طائفة منهم بأن كلمة «الإنسان» تعود إلى آدم عليه السلام، ومنهم قتادة والثوري وعكرمة والسدي، وفي رواية الضمان عن ابن عباس أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة فتم خلقه بعد مئة وعشرين سنة، واختلفت الروايات في تحديد هذه المدة، أما قوله «لم يكن شيئًا مذكوراً» فقيل كان جسداً مصوراً بلا روح غير معروف الهوية والغرض حتى نفخت فيه الروح وصار مذكوراً، وقال آخرون: إن الذكر هو التشريف والتقدير ،وقيل لتحميل آدم وبنيه الأمانة وتفضيلهم بها.

كنا ورد أن النفي يعود إلى الشيء؛ لأن آدم آخر ماخلق من أصناف الخليفة، وقال مقاتل، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيواناً، وقال الحسن قريباً من ذلك.

أما من قال بأن المقصود هو جنس ذريّة آدم فقد فسر الحين بمدة الحمل وهي تسعة أشهر، فيكون الجنين جماداً لاذكرله.

وقال أبوبكر رضي الله عنه لما قرأها: ليتها تمّت فلا نبتلى، أي ليت المدة التي أتت على آدم لم يكن شيئًا مذكوراً تمت على ذلك فلا يلد ولايُبتلى أولاده «لشدة خشيته»، كما قال الفاروق لما سمعها: ليتها تمّت. «انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ الجزء ١٩، تفسير الفخر الرازي ـ الجزء ٢٩»، فهل كان صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تمنيا بقاء المدة التي كان فيها بنو آدم لا يعرفون لغة ولا فكراً ولا تاريخاً؟ ثم ما البراهين العلمية التي لا تقبل النقد لتفنّد ماذهب إليه المفسرون؟

أحمد محمد سميح دعدوش
دمشق – سورية

دفاع عن القرآن الكريم ضد منتقديه

مراجعة: ثابت عيد
زيورخ - سويسرا

هناك عدد من الملاحظات على هذا الكتاب الذي وضعه د. عبدالرحمن بدوي بالفرنسية وترجمه إلى العربية د. كمال جادالله، أما الملاحظة الأولى فهي ذلك الهجوم الكاسح على بعض جهابذة الاستشراق:

Islamica
dirigée par 'Abdurrahmân BADAWI

Défense du Coran contre ses critiques

par
'Abdurrahmân BADAWI

دفاع عن القرآن ضد منتقديه

د. عبد الرحمن بدوي
ترجمة: د. كمال جادالله
القاهرة: دار الجليل للكتب والنشر، ١٩٩٧

يشعر من يقرأ هذا الكتاب بحنقه، وغضبه، واستيائه، وثورته العارمة، على عدد كبير من جهابذة الاستشراق، ويأتي المستشرق الألماني نولدكه في مقدمة هؤلاء المستشرقين الذين وجه إليهم العالم بدوي هجومًا عنيفًا. والجدير بالذكر أنّ نولدكه كان يدرس الشرق والإسلام، دون أن يكلف نفسه عناء زيارة بلد إسلامي، طوال حياته المديدة، فعاش ومات دون أن يرى أي مدينة إسلامية. هذه النقطة بالذات يهاجمها عبدالرحمن بدوي بشدّة، فيقول في سياق دحضه لتفسير نولدكه للآية الكريمة: ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون. يوسف:٤٩: «... وأعرف تمامًا أنّ نولدكه لم يغادر أوروبا، ولم تطأ قدمه خلال حياته الطويلة (١٨٣٦ـ ١٩٣٠م) أي بلد عربي أو إسلامي. فمن أين كانت مصادره للدراسات العربية والإسلامية؟ ولكن ألم يقرأ ترجمة القرآن لسال Sale، وهي الترجمة المشهورة جدًا في القرن الثامن عشر؟ يبدو أنه كان يهذي. إنّ خطأ نولدكه هنا مزدوج. أولاً: إنه لم يفهم النص العربي للآية ٤٩ من سورة يوسف. وثانيا: إنه يؤكد أنه في مصر لا يُرى المطر، ولا يُفتقد، وهو خطأ عظيم لا يرتكبه أي طفل مصري»، (ص ١٨٠من الترجمة العربية التي سنعتمدها جزئيا هنا، على الرغم من ركاكتها!).

ويقول بدوي بلهجة لا تخلو من تهكم واستهجان: «ولكن نولدكه لا يُحاول إثبات قضيته التي لا برهان عليها. وهو شيء مدهش من جانب رجل يشعر بأنه عالم كبير، وأحد أعمدة الاستشراق!» (ص ١٧٧). ووصف بدوي كلاً من نولدكه وشيفالي بالكذب والصلف في ص ٩٦ من الترجمة العربية.

أما المستشرق مرجوليوث، فقد نال قسطًا وافرًا من هجوم بدوي على الاستشراق الغربي. فبعد الإشارة إلى أن مرجوليوث «ينحدر من عائلة إسرائيلية»، يستطر بدوي قائلاً: «لقد عاش مرجوليوث طيلة حياته عدوًا لدودًا للإسلام. ولقد دفعه تعصبه البغيض إلى أن يسوق أحكامًا بالغة الغرابة هاجم بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر رسالته» (ص: ٦٧).

ويصف الدكتور بدوي المستشرق هيرشفيلد الذي أراد إرجاع كلّ شيء في القرآن إلى أصول يهودية بـ «التعصب الأعمى المختلط بالزهو والغرور» (ص:٣٦). ثم يتابع حكمه قائلاً: «وفي النهاية نؤكدُ أنّ هذه الدراسات الثلاث لهيرشفيلد والتي خصصها للعلاقة بين القرآن الكريم والكتاب اليهودي المقدس ليس لها قيمة، لأنّها قائمة على أوجه شبه فرضية، وآراء مبتسرة، ومقدمات لا أساس لها، وتفتقر كلية إلى الفهم. وتعويضاً ومكافأة له عن تلك الصفات أصبح هيرشفيلد أستاذًا بجامعة لندن عام ١٩٢٤م!» (ص ٣٨).



الملاحظة الثانية: نقض الموقف العام للمستشرقين من الإسلام:

يتهم الدكتور عبدالرحمن بدوي المستشرقين بصفة عامة بتحريف الحقائق، وتضليل العباد، ونشر الأكاذيب عن دين الإسلام، حيث يقول: «... وهدفنا كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخدع لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب الأخرى»(ص ١٦).

ويلخص الدكتور بدوي أسباب موقف المستشرقين السلبي من الحضارة الإسلامية في خمس نقاط، فيقول: «(...) ومن أجل ذلك تصدينا في كتابنا هذا لفضح هذه الجرأة الجهولة الحمقاء عند هؤلاء المستشرقين حول القرآن. وأستطيع أن ألخص سبب التردي الذي وقع فيه هؤلاء المستشرقون فيما يلي:

- جهل هؤلاء المستشرقين باللغة العربية.
- ضحالة ونقص معلوماتهم عن المصادر العربية.
- سيطرة الحقد على الإسلام الذي ورثوه ورضعوه منذ طفولتهم على عقولهم، وتسببه في عماء بصيرتهم، حيث نقلوا الأكاذيب حول القرآن والإسلام بعضهم عن بعض، وتمثل ذلك في كتابات كل من هيرشفيلد وهوروفيتس، وسباير.
- المشابهات الخاطئة التي دفعت السطحيين منهم إلى إصدار أحكام سريعة: نقل اقتباس، تقليد، تأثير وتأثر – وأنه ليس في القرآن إلا توافق ظاهري. وهذا هو حال نولدكه، ومرجوليوث، وجولدتسيهر، وشبالي. ولكن نولدكه تراجع عن آرائه التي في كتاب «تاريخ القرآن »طبعة جوتنجن ١٨٦٠م، ورفض إعادة طبع الكتاب.
- الالتزام التبشيري شديد التعصب، وتلك حالة وليم موبير، وزويمر» (ص ١٥-١٦، مع بعض التعديلات).

الملاحظة الثالثة: التهكم على المستشرقين ومناهجهم:

يسخر الأستاذ بدوي من حملة المستشرقين المسعورة على الإسلام، ومحاولاتهم المستميتة لإرجاع كل كلمة وردت في القرآن إلى أصول يهودية – مسيحية. يقول بدوي: «ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلابد أن محمداً كان يعرف العبرية، والسريانية، واليونانية!!، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل الأدب التلمودي، والأناجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين!! وكتب مختلف الكنائس، والملل والنحل المسيحية!!» (ص ٢٨).

ويبلغ تهكم بدوي ذروته في الفصل الثامن من الكتاب المعنون «قراءة هلينية خيالية للقرآن» وفكرة هذا الفصل هي باختصار السخرية من المحاولات العقيمة لإرجاع كل كلمة في القرآن إلى اليهودية أو المسيحية، لمجرد وجود بعض التشابه بين القرآن والأصول الأخرى. يقول بدوي: «لقد رأينا كيف أن المستشرقين أمثال: هيرشفيلد، وجولدتسيهر، وهوروفيتس، وتوري قد قرؤوا القرآن قراءة يهودية، وأن آخرين أمثال موير، وبل، وآرنز قد قرؤوه قراءة مسيحية، أو يهودية – مسيحية. ومن باب السخرية فإننا نريد أن نعارضهم في هذا الفصل. فماذا يمكن أن يقول هلليني يقرأ القرآن بطريقته ...» (ص:٩٢).

الملاحظة الرابعة: تجليل المنصف من الغربيين:

نود أن نورد ثلاثة أمثلة على موضوعية الأستاذ بدوي، وشجاعته، وعدم تردده في مدح من يراه منصفاً. فهو أولاً لا يخفي إعجابه بالمستشرق الهولندي أدريان ريلاند (١٦٧٦-١٧١٨م)، لأنه، على الرغم من عدائه للإسلام، كان يحاول دائماً البحث عن الحقيقة. يقول بدوي عن ريلاند: «لقد سحرني هذا الكاتب بإنصافه، وعمقه، ورأيه الموضوعي جداً تجاه الإسلام، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد هذا الطوفان العظيم من المشنعين، الذين تتابعوا من القرن الثالث عشر، بل ومن قبله، وإلى نهاية القرن السابع عشر» (ص ١٣٤). ويقتبس بدوي القول الآتي لريلاند الذي يبين موقفه من الإسلام، فيقول: «هذا الجهل من جانب كتابنا الغربيين، بالإضافة إلى الحماس الكاذب لبعض صغار اليونانيين الذين كانوا يعيشون بين المسلمين، والذين بدلا من أن يعرفوهم ويدرسوهم ويدرسوا لغتهم المقدسة، فإنهم ينسلون منذ زمن طويل بتقديمهم لنا بكل سوء نية، تغذية للكراهية والاحساس بالبغض تجاه الأعداء المنتصرين... ولنتكلم بصراحة: فإننا ليس لدينا عن الدين المحمدي، إلا أكاذيب. وهذا ما دفعني إلى اتخاذ قرار، ليس فقط لقول الحقيقة باختصار فيما يخص العقيدة، ولكن أيضا لتصحيح بعض ما قيل من خطأ في هذا الصدد ...» (ص١٥٠).

والنموذج الثاني يتمثل في تقدير بدوي لجهود المستشرقين في مجال دراسة الكلمات الأعجمية في القرآن، فيقول: «هؤلاء الكتاب قاموا بجهود تستحق الإشادة، لتوضيح جذور عدد كبير من الكلمات الأعجمية الموجود في القرآن، ولكنهم كانوا أحياناً يقترحون جذوراً مختلفة لنفس الكلمة» (ص:١٣٠).

أما المثال الثالث، فهو كلام بدوي عن المستشرق جولدتسيهر، فنلاحظ أن حكم بدوي عليه ليس بشدة حكمه على نولدكه مثلاً. يقول بدوي: «على أية حال يجب أن نعترف له (لجولدتسيهر) أنه كان أكثر وسطية من مستشرقين آخرين أمثال ألفريد فون كريمر في كتابه: تاريخ حضارة المشرق تحت حكم الخلفاء ...» (ص٨٠).

الملاحظة الخامسة: الترجمة العربية سيئة جداً:

من المؤسف له حقاً أن تكون ترجمة كتاب محترم ككتاب الأستاذ بدوي ركيكة إلى درجة لا يتخيلها أي إنسان باحث. فالترجمة تحتوي على كم هائل من الأخطاء المطبعية، والنحوية، واللغوية، والفنية. هي باختصار ترجمة غير دقيقة لكتاب محترم، ونكتفي هنا بالنقاط الآتية:

- إن ظهور مثل هذه الترجمات الركيكة للدراسات العلمية الجادة يعد إهانة لديننا، وفضيحة لثقافتنا، وصفعة لكاتب في قامة بدوي وإفلاساً لمؤسساتنا العلمية.
- لا يمكن ولا ينبغي ولا يعقل أن نترك ترجمة مثل هذه الأعمال الخطيرة من دون تدقيق. فالموضوع يتعلق بتاريخ أمتنا، وثقافتها، وحضارتها ودينها.
- يتحمل مسؤولية هذه الترجمة الركيكة كل من الناشر سعيد عثمان–

صاحب دار الجليل بالقاهرة - والمترجم الدكتور كمال جاد الله - المدرس بقسم اللغة الفرنسية في كلية اللغات والترجمة بالأزهر.

- مما يؤخذ على الترجمة إهمالها الواضح للاستخدام الصحيح لعلامات الترقيم، إذ تتداخل بعض المقاطع تداخلا قبيحًا، بلا فواصل، ولا نقاط، ولا حدود.

- أهمل المترجم أيضا ذكر الأسماء الأعجمية، وعناوين الكتب الأجنبية، بلغاتها الأصلية، كما هو متبع في ترجمة الكتب العلمية.

- قام المترجم بحذف آخر جزأين من الكتاب الأصلي، وهما جدول وثبت للمراجع.

الملاحظة السادسة: نقض دعاوي المستشرقين وآرائهم الخاصة بالقرآن:

قد نتفق مع بدوي في ردوده، وقد نختلف معه ، ولكن ما لا يمكن الاختلاف حوله هو أن الدكتور بدوي بذل مجهوداً جباراً من أجل عرض آراء المستشرقين والرد عليهما، وأنه كان في ذلك مخلصًا وصادقًا وواضحًا. ونستعرض فيما يأتي باختصار أهم مزاعم الغربيين عن القرآن:

الزعم الأول: لفظ أمي يعني وثني!:

ادّعى المستشرق شبرنجر Sprenger في كتابه «حياة محمد ومذهبه» أنّ لفظ «أميّ» يعني وثني أو: من يقرأ دون أن يكتب. وقال وينسينك: إن لفظ أمي يعني «من هم بدون كتاب» وأضف أن أمي تعني بالعبرية goi, goiim, goyim وإلى سخافات مشابهة ذهب هوروفيتس وبوهل وبارت، وغيرهم. ردّ بدوي بأن المعنى المتداول للفظ أمي في المصادر الإسلامية هو «من لا يعرف القراءة والكتابة» وهو إما أن يكون مشتقًا من «أمة»، وإما من «أم» فإذا كان مشتقًا من«أمة» فلن يكون معناه الجهل بالقراء والكتابة. وإن كان مشتقًا من «أم» فسيكون معناه عدم معرفة القراءة والكتابة، أي كما قال الزجاج: «الأمي هو الذي يظلّ كما ولدته أمه» أي لم يتعلم القراءة والكتابة واستطرد بدوي قائلاً: لو افترضنا أن لفظ أمي يعني «وثني» فكيف يعقل أن يسمي الرسول صلى الله عليهم وسلم نفسه «وثنيًا» بينما هو جاء اصلا لمحاربة الوثنية؟ ويقترح بدوي أن يكون معنى لفظ «أمي» عالميًا، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم، مرسل إلى كل العالم.

تعقيب: حتى لو افترضنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب، فهذا لايقلل من مكانته في شيء، لأنّ هذه التهمة فحواها أن الأمية من شروط النبوة، والأمر ليس كذلك. وفضلا عن هذا فهل يعقل أن تخلو اللغة العربية الغنية بمفرداتها وتركيباتها من لفظ يشير إلى معنى الجهل بالكتابة والقراءة؟

الزعم الثاني: اقتبس محمد صلى الله عليه وسلم كل شيء من التوراة والأناجيل:

يقول بدوي: إنّ المستشرقين آبراهام جيجر(ماذا أخذ محمد من اليهودية؟ بون ١٨٣٣م)، وهارتيج هيرشفيلد (عناصر يهودية في القرآن، برلين ١٨٧٨م)، و(دراسات في تفسير القرآن، ليبتسج ١٨٨٦م)، و(أبحاث جديدة في نظم القرآن وتفسيره، لندن ١٩٠٢م)، ود. سيدرسكي (أصول الأساطير الإسلامية في القرآن، باريس ١٩٣٣م)، وهاينريخ شبرنجر(الحكايات التوراتية في القرآن، إعادة طبع في هيلدسهايم ١٩٦١م)، ويوسف هوروفيتس (دراسات قرآنية، برلين وليبتسج ١٩٢٦م) و(الأسماء اليهودية الحقيقية ومشتقاتها في القرآن، إعادة طبع في هيلدسهايم ١٩٦٤)، وإسرائيل شابيرو (العناصر التوراتية في الجزء القصصي من القرآن، برلين ١٩٠٧م)، وريتشارد بل (أصل الإسلام في بيئته المسيحية، لندن ١٩٢٦م) ومقدمة في القرآن، أيدنبرج ١٩٥٣م)، وتورأندريا (أصل الإسلام والمسيحية، أوبسالا ١٩٢٦م) - قد ادعوا أن «محمداً - باعتباره مؤلف القرآن - قد اقتبس الكثير من القصص والأمثال من الكتب المقدسة أو شبه المقدسة للمسيحيين واليهود».

رد بدوي، قائلاً:

- إنّ تصديق هذا الزعم يعني أنّ محمّدا صلى الله عليه وسلم كان ملماً بالعبرية والسريانية، واليونانية - وهي اللغات التي استخدمت في عصره لتدوين الكتب المقدسة لليهود والنصارى. وهذا ادّعاء تنقضه المصادر التاريخية. كان ينبغي أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ملماً بالقراءة، وأن تكون لديه مكتبة ضخمة تحتوي على كافة المراجع اليهودية والمسيحية جميعاً، وهو ماتنفيه المصادر التاريخية.

- إنّ أصحاب هذه الفرية لا يكادون يرون كلمة أو أكثر وردت في القرآن، وكانت موجودة في الكتب الأولى، حتى يتوهموا أن هذه سرقة ! وكأنه كان ينبغي على القرآن أن يقول أشياء مخالفة للعقل والقوانين حتى يحظى بالمصداقية!

- إنّ كلّ الأمثلة التي أوردها هيرشفيلد للبرهنة على صحة هذه المزاعم ثبت عدم صلاحيتها أصلاً.

يحمل أسلوب بدوي غضباً شديداً على المستشرقين المذكورين سابقًا، إذ لا يتردد في فتح النار عليهم، بأسلوب يتسم بالقسوة والعنف، وأحياناً بالتهكم والسخرية.

يقول بدوي عن محاولة هيرشفيلد إثبات أنّ محمّدًا اقتبس كل شيء من التوراة: «(...) وهذا يثبت أنّه (= هيرشفيلد) كان ضحية لهوس مرضيّ، سببه ذلك التعصب الأعمى المختلط بالزهو والغرور ... إنّه يصل بهذا السخف إلى نهايته، حين يقرّر أنّ القرآن - وهو نص الإسلام المكتوب - ليس إلا تحريفًا للتوراة ...» إننا نجد أيضا ذلك العمى المرضيّ في رسالته للحصول على الدكتوراه: العناصر اليهودية في القرآن (برلين١٨٨٧م). وكذلك في كتابه: محاضرات في تفسير القرآن (ليبتسج ١٨٨٦م).

الزعم الثالث: كلمة (سورة) مشتقة من الكلمة العبرية(شورة)!:

يقول بدوي: «كان نولدكه أوّل من ادعى أن كلمة سورة مشتقة من الكلمة العبرية: شورة. ولكن هذه الكلمة تعني:خط، نسق، سطر، صف

- ولاتعني جزءاً من كتاب إذاً فافتراض نولدكه مزيف وخيالي بالكلية».

الزعم الرابع: كلمة (فرقان) مشتقة من اللغات الأجنبية:

زعم هيرشفيلد، وجيجر، وهوروفيتس أنّ كلمة (فرقان) مشتقة من الكلمة العبرية Pirke (=فصول، أبواب) وزعم نولدكه، وشبالي، ووينسينك، وبل، وجيفري أنّ كلمة (فرقان) هي الشكل العربي للكلمة السريانية. «فرقانة» والكلمة العبرية - الآرامية «فرقان»، بمعنى الخلاص، وترجمها رودي بارت بمعني إنقاذ Rettung.

ردّ بدوي: ليس يوجد أي دليل يثبت أن كلمة فرقانة السريانية، أو بيركة العبرية - الآرامية - كانت معروفة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وفضلا عن ذلك فمعنى هذه الكلمات لا علاقة له البتة بمعنى كلمة «فرقان» العربية التي هي مصدر الفعل «فرق»، وتعني باختصار التفرقة بين الحق والباطل أو ببساطة القرآن.

الزعم الخامس: كلمة «مسلم» مشتقة من مسيلمة:

ادّعى مرجوليوث أنّ كلمة مسلم مشتقة من «مسيلمة» وليس من أسلم، وإسلام!! وهو إدعاء مضحك، لا يحتاج إلى تعليق.

الزعم السادس: نزلت الفاتحة بعد الهجرة:

زعم مرجوليوث أن الفاتحة لم تنزل، إلا بعد الهجرة! ويرد بدوي بأن المسلمين كانوا يؤدون صلاتهم في مكة قبل الهجرة، ولا صلاة من دون فاتحة.

الزعم السابع: الفاتحة هي القداس الأبوي عند المسلمين:

زعم جولدتسيهر أنّ فاتحة الكتاب هي القداس الأبويPater Noster عند المسلمين! يدحض بدوي هذا الزعم مؤكداً أنّ الفاتحة تؤكد هيمنة الله على العالم ووحدانيته، بينما يكتفي القداس الأبوي بتمجيد الله.

الزعم الثامن: التوحيد الإسلامي يتفق مع التوحيد اليهودي:

زعم جولدتسيهر أنّ التوحيد الإسلامي يتفق مع التوحيد اليهودي! ردّ بدوي بأنّ إله العهد القديم هو إله اسرائيل فقط، أمّا إله الإسلام فهو «رب العالمين» وإله إسرائيل هو «الأب»، أمّا إله الإسلام فهو «لم يلد ولم يولد»، توحيد إسرائيل قومي، وتوحيد الإسلام عالمي.

الزعم التاسع: أخذ محمد صلى الله عليه وسلم الصيام عن اليهودية:

زعم جولدتسيهر أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أخذ الصيام عن اليهودية! وردّ بدوي بأنّ الصيام في اليهودية يكون في يوم الغفران، وعدة أيام أخرى إحياءً لذكرى النكبات التي حلت باليهود. أما الصيام في الإسلام فهو لمدة شهر كامل، وهو ركن أساسي من أركان الإسلام الخمسة وفضلاً عن هذا فإنّ الصيام أقدم من اليهودية بآلاف السنين، فقد عرفته الحضارة المصرية والبابلية، فليست اليهودية هي أوّل من اخترع الصيام.

الزعم العاشر: تغيير القبلة كان بسبب اليهود!

زعم جولدتسيهر أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم «جعل بيتَ المقدس قبلة للصلاة أوّلا، ليكسب مودة اليهود، لأنّه كان في المدينة يعتمدُ على مساندة اليهود ذوى المكانة العالية... ولما لم يحصل على تأييد اليهود، غير القبلة، متجها إلى البيت الحرام في مكة» ردّ بدوي على هذا الزعم قائلا: إنّ القبلة كانت قبل الهجرة على وجه الترجيح هي بيت المقدس، ومن ثم يبطل زعم جولدتسيهر. لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يدخل في علاقة مع اليهود، إلا بعد الهجرة، ومن ثم فلم يكن بحاجة إلى التودّد إليهم أصلاً. ثم أنّ الكعبة لم تكن قبل الهجرة مهيأة لتصبح قبلة المسلمين، وذلك لأنها كانت لا تزال معبدالوثنية العربية. فاقتضى الأمر الابتعاد عنها إلى حين القضاء على الوثنية، ثم التوجه إليها بعد ذلك كقبلة المسلمين ويضيف بدوي أنّ الإسلام هو دين إبراهيم وإبراهيم هو مؤسس الكعبة، إذن فمن الطبيعي جداً أن يتخذ المسلمون الكعبة قبلة لهم. الخلاصة: اتخاذ المسلمين بيت المقدس قبلة لهم في البداية لا علاقة له من قريب أو بعيد باليهود.

الزعم الحادي عشر: أخذ الإسلام شعيرة تغسيل الميت من اليهود:

زعم جولدتسيهر أنّ الإسلام أخذ من اليهودية شعيرة تغسيل الميت! ويردّ بدوي بأنّ تغسيل الأموات من الشعائر التي عرفتها الإنسانية، قبل ظهور اليهودية بآلاف السنين، وهذا يدحض الزعم بأن اليهودية هي التي اخترعت هذه الشعيرة.

الزعم الثاني عشر: اقتبس الإسلام نظام ذبح الحيوان من اليهودية:

زعم جولدتسيهر أنّ الإسلام اقتبس من اليهودية نظام ذبح الحيوان (بقصد أكل لحمه) وردّ بدوي بأنّ هذا وهم كبير، لأنّ الذبح في اليهودية معقد جداً، وفي الإسلام بسيط جداً. ولايوجد أي وجه للموازنة بينهما.

الزعم الثالث عشر: الصابئون هم الحنيفيون أو المعمدون:

زعم المستشرق سبرنجر أنّ الصابئين هم الحنيفيون. وردّ بدوي بأنّ الحنيفيين هم أتباع إبراهيم، بينما الصابئون هم عبدة النجوم، وهي عبادة حاربها إبراهيم. وادّعى هوروفيتس أنّ الصابئين هم المعمدون. فردّ عليه بدوي موضحاً أنّ المعمدين كانوا يرفضون النبوة ويعبدون الكواكب، فكيف يمكن، لو كانوا هم حقا الصابئة، أن يمدحهم القرآن؟

الزعم الرابع عشر: اقتبس محمد صلى الله عليه وسلم فكرة الرسل من المسيحية:

زعم وينسينك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم اقتبس من المسيحية فكرة الرسل المرسلين إلى مختلف الأقوام، مشيراً إلى عدم معرفة محمد صلى الله عليه وسلم أي شيء عن «الرسل الاثني عشر». يرد بدوي بأنّ فكرة الرسل موجودة في اليهودية، قبل المسيحية فلو وجدا قتباس لكان أولى أن يكون من اليهودية، وليس المسيحية. ومن ناحية أخرى فمستحيل أن يصح هذا الزعم لأسباب أخرى هي: أن لفظ apostolos اليوناني استخدم في الأناجيل بمعنى حواريين، أو رسل الكنيسة، أو رسل الله. أمّا في الإسلام فالوضع مختلف تماماً فالمسلمون يفرقون بين الرسول وبين النبي. والرسول هو من يبعثه الله برسالة سماوية (كتاب) يقوم بتبليغها طوال حياته. والنبي هو الذي لا يأتي بكتاب، ولا بدين جديد، ولكن مهمته تنحصرُ فقط في الإنذار والبشارة. وأخيراً فإنّ الرسل الاثني عشر الذين أشار

إليهم وينسينك ليسوا مرسلين من قبل الله، ولكن من قبل الكنيسة.

الزعم الخامس عشر (وهمي): اقتبس الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة الفضيلة من أرسطو!:

يتهكم بدوي على محاولة بعض المستشرقين إرجاع كلّ شيء في الإسلام إلى مصادر سابقة، يهودية ومسيحية وكأن العالم لم يكن موجوداً قبل هذين الدينين، وكأن اليهودية نفسها قد أتت بأشياء لم تعرفها الإنسانية قبلها يقول بدوي: إنّ بعض المستشرقين قرأ القرآن بعيون يهودية، مثل جولدتسيهر وهوروفيتس وهيرشفيلد، وبعضهم الآخر قرأه بعيون مسيحية، مثل بل وموير. «فماذا يمكن أن يقول هلليني يقرأ القرآن بطريقته؟ إنّه سيزعم لا محال أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم اقتبس من أرسطو فكرة الفضيلة لكونها وسطاً بين طرفين إذ يقول القرآن: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً. البقرة:١٤٣.

الزعم: السادس عشر(وهمي): نقل الإسلام عن طاليس فكرته عن الماء!:

سيزعم هذا الهلليني أيضاً أنّ الإسلام اقتبس من طاليس فكرته بأن الماء أصل كل شيء في الكون، إذ ذكر القرآن: وجعلنا من الماء كلّ شيء حي. الأنبياء:٣٠.

الزعم السابع عشر(وهمي): اقتبس الإسلام من الأوديسا أسطورة سيزيف!:

سيدّعي هذا الهلليني كذلك: إنّ القرآن اقتبس أسطورة سيزيف Si-syphe الواردة في الأوديسا، إذ تقول الآية القرآنية: كلا إنّه كان لآيتنا عنيداً، سأرهقه صعوداً. المدثر: ١٦-١٧.

الزعم الثامن عشر (وهمي): اقتبس الإسلام من الأفلاطونية الحديثة فكرة النور:

سيقول هذا الهلليني: إنّ الإسلام اقتبس من الأفلاطونية الحديثة فكرة النور لكونه المبدأ الأول ، فيقول القرآن: الله نور السموات والأرض. النور:٣٥.

الزعم التاسع عشر: أخذ القرآن البسملة من التوراة والأناجيل:

زعم نولدكه وشبالي في كتاب «تاريخ القرآن» أنّ البسملة مقتبسة من التوراة والأناجيل، فقد أوردا الأصل العبري: Yahwa bishm المذكورة في العهد القديم، والأصل الإغريقي: en onomati kouriou الوارد في العهد الجديد. ويردّ بدوي بأن هاتين الصيغتين العبرية والإغريقية لا علاقة لهما ألبتة بالصيغة العربية القرآنية للبسملة.

الزعم العشرون: نولدكه هو أول من قام بتقسيم القرآن إلى مكي ومدني:

في دراسته الشهيرة لتاريخ القرآن قام نولدكه بتقسيم السور القرآنية إلى مكية ومدنية. ثم قسم المدني إلى ثلاث فترات. ووصف نولدكه آيات العهد المكي بالقصر، والإيقاع القوي، والجمال اللغوي . بينما زعم أنّ

ملاحظات على الترجمة العربية

- ص ٣٨: ترجم المترجم عبارة «D. B. Mac-donald, art. Allah:» هكذا: «د. ب. ماكدونتال: الفن - لله» !! - الصحيح: «د. ب. ماكدونالد، مقال: الله».

- ص ٣٩: كتب المترجم اسم: «R. Bell». هكذا: «ر- رايل»!! (ولعله أراد تدليله) - الصحيح: «ر. بل».

- ص ٦٣: «reidong»-

الصحيح«Rettung».

- ص ٧٣:« كتب ... فعالاً عن الإسلام ...»! - والصحيح: «مقالاً».

- ص ٧٠: كتب المترجم تعبير«Pater Nos-ter»: هكذا: «noster naster.»

- ص٧٧ وغيرها: لم يترجم المترجم اللفظ الألماني Nachdruck - ومعناه إعادة طبع - بل كتبه بالعربية «ناخدرك» وكأنه اسم دار النشر!!.

- ص٩٠ «أول سطر»: « ... في العهد القديم »، الصحيح «... في العهد الجديد».

- ص ٩٤: قال: إن الآية الكريمة: «وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ...، وهي الآية ٢٠ من سورة الزخرف، والصحيح هو أنها الآية ٢٤ من سورة الجاثية. ولم يتورع عن تحريفها، فذكر: «... إن هم إلا يخرصون»، بدلا من: «... إن هم إلا يظنون».

- ص ٩٩: أورد المترجم أرقام السور القرآنية، بدلا من أسمائها، على طريقة الغربيين!!!.

- ص ٩٨: أشار المترجم إلى «مخطوطة» بلفظ: «خطوط».

- ص ١٠١ وغيرها: لايميز المترجم - وهذه آفتنا الكبرى في مصر- بين التاء المربوطة وهاء الضمير فكتب: «مكيه، ومدنيه»، بدلا من: «مكية، ومدنية».

- ص ١٠٣: « مطبعة أبو الفضل ابراهيم»، والصحيح: مطبعة أبي الفضل إبراهيم».

- ص ١٠٣: «القسم الرابع ويشتمل على الأربعين سورة الباقية»، والصحيح: «السور الأربعين الباقية»، أو «الأربعين السورة الباقية»، حتى لا نكون كمن قال: «الباب بيت»، بدلا من «باب البيت»!!.

- ص ١٠٣: «نسخة الآية (٥٠) بالآية (٥٢) والصحيح: «نُسخت».

- ص ١٠٥: كرر المترجم في سياق الحديث عن الفترة المكية الثالثة سورة يوسف، والمقصود هو سورة يوسف، وسورة الرعد.

- ث ١٠٥: «الخطاب بيا أيها الناس أصبح أكثر قدرة» والصحيح: «أكثر ندرة».

- ص ١٠٦: «جوستاني ويل»، والصحيح: «جوستاف فايل».

- ص ١٠٦: «الفتوحات الحربية التاريخية في القرآن»، والصحيح: «مقدمة تاريخية نقدية في القرآن».

- ص ١٠٦: حذف المترجم - بعد ذكر الفترة المكية الثالثة - جملة كاملة!!.

- ص ١٠٧: ترجم كلام المستشرق بل كله ترجمة خاطئة.

- ص ١٠٧: «ومعارضه»، والصحيح: «ومعارضة». «في ذو القعدة»، والصحيح: «في ذي القعدة»، «مارس ٨ . ٦»، والصحيح: «مارس٦٢٨م».

- ص ١٠٧: ترقيم الملاحظة الخاصة بالمستشرق

آيات العهد المدني كانت أقلّ جمالاً، وأطول جملاً، وأكثر تعقيداً. أشار بدوي في عرضه لآراء نولدكه إلى قيام المستشرق جوستاف فايل، قبل نولدكه، بمثل هذه التقسيمات. والواقع أنّ تقسيم القرآن إلى مكي ومدني، وهو شيء معروف لدى المسلمين، وقديم قدم القرآن نفسه. إذن ففضل السبق في هذا التقسيم يعود إلى العلماء المسلمين وليس إلى نولدكه وفايل. يقول النيسابوري في كتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن»: «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطاً وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ...».

الزعم الحادي والعشرون: للمستشرقين السبق في بحث قضية الكلمات الأجنبية في القرآن!:

عالج بدوي في الفصل الحادي عشر من كتابه قضية ما ورد في القرآن بغير لغة العرب. تخف حدة هجوم بدوي على المستشرقين في هذا الفصل إلى حدّ بعيد، بل إنّه ينتقل من الهجوم إلى المديح، ومن السبّ واللعن إلى التقدير والاحترام. فهو يشير بكلّ إجلال إلى جهود المستشرقين لتوضيح أصول الكلمات الأعجمية في القرآن. وبصفة عامة يمكننا فهم نقده المستتر هنا من خلال استعراضه لإسهامات العلماء المسلمين في هذا الحقل، وخاصّة ما ورد في إتقان السيوطي، وبرهان الزركشي. وكأنّ بدوياً يريدُ أن يقول للمستشرقين: لم تأتوا بجديد! وفضلاً عن ذلك فهو يحاول إرجاع بعض الألفاظ القرآنية المعرّبة إلى أصول لاتينية. واقعياً انقسم المسلمون إلى معسكرين: أولهما ينفي وجود الأعجمي في القرآن، والثاني يثبته. فقد نفى الشافعي والباقلاني والطبري (وآخرون) وجود مفردات أعجمية في القرآن. وقال ابن عباس وآخرون عكس هذا. أمّا أبو عبيد القاسم بن سلام، فقد قال بالرأيين جميعاً، حيث يقول: «(...) والصواب عندي مذهبٌ فيه تصديق القولين جميعا. وذلك أنّ هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قالت الفقهاء، لكنّها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال: إنّها عربية، فهو صادقٌ ومَن قال: عجمية، فصادق».

الزعم الثاني والعشرون: أخطاء القرآن عندما خاطب مريم بـ: «يا أخت هارون»!:

ذكر المستشرق الهولندي أدريان ريلاند هذا الزعم ضمن استعراضه لأوهام الغربيين عن الإسلام في القرن السابع عشر. تتعلق هذه التهمة بالآية القرآنية الكريمة التي تخاطب السيدة مريم العذراء بـ: يا أختَ هارون. مريم:٢٨. فقالوا: إنّ محمّداً يزعم أنّ مريم أم السيد المسيح هي أخت هارون وموسى على الرغم من وجود أكثر من ألف ومئتي عام بين موسى وعيسى، واستدلوا من ذلك على جهل الرسول صلى الله عليه وسلم. والسبب الرئيس لهذه الفرية هو جهلهم باللغة العربية. فمريم

بل برقم (٣) خطأ، فالصحيح هو: رقم (٢).

- ص ١٠٨: «بعد محاولة نولدكه ١٨٨٠م»، والصحيح: «١٨٦٠م».

- ص ١٠٨: «مونستر (١٨٩٢) (٩٥)»! والصحيح: «مونستر ١٨٩٢ـ ١٨٩٥م».

- ص ١٠٨: «ص ٢٥٠، ٢٧»!ـ والصحيح:«ص ٢٥ـ ٢٧».

- ص ١٠٨: «... إلا الآيتين (٣٢.٣٨)! - والصحيح: «... إلا الآيات ٣٨ـ ٤٢».

- ص ١٠٩: «... عند نولدكه (٩) سورة مكية»، ـ الصحيح: «(٩٠)».

- ص ١٠٩: «ص٤٧.٧٣»!ـ والصحيح: «ص ٤٣ـ ٤٧».

- ص ١١٠: «... سبع سور ... نقلوا إلى ...»!ـ والصحيح: «...نقلت».

- ص ١١٠: «... وفي الواقع أنه حين قسّم العهد المكي كلّه إلى مراحل ...»، والصحيح: «إلى خمس مراحل».

- ص ١١١: «وحسب التقسيم ...(١٦)سورة ـ بدلا من (١٤)»والصحيح:«١١٦ بدلا من ١١٤».

- ص ١١٩: «(هـ) من القبطية»ـ الصحيح: «... من النبطية».

- ص ١٢١: «.... ليس لها صفات الكلمات البربرية»– الصحيح: «...اليونانية».

- ص ١٢٣: «أخلد:استراح»ـ أسقط تصنيف الكلمة: «عبرية».

- ص ١٢٣: «أرائك ... عبرية»ـ الصحيح: «.... حبشية».

- ص ١٢٣: «إصري ... قبطية»ـ الصحيح: «..... نبطية».

- ص ١٢٣: «أكواب .... قبطية»ـ الصحيح: «..... نبطية».

- ص ١٢٤: «... شيده الله»ـ الصحيح: «.... شيدلة».

- ص ١٢٤: «إل ... بالقبطية»ـ الصحيح: «بالنبطية».

- ص ١٢٧: «فوم: (قمح) باليونانية»ـ الصحيح: «فوم: هو الحنطة بالعبرية».

- ص ١٢٧: «كفلين: مرتين بالنبطية»ـ الصحيح: «.... بالحبشية».

- ص ١٢٧: «لينة .. نجيل»ـ الصحيح: «... نخلة»

- ص ١٣٠: «زعم فولير ....»ـ الصحيح: «... فوللر Voller».

- ص ١٣٢: «فان نورى ...»ـ الصحيح: «.... توري Torry».

- ص ١٣٤: «رولاند ودفاعه عن القرآن»ـ الصحيح: «ريلاند Reland»

- ص ١٣٤: «الطبعة الأولى سنة ١٧٢١ـ ط. ثانيه سنة ١٧١٧»ـ الصحيح:« الطبعة الأولى سنة ١٧٠٥م، والطبعة الثانية سنة١٧١٧م».

- ص ١٣٥: «وكان رولاند كاثوليكيّا»ـ الصحيح: «كان ريلاند Reland بروتستانتياً»

- ص ١٤٠: «واعتماداً على .... فانه يستشهد بكلام مراكشي ...»ـ الصحيح: «....ماراتشي Maracci.«

- ص ١٨١: «في فهرس الكتاب حذف المترجم الفصل الثاني عشر(حول النداء القرآني ...ص١٣٤)، وأورد الفصل الثالث عشر على أنه الثاني عشر!

البتول تنحدر من سلالة هارون، ومن ثم خاطبها القرآن: «يا أخت هارون»، ناسباً إياها إلى سلالة هارون، مثلما تقول العرب: «يا أخا همدان»، أي: «يامن أنت من قبيلة همدان».

الزعم الثالث والعشرون: أخطأ القرآن بنسب هامان إلى فرعون!

ورد اسم هامان في القرآن ست مرات، منها قوله تعالى: وقال فرعون: يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب - أسباب السموات، فأطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه كاذباً. غافر:٣٦- ٣٧. يشير بدوي إلى أن هامان هذا كان وزير فرعون. ولكن بعد مرور أربعة عشر قرناً على نزول هذه الآيات الكريمة، خرج علينا العبقري نولدكه، معلناً اكتشافه خطأ جديداً في القرآن، وكأن المسلمين على مدار هذه القرون الطويلة كانوا جميعاً من الحمقى، حتى جاءهم نولدكه منقذاً ليدلهم على مواضع الخطأ في قرآنهم! زعم نولدكه أن هامان المذكور في القرآن هو بعينه هامان المذكور في سفر إستر Esther (١:٣- ٧/١٥)، والذي كان مقرباً من الملك أسويروس Assuerus، ملك الفرس، وزوج إستر. يوضح بدوي بتهكم وسخرية فساد هذا الادعاء، قائلاً: «إن هامان المذكور في الآيات القرآنية السابقة ليس اسم شخص، ولكنه لقب الكاهن الأكبر لفرعون».

الزعم الرابع والعشرون: أخطأ القرآن عندما تحدث عن خصوبة أرض مصر وهبوط المطر فيها!:

وجه المستشرق نولدكه هجوماً بذيئاً جداً للرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لا يتورع عن اتهامه بكتابة القرآن بنفسه، بل يتهمه بالجهل بكل شيء خارج الجزيرة العربية، فقد اعترض على الآية الكريمة: ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون. يوسف:٤٩. اعترض نولدكه على وصف مصر بالخصوبة، مدعياً قلة الأمطار وندرتها في مصر !! رد بدوي، قائلاً: «هذا نقد قبيح وسخيف وينم على جهل مطبق لدى نولدكه ... باللغة العربية وكذلك بشؤون مصر. (...) إن خطأ نولدكه هنا مزدوج. أولاً: لأنه لم يفهم النص العربي للآية ٤٩ من سورة يوسف. وثانياً: لتأكيده أن المطر لا يرى في مصر ولا يفتقد، وهو خطأ لا يرتكبه أي طفل مصري».

وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى مؤخراً الدكتور عبدالرحمن بدوي عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وأود أن أذكر في السطور الآتية بعض الملاحظات عن حياته:

- بانتقاله للعيش في باريس، صار بدوي منارة عربية ساطعة في عاصمة الفنون والأنوار، اجتماعياً كان بدوي قاسياً جداً، علمياً كان غزير الإنتاج بدرجة جديرة بالاحترام والإعجاب. ومن جهة أخرى كان الدكتور رشدي راشد الذي يعيش في باريس منذ أواخر خمسينيات القرن العشرين، والذي يصغر بدوي بنحو عشرين عاماً، يفعل كل ما في وسعه للدفاع عن بدوي ضد هجمات المستشرقين، وعلى الرغم من ذلك لم يسلم من شتائم بدوي وتجريحاته!.

- حكى لي رشدي راشد أنه أراد إصدار كتاب تذكاري عن بدوي قبل عدة سنوات، بمشاركة محسن مهدي «في هارفارد». ولكن حدث في أثناء الإعداد للمشروع أن سمع محسن مهدي من زميل له أحكاماً قاسية وشتائم أطلقها بدوي في حقه، فانسحب فوراً من المشروع، وقال لرشدي راشد: «كيف أشارك في إصدار كتاب تذكاري عن شخص يشتمني ويجرحني؟»، وهكذا أخفق المشروع قبل أن يبدأ.

- الباحث المصري سعيد اللاوندي - الذي درس وعاش وعمل في باريس سنوات طويلة - كان من أشد المعجبين بعبد الرحمن بدوي، ولكن بدوي صدمه بقسوته وفظاظته وشدته وعلى الرغم من ذلك ظل اللاوندي يتابع أخبار بدوي ويكتب عنه، ثم جمع دراساته هذه في كتاب نشره مؤخراً في القاهرة.

- قسوة بدوي يمكن تفسيرها على أنها كانت تعبيراً عما أصابه من إحباط واستياء من أوضاع التخلف التي يعيشها العرب والمسلمون اليوم فقد كان - رحمه الله - دائم الشكوى من انعدام ردود الفعل العربية على إصداراته الجديدة، بعكس الغربيين الذين كانوا يحتفون بأي عمل يصدره بلغتهم سواء اتفقوا معه أم لا. إحباط بدوي يمكن تفهمه بسهولة؛ لأنه وهب حياته لخدمة الثقافة العربية الإسلامية، فلم يجد منا إلا عدم المبالاة والتجاهل والبرود.

- هذا عن قسوة بدوي، أما قسوة نقاد بدوي عليه، فسببها الرئيس - يا للأسف - هو الحقد والحسد فكثير من منتقدي بدوي ينتمي إلى معسكر الذين لا يعملون، ولا يحبون أن يعمل الآخرون صدمني أحدهم مؤخراً - ويعمل أستاذاً في إحدى الجامعات المصرية - بنقده السخيف لكتابات بدوي المتأخرة التي دافع فيها عن الإسلام، فلما لاحظ استيائي من هذا النقد الهدام، أخبرني أن سبب نقده لبدوي هو أنه كان يدرس الفلسفة عند بدوي، وأنه أراد يوماً أن يتحدث معه، فذهب إليه في مكتبه في الجامعة، وطرق الباب ودخل عليه، ولكن بدوي نظر إليه باحتقار شديد، وصاح في وجهه، قائلاً: «امش اطلع بره !!».

- مسألة أخرى أود الإشارة إليها هنا وهي موقف بدوي من الاستشراق بصفة عامة. فمن الواضح جداً حدوث تطور وتغيير في تقويمه للمستشرقين. ففي موسوعته الخاصة بالمستشرقين نلاحظ أنه يتعرض للمستشرقين بأسلوب يكاد يخلو من النقد.

ولكن في خريف عمره، حدث أن أدرك مطاعنهم وأحقادهم ومواقفهم الهدامة من الإسلام، فهب للتصدي لهم في كتابته الأخيرة بالذات، مثل: «دفاع عن القرآن ضد منتقديه»، و«دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره».

- كل هذا يجعلنا نتساءل: ماذا نحن فاعلون بتراث العلامة عبدالرحمن بدوي؟ أقترح أن يتولى مركز الملك فيصل مشروع ترجمة أعماله الأخيرة من الفرنسية إلى العربية، أو إعادة ترجمة الأعمال التي لم تترجم بطريقة صحيحة. بخصوص موسوعته عن المستشرقين، فهي بحاجة إلى إصدار جديد يزود بإضافات وملاحظات عن تطور نظرة بدوي إلى المستشرقين.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١٢)

جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ / أغسطس/سبتمبر ٢٠٠٢م

الفائز الأول: **محمد أحمد حامد منصور ـ المنيا ـ مصر**

الفائز الثاني: **أحمد مصلح عبدالخالق الشمراني ـ جدة ـ السعودية.**

الفائز الثالث: **طلحي طاهر ـ بسكرة ـ الجزائر.**

الفائز الرابع: **عبدالرحمن محمد مطهر ـ صنعاء ـ اليمن.**

الفائز الخامس: **مبروكة سالم القرقوري ـ مدنين ـ تونس.**

الفائز السادس: **الزهراء يوسف جابر ـ الخمس ـ ليبيا.**

الفائز السابع: **خالد محمد قاسم حزام ـ الحديدة ـ اليمن.**

الفائز الثامن: **شايف أحمد سعد الشامي ـ ذمار ـ اليمن.**

حل مسابقة العدد (٣١٢)

١ـ وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

قائل البيت هو: المنخَّل اليشكريّ.

٢ـ ديوجينس (ديوجين): فيلسوف يوناني دعا إلى التقشف وعاش في برميل.

٣ـ البلوتوقراطية: حكومة الأثرياء.

٤ـ «الخليفة المطرب» لقب أطلق على: الخليفة العباسي إبراهيم بن المهدي أخي هارون الرشيد.

٥ـ الباليوسين: العصر الحديث الأسبق.

أسئلة مسابقة العدد (٣١٥)

ضع علامة ☐ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت:

تمنيت أن تهوى سواي لعلها تذوق حرارات الهوى فترقَّ لي

☐ علي بن عبدالله بن جعفر ☐ نُصَيْب.

(٢) المزولة هي: ☐ الساعة الشمسية ☐ آلة موسيقية استخدمت في العصر العباسي.

(٣) التنجستين: ☐ حمض أميني ينشأ عن تحلل البروتين مائياً ☐ عنصر فلزي يستخدم في صناعة المصابيح الكهربائية.

(٤) تاروت: ☐ قلعة شهيرة في شرق المملكة العربية السعودية ☐ أحد الأودية السعودية الشهيرة يصب في البحر الأحمر.

(٥) دانتي أليغيري: ☐ شاعر إيطالي صاحب ملحمة «الكوميديا الإلهية» ☐ رسام إيطالي. مؤسس الحركة الدادّية.

الاسم:________ **المدينة:**________ **ص.ب:**________ **هاتف:**________

العنوان:________ **الدولة:**________ **الرمز البريدي:**________ **ناسوخ:**________

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ــ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ــ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

المؤرخ والصحفي أمين سعيد وصلته بالملك فيصل

عبدالكريم إبراهيم السمك
الرياض - السعودية

تمخّض مصطلح المسألة الشرقية عن مؤتمر فيرونا Verona عام ١٨٢٢م، والمعنية به دول العالم العربي التي تتبع الحكم العثماني؛ إذ تستوجب أي سياحة استقرائية في معطيات واقع السياسة الدولية في ذلك الوقت وضع اليد على هذا المصطلح ودلالته، بل تستوجب استدعاء مسيرة مئة عام قبل قيام الثورة العربية الكبرى، والمؤرخة في ٥ يونيو/ حزيران ١٩١٦م، التي عصفت بالبلاد وشردت العباد بعد أن لوحت دول الغرب الأوربي ببصيص من سراب التحرر لبعض من غابت عنهم خفايا ما يراد لهذه الأمة من سوء نية لدى الطامعين فيها.



الملك فيصل وأمين سعيد في إحدى المناسبات

وأبناء الشام الذين عصفت ببلادهم عواصف التمزق، لمحوا في أرض جزيرة العرب بارق شعاع نور يبشر بميلاد دولة جديدة من قلب نجد على يد الملك عبدالعزيز آل سعود، دولة تكون للعرب جميعًا، قبلة وموئلاً، بلد اتسعت حدود جغرافيته لتشمل معظم أراضي شبه الجزيرة، في تجربة وحدوية عظيمة، في تاريخ العرب السياسي الحديث، فاستهوت هذه الدولة الناهضة خيرة أبناء الشام لمدّ جسور الولاء لها والدفاع عنها، وكان من هؤلاء المؤرخ والصحفي أمين سعيد الذي كان شيخًا

من شيوخ الصحافة العربية، ورائداً من روادها، وفيما يخص مدرسة التاريخ العربي الحديث والإسلامي معلماً من معالمها، وركيزةً وأساساً من أساسات بنائها.

المشرق العربي في ميزان صراع القوى

المشرق العربي وقاعدته بلاد الشام، يمثل بالنسبة إلى إقليم الشرق الأوسط والعالم، قلب مثلث العالم القديم، وذلك فيما امتاز به هذا الموقع من مكانة جغرافية وإستراتيجية جعله منشأ الصراعات قديماً وحديثاً، فقد انشغل العالم بحساسية وضعه وأهميته السياسية والإستراتيجية والاقتصادية والدينية، فهو قاعدة الصلة بين الشرق والغرب(١).

بهذا الواقع تعاملت القوى الاستعمارية مع جغرافية المكان متربصة به سوء الدوائر عندما سقط بشرك التحرر القومي والعربي عن الدولة العثمانية، والذي رسمته ووضعت فرضيته قوى الاستعمار العربي والحركة الصهيونية الناشطة بعد مؤتمر بازل الصهيوني عام ١٨٩٧م، ومشروع كامبل بانرمان جاء بعد مؤتمر أوربي عام ١٩٠٧م أقر فيه فصل المشرق العربي عن مغربه، بزرع شعب غريب عن المنطقة في فلسطين، وما ذهب فيه هرتزل في طلبه من السلطان عبدالحميد في أن يمنح اليهود وطناً في فلسطين.

كل هذا كان ينذر بوجود أمر معد للمنطقة، وقد شاعت يومها وتسربت قضية تجزئة بلاد الشام لإقامة مشروع الدولة اليهودية على أرض فلسطين، فكان هذا المشروع جزءاً من اللعبة الكبرى - كما أطلق عليها يومها - التي أفرزتها الثورة العربية الكبرى، وكانت من نتائجها، والتي أعدّها بنظري آخر مراحل المسألة الشرقية، وكان ترتيبها الترتيب الثالث في مراحلها بالنسبة إلى تجزئة أملاك الدولة العثمانية وتقسيمها في تحقيق المشروع الصهيوني، والمشروع الاستعماري بسقوط دول المشرق العربي وغيرها في شرك الاستعمار الغربي. بعد أن لاح في الأفق القريب مسألة سقوط الدولة العثمانية وانحلالها، من بعد أحداث الدستور، وخلع السلطان عبد الحميد، رحمه الله، عام ١٩٠٨م.

المسألة الشرقية وصلتها في العالم العربي

يميل عدد غير قليل من علماء التاريخ الحديث إلى أن مصطلح «المسألة الشرقية»، جاء مع مؤتمر فيرونا Verona(٢) عام ١٨٢٢م، ليشمل المشكلات الدولية المعنية بسقوط الدولة العثمانية، وتزامن ميلاد هذا المصطلح مع حرب البلقان والقرم، التي تمخض عنها استقلال اليونان عام ١٨٦٢م، فهذه الحرب كان الوجه الديني هو قاعدة محور الارتكاز فيها، فاللورد بيرون الشاعر الإنجليزي شارك في هذه الحرب وهو بريطاني، كان قد قدم إلى اليونان لحرب العثمانيين لكونهم مسلمين.

قال هـ أ ماريوت Marriott: «إن العثمانيين مادة غريبة عن أوربا ومغروسة في جسد أوربا، فهم مسلمون أولاً وآخراً»، وتبعه إدوارد دريو Driault بالقول: «إنها مشكلة القضاء على قوة الإسلام السياسية».

وقد استطاعت دول الغرب الأوربي بعد نجاحها في استقلال اليونان عن الدولة العثمانية، بنقل أزمة الصراع إلى المشرق العربي بقصد إضعاف الدولة العثمانية من خلال إثارة النزاع الطائفي في بلاد الشام، وقد تحقق لهم ما أرادوه بفتنة أحداث عام ١٨٦٠م، مما ترتب عليه قيام متصرفية لبنان، وذلك بموجب اتفاق دولي، وكانت متصرفية لبنان هذه نواةً وأساساً في تقسيم أملاك الدولة العثمانية، وخاصة بلاد الشام التي كانت الطائفية هي الباب الواسع الذي دخلت منه دول الغرب في تسوية مسائل الدولة العثمانية، وقيام المتصرفية يمثل بالنسبة إلى المسألة الشرقية المرحلة الثانية.

في ظل هذا الواقع دأبت روسيا في الوصول إلى المياه الدافئة، وأمام هذا ذهبت قوى الغرب إلى الحيلولة دون وصولها إلى غايتها، وخير من ساند الدولة العثمانية هو بريطانيا، بقصد صرف روسيا عن غايتها وأهدافها.

وهذا ما دفع روسيا ممثلة بقيصرها نيقولا إلى زيارة السفير البريطاني السيد جورج هاملتون سيمور Seymour في مدينة سان بطرسبرج، بتاريخ التاسع والرابع عشرمن شهر يناير/ كانون الثاني عام ١٨٥٣م، وفي أثناء الاجتماع الأول استعمل القيصر نقولا العبارة الآتية: «الرجل المريض»، وذلك عندما



الملك سعود والأمير محمد بن عبدالعزيز عند وصولهما إلى القاهرة في ٢٥ أبريل عام ١٩٣١م، وهما في طريقهما إلى لندن (من أرشيف أمين سعيد)

قال: «افترض أن لدينا رجلاً مريضاً، وإنني أصارحكم القول إنه إذا أفلت من بين أيدينا يوماً فإن الأمر ينقلب إلى كارثة لا سيما قبل أن نكون قد أخذنا جميع الاحتياطات وإلى هذا اللقاء يعود تاريخ ميلاد مصطلح (رجل أوربا المريض)(٤).

وكما سبقت الإشارة إليه، فقد آمنت بريطانيا بمسألة تمزيق الدولة العثمانية تاركة ذلك لمستجدات الزمن، وهذا ما أكده سالزبوري Salisburey في حوار مع السفير الألماني الكونت هاتسفيلد Hatsfeld عام ١٨٩٥م، عندما قال: «إن تركيا كإمبراطورية لابد يوماً أن تتجزأ، وفي وقت قصير»، وقد كان ذلك !!! في ظل ما هيأته فيما عرف بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م، وبمعطيات الثورة ونتائجها يكون هذا آخر الأدوار في المسألة الشرقية، التي أنهت الوجود العثماني في دول العالم العربي، لتسقط ثانية في شرك الاستعمار الغربي، وتساهم في تقطيع أوصال الدولة العثمانية، ليقام على أرض فلسطين دولة يهودية بموجب اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦م، التي ترتب عليها صدور وعد بلفور في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧م. تلك هي خصوصية المكان الذي ارتبطت فيه بلاد الشام إستراتيجيًا بالقوى الدولية في مصالحها في موقع يمثل امتلاك ميزان القوى لمن يسيطر عليه، فقد أفرز سلوكاً وسياسة خاصة تجاه جغرافية المكان، الفاعل والمتفاعل مع سياسة محاور القوى الدولية، فالجغرافية كانت ومازالت ذات صلة مباشرة في فهم مسيرة التاريخ، وتفسير أحداثه تفسيراً صحيحاً على المحاور السياسية والاقتصادية والإستراتيجية والعسكرية كافة، فالمشرق العربي وبلاد الشام جزء منه بموقعها «الجيوإستراتيجي»، قد رسمت خريطتها وجغرافية أقاليمها، السياسات والأطماع الاستعمارية فيها، في ظل

غياب الوعي السياسي والثقافي لأبناء هذه البلاد وخاصة منهم من انساقوا وراء سراب التحرر، كالرموز السياسية التي ارتبطت بالثورة العربية الكبرى، فواقع الخطاب الدبلوماسي بالنسبة إلى هذه الرموز، أضعفه جهلهم بالثقافة السياسية والتاريخية، الذي أظهرته فيهم ما أفرزته الثورة العربية الكبرى من نتائج، فقد تعاملوا معهم معاملة الدونية، ويبدو ذلك فيما تعرضوا له عندما قصدوا باريس لحضور مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩م، إذ لم يسمح للأمير فيصل بن الحسين بدخول المؤتمر، وبعد توسط بريطانيا سمح له بدخول المؤتمر ناظراً ومشاهداً على مايجري فيه، بعيداً عن المشاركة بعد أن خلعوا عنه صفة التمثيل الدبلوماسي، بذريعة أنه لم يكن هناك دولة عربية مستقلة قبل الثورة.

وهذا الواقع في قضية الجهل في الثقافة السياسية والتاريخية، هو ما أشار اليه أمين سعيد في كتابه «مأساة العرب الكبرى» أو «مأساة الشريف حسين»، وفي مقدمة كتابه هذا في هذه القصة التي نقلها عن لسان ابن من أطلق الرصاصة الأولى للثورة، وهو الأمير علي بن الحسين فيقول:

قصدت العراق من القاهره لتقديم العزاء بوفاة الملك فيصل بن الحسين وعند لقائي الملك علي بن الحسين في بغداد عام ١٩٣٣م، توجهت إليه بالسؤال فيما أقدم عليه الإنجليز من غدر بهم في مسألة ما جرى من تقسيم البلاد، ومشروع إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، فقال: «لم نكن سوى بُداة بسطاء، لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا الحياة الدولية، أو عاملنا الأجانب أو اتصلنا بهم من قريب أو بعيد، ولقد جاءنا الإنجليز بورقة بيضاء وفي ذيلها ختم الإمبراطورية، وقالوا هذه ورقة رسمية فاكتبوا فيها ماتشاؤون ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية، فصدقناهم ووثقنا بهم في تصديق كل كلمة قالوها، لكنهم



غلاف كتاب «فيصل العظيم»

مالبثوا أن خانونا وغدروا بنا»، هذا الواقع من الضعف العسكري والجهل السياسي أوصل العرب إلى ما وصلوا إليه من عدم الاعتراف بالحق الشرعي من قبل القوى الاستعمارية، وأدى إلى ضعفهم الديبلوماسي في المحافل الدولية، كما هو الحال اليوم، فقد كانوا دون الحد الأدنى من الاعتراف المطلوب، حتى يكون لهم حق في التمثيل الرسمي والسياسي في أي منتدىً أو لقاء دولي.

وقد حملت لنا دار الوثائق البريطانية خبراً عن الوعد المشؤوم بلفور وزير خارجية بريطانيا، الذي زار أمريكا في يوم ١٨مايو/أيار ١٩١٧م، والذي قدم لوزير خارجيتها لننسنغ Lansing خطاباً يشرح فيه واقع السياسة البريطانية تجاه تركيا وما كان يلحق بها إذ يقول في الخطاب: «إن تركيا ستفقد أهم أجزاء وادي دجلة والفرات، وسوريا وغيرها من الأجزاء الجنوبية من آسيا الصغرى(٦)»، فجاء بلفور بوعده المشؤوم.

تلك هي صورة العصر وحاله السياسي وما هو مدبر له، والذي عاشه وأدركه كل من أمين سعيد صحفيًا ومؤرخاً، والملك عبدالعزيز رحمه الله مؤسساً لدولته المملكة العربية السعودية، فقد رأى بثاقب نظره ما يحيط بالوطن والأمة من مكاره وسوء تدبير، والذي يستعرض ما سبق عرضه يقف على ما كان يتمتع به الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه من إدراك ووعي وفهم، فوصل بفضل الله أولاً ثم بوعيه وثقته بنفسه، بسفينة بلاده إلى شاطئ الأمان، بعد أن عاش وعاصر حربين عالميتين اكتوت بنارهما جميع دول العالم، فاستطاع الملك عبدالعزيز إدراك الواقع الذي يعيشه العالم من حوله، فنأى بنفسه عن الانخراط في أي حلف دولي من أحلاف وقوى الحرب، واستطاع النجاة بنفسه والوصول ببلده وبشعبه إلى بر الأمان، والملك عبدالعزيز صاحب الريادة في الفهم السياسي لما حوله، فقد صنع مدرسة تربى فيها

من تفاءل به، واختار له اسمًا تيمنًا بجده فيصل بن تركي، وقلّده منصبًا سياسيًا وإداريًا عاليًا مفوضًا إياه لينوب عنه في اللقاءات الرسمية والتوقيع. وقد أدرك أمين سعيد هذا البعد في شخص الفيصل في أول لقاء بينهما مما جعله يهتم به وبسياسته، ومن هنا جاء اهتمام أمين سعيد به في كتاباته.

أمين سعيد والملك عبدالعزيز

ترجع معرفة أمين سعيد بالملك عبدالعزيز إلى سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م عندما جاء حاجًا، وكان الملك عبدالعزيز قد استطاع دخول الحجاز، وإقامة سلطنة الحجاز ونجد وملحقاتها، وقد عقدت له البيعة من قبل أهل الحجاز في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ - ٨ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٢٦م.

وعن هذا اللقاء الأول بينهما يقول أمين سعيد وصلت جدة نهار الخميس بعد ما نزلنا الكرنتينا ضيوفًا كرامًا، وبعد وصولي جدة، قابلت جلالة الملك يوم الجمعة صباحًا في دار السري الفاضل عين أعيان جدة، الشيخ محمد أفندي نصيف، تشرفت بمقابلة ملك العرب وفخرها، وبعد التحية شرع حفظه الله يسرد علينا الأحاديث النبوية وفي كل لحظة يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ولايذكر اسمه الشريف إلا بغاية الاحترام والتعظيم، وقلت لرفيقي بعدما خرجنا من عند جلالته: لعن الله الكذابين، كم يفترون على الوهابيين وعقائدهم !، وحيث إنني قد سافرت كثيرًا، والكثير من الناس لا يجهلون اسمي، فأحذرهم من كلام المفسدين الذين يشوهون الحقائق.

ابن سعود يطوف مع الطائفين، ويسعى معهم، يسمع شكوى المظلوم في كل وقت وكل مكان، لايغضب إلا من الباطل، مكثنا بحضرة جلالته ساعة فلكية يسرد علينا الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، وكنت أعتقد أنني بحضرة عالم من أعظم علماء الأزهر الشريف، وكأنه تفرس، وما أحسن فراسة المؤمن عن كذب شركة «رويتر» حينما أذاعت أن جلالته أعلن الجهاد، وقد قال حفظه الله: «ماتأسفت من مكاتب رويتر، أكثر من أسفي من بعض الجرائد العربية، التي تنقل هذا الافتراء، الذي لايصدر من مجنون، لا أريد أن أزاحم مكاتبكم فأفصل لكم أحوال هذه الأرض المقدسة، فإن عدد الحجاج ازداد كثيرًا ولم نعد نسمع الجلبة والضوضاء وصوت الموسيقى، لم نعد نسمع الآن سوى الملبين والمهللين والمكبرين تحفهم السكينة والوقار والخضوع والخشوع، ومكة لايليق بها غير هذا. وخلاصة الكلام: كل مسلم مخلص يجب عليه أن يدعو الله عز وجل لهذا الملك الجليل، بأن يوفقه في أعماله لما فيه مصلحة المسلمين، ثم يقول: وانتقد عليّ بعضهم هدم القبب والآثار التي كانت شبكة لصيد أموال الحجيج المساكين، وكانت تعبد من دون الله عز وجل، يحضر الزائر إلى قبة أم المؤمنين، ويصلي ركعتين، فهل هذه سنة زيارة القبور؟ ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح(٧)» انتهى كلامه.


أمين سعيد في شبابه

فهذا اللقاء ترك في نفس أمين سعيد الشيء الكثير بعد تعرفه إلى الملك عبدالعزيز وبعد مشاهدته واطلاعه على حالة الحجاز بنفسه، وعلى هامش الزيارة تعرف إلى نائب الملك في إدارة شؤون الحجاز سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز، ولدى عودته إلى مصر، حرص أمين سعيد تقديم شهادة لقرائه على ماشهده ورآه فكتب عن زيارته للحجاز دراسة موسعة، عنونها: «ستة أيام في الحجاز» نشرها في مجلته الشرق الأدنى على ثلاث حلقات في الأعداد «٣٢-٣٣-٣٤»، فقد وضع الحقيقة أمام الجميع فيما شاهده ورآه عن ملك الحجاز ووضع الحجيج بعد ما شاهد الوضع بأم عينيه وأدرك أمين سعيد حسن سياسة الملك عبدالعزيز في كسب ودّ أهل الحجاز ومحبتهم له، وذلك إنما كان بفضل تودده إليهم، والابن سر أبيه عندما وجد الملك عبدالعزيز أن خير من ينيبه في حكم الحجاز هو ابنه فيصل فعينه نائبًا له في إدارة شؤون الحجاز.

النشأة والتاريخ

تركت معرفة الأمير فيصل في نفس أمين سعيد عظيم الأثر، وذلك على ما رآه في الحجاز من حسن إدارة واستقرار سياسي، في ظل إدارة نائب الملك في الحجاز والقائم عليه سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز.

ولأهمية معرفة أمين سعيد الأمير فيصل بن عبدالعزيز، فيما يخدم هذا البحث، سواء في نشأته أي أمين سعيد أو مكانته الاجتماعية والسياسية والصحفية، فقد رأيت عرض سيرته بشكل مبسط ليتعرف إليه من لا يعرفه(٨).

ولد أمين سعيد بمدينة اللاذقية يوم الاثنين «٢٣جمادى الأولى سنة ١٣٠٩هـ ٢٨نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٩١م»، وتوفي في «٢١يوليو/ تموز عام ١٩٦٧م» والده الشيخ العالم محمد سعيد حسن سعيد، كان شاعراً وعالماً وتاجراً كبيراً من كبار تجار بلده، أنشأ لنفسه صحيفة «اللاذقية» عام ١٩٠٨م، واشترى لها مطبعة خاصة، وأنشأ صحيفة «العربية» عام ١٩١٣م، تلمذ أمين سعيد لشيخ الصحفيين في بلاد الشام خليل سركيس، صاحب صحيفة «لسان الحال» في بيروت عام ١٩١٢م، خلال خدمته العسكرية في الجيش التركي، عمل بصحيفة «المشرق» عام ١٩١٦م، وكان يشرف عليها الأمير شكيب أرسلان، ومدير تحريرها الشيخ عبدالقادر المغربي، وقد ترك هذا الشيخ والشيخ أسعد الشقيري في نفسه أكبر الأثر، سافر أمين سعيد إلى إستانبول بتكليف رسمي من قائده جمال باشا، مندوباً عن مدينته اللاذقية، وقد شارك بصفته عسكرياً في الجيش التركي في التصدي لحملة اللنبي، ولم يفعل ما فعله غيره في الالتحاق بالثورة العربية الكبرى، فقد انسحب مع الجيش التركي حتى حلب، وبعدها افترق عنهم قاصداً مدينته اللاذقية.

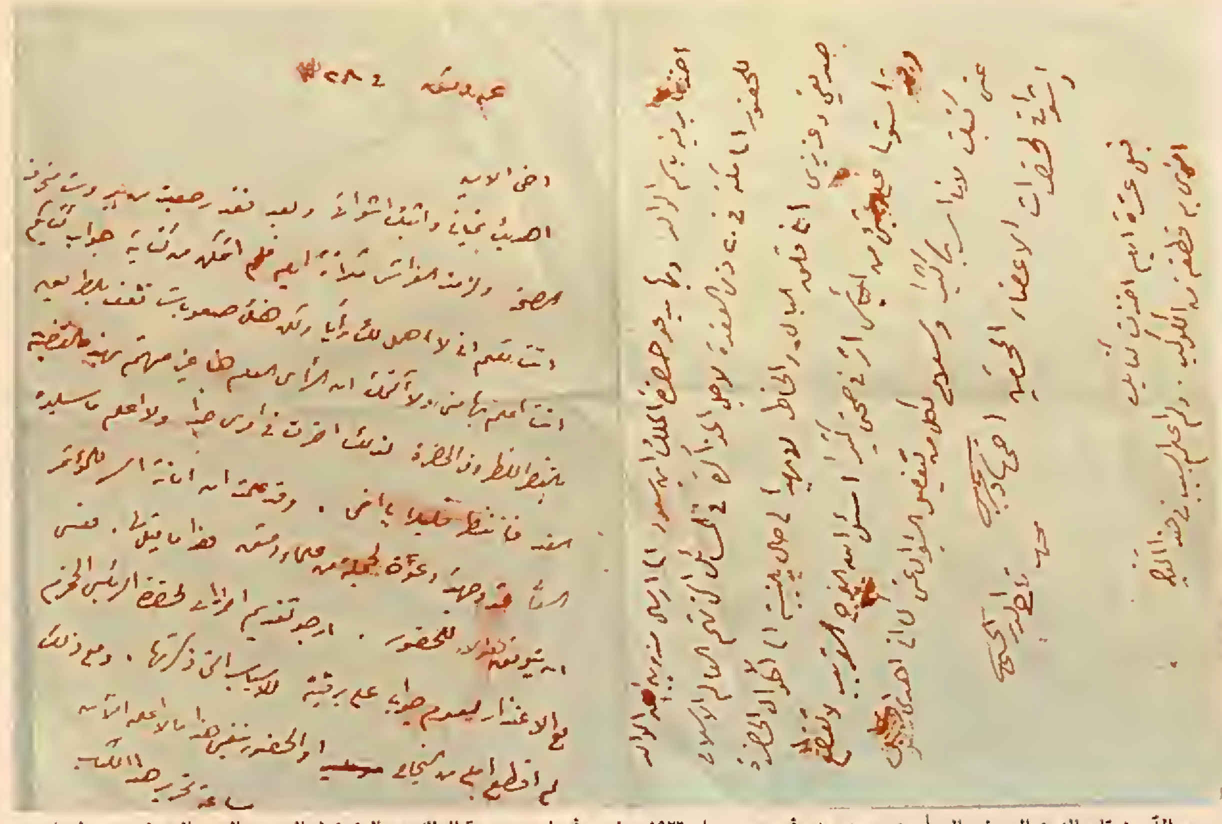


العدد الأول من «الرابطة العربية»

وفي عام ١٩١٨م، عمل بدمشق مع محمد كرد علي وأخيه أحمد في صحيفتهما «المقتبس»، ثم ترك العمل فأنشأ لنفسه صحيفة «الأردن» عام ١٩١٩م(٩)، وقد أغلقتها السلطات الفرنسية، ثم أنشأ صحيفة سياسية فكاهية عام ١٩٢١م أطلق عليها «أبو نواس العصري(١٠)»، ثم أغلقتها كذلك السلطات الفرنسية، ونتيجة لنضاله ضد فرنسا فقد لاحقه الفرنسيون، فقصد مصر ليعيش فيها مع إخوانه السوريين هناك، فكان أول من التقاه هناك الشيخ كامل القصاب، عمل محرراً ورئيس تحرير لمجلة «المقتطف» وصحيفة «المقطم»، واتصل بالشيخ رشيد رضا صاحب صحيفة «المنار»، والشيخ محب الدين الخطيب صاحب صحيفة «الفتح».

علاقته بالملك فيصل

امتدت أواصر التعارف بينه وبين الملك فيصل بن عبدالعزيز، خلال الزيارتين الأولى عام ١٩٢٨م، والثانية عام ١٩٣٠م، عندما كان الفيصل نائباً عن أبيه في إدارة الحجاز ومن خلال زيارات الأمير فيصل إلى القاهرة بين عامي (١٩٣٠ و١٩٤٠م)، كثيراً ما كان أمين سعيد يشارك في لقائه مع الوفود الرسمية بسبب سمو مقامه الصحفي، وهذا ما أشارت إليه مجلته «الرابطة العربية»(١١)، التي كانت تصدر بالقاهرة، وفيها كذلك من



رسالة من تاج الدين الحسني إلى أمين سعيد وهو في مصر عام ١٩٢٦م يخبره فيها عن دعوة الملك عبدالعزيز لوالده بدرالدين الحسني محدث بلاد الشام لحضور المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في عام ١٩٢٦م (من أرشيف أمين سعيد)

نفائس الأخبار عن كثير من الزيارات الرسمية التي قامت بها الوفود الرسمية السعودية خلال زياراتهم إلى القاهرة، كزيارة ولي العهد الأمير سعود وأخيه محمد والوفد المرافق لهما عند سفرهما إلى لندن عبر مصر عام ١٩٣٧م.

وعلى هامش زيارة الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى سورية لتقديم التهاني ومشاركة الشعب السوري فرحته بالذكرى الأولى ليوم الاستقلال في (١٧أبريل/ نيسان ١٩٤٧م)، نائباً عن والده الملك عبدالعزيز، التقى به أمين سعيد؛ وكان برفقته وفد رسمي عالي المستوى، ممثلاً بأخيه الأمير منصور بن عبدالعزيز والأستاذ بشير السعداوي مستشار الملك، ومعه الشيخ يوسف ياسين، وفؤاد حمزه، والشيخ صالح شطا، والشيخ عبدالرؤوف الصبان، والشيخ عبدالله الشبيبي، والشيخ عبيد مدني، وإبراهيم السليمان، والشيخ محمد طيب الهزازي، فجدد أمين سعيد بهذا اللقاء ماضيهما من التعارف، وقد ألقى الأمير فيصل كلمة نيابة عن أبيه هنأ فيها الشعب السوري وحكومته فقال:

«إنه يوم أغر، وعيد سعيد في تاريخ العروبة والإسلام ، استطاع فيه هذا القطر الشقيق وهذه الأمة الكريمة أن تقدم بدمائها الزكية، وأرواحها الطاهرة، أمثلة عليا للتضحية في سبيل مجد الوطن والفداء في سبيل إعزازه.

لقد أتى على هذا البلد الأمين حين من الدهر كان في طليعة الأمم حضارة، وفي مقدمة الشعوب مدنية ثم خبا ضياؤه ردحا من الزمن، ثم ما لبث أن عاد اليوم إلى إشراقه ورجع إلى سطوته يملأ الكون من سنا مجده، ويبهر الأبصار بأضواء يقظته، وإنها ليقظة مباركة لها أثرها البعيد لا في حياة هذا الشعب النبيل، بل في جميع الشعوب العربية والأقطار الشقيقة، فحيّا الله الأمة السورية في جهادها الرائع وحيّا الله الأمة السورية في انتصارها المبين.

أيها السادة:

يحق لبلد حمل لواء الحرية إلى العالم أن يقدس الحرية، ويحق لشعب قدم للناس أروع أمثلة البطولة والمجد أن يكرم الأبطال والعظماء، فمن ذلك البلد الذي أنجب سيد المجاهدين محمد صلى الله عليه وسلم، الذي حرر الإنسانية وحطم قيود العبودية، فكان المحرر الأول للشعوب، من ذلك البلد الحافل بالأمجاد والمفاخر العربية والإسلامية، نحمل إلى الأمة السورية في مهرجانها التاريخي تحية حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز الذي اختاره الله لخدمة العرب ونصرة الإسلام، وإنها لتحية تحمل في تضاعيفها شعور أمة وتقدير شعب، هذا وإننا نضرع إلى الله تعالى أن يسدد خطى العرب للطريق السوي ويزيد في تضامنهم ووحدتهم قوة ويكلأهم بعين عنايته ورعايته إنه قريب مجيب، فلتحي الأمة السورية ولتحي الوحدة العربية» . ا.هـ.

وفي عام ١٩٦٠م، زار أمين سعيد المملكة العربية السعودية بدعوة رسمية من حكومتها، وهيأت له الحكومة السعودية رحلة زار فيها جميع مدن السعودية، ولما عاد إلى مصر كتب كتاباً عما شاهده من نهضة وعمران وتقدم، سماه «أمجاد آل سعود»، وقد نشره عام ١٩٦١م.

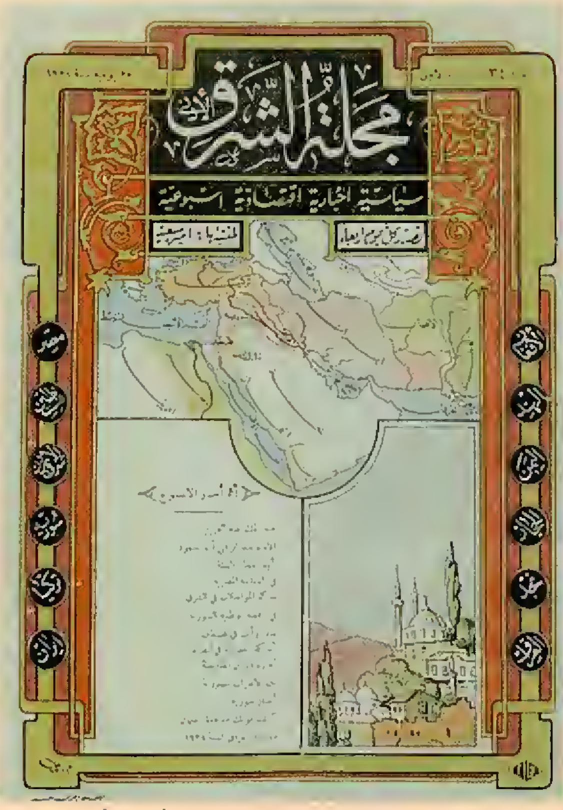
تركت هذه الزيارة لأمين سعيد في نفس جمال عبدالناصر شيئاً من الغضاضة والتحامل عليه، وعندما أذيع أول بيان عن الانفصال بين سورية ومصر، ذهب عبدالناصر في اعتقال أمين سعيد وسجنه، وكان عمره يومها اثنين وسبعين عاماً، فأمين سعيد الذي حاسبه عبدالناصر على صلته بالمملكة العربية السعودية حديثاً، فصلته بها تعود إلى عام ١٩٢٨م، ومن ذلك التاريخ كان أمين سعيد على ولائه للمملكة، وقد جاء ولاؤه من بعد توحيد الحجاز ونجد، كأمل وحدوي لكل عربي في قيام دولة عربية قوية، لما في ذلك من خير لمصلحة الأمة. ودليلاً على حسن نيته - أي أمين سعيد - كان أمين سعيد قد كتب في مصر وتاريخها، وفي عبدالناصر أكثر من عشرة كتب، فكتب عن العدوان الثلاثي، وكذلك عن الجمهورية العربية المتحدة، وعن الثورة المصرية، وعن تاريخ مصر الحديث، وتاريخ حكم محمد علي باشا، فعلى الرغم من كل ما قدمه لعبدالناصر في كتاباته لم تزده منه إلا بعداً، ونكراناً للجميل.

ومن خلال سجنه الذي استمر أحد عشر شهراً وستة أيام، كان الكثير من الذين يعرفون قدر أمين سعيد وسمو مكانته يسعون إلى إخراجه، لأنه طوال سجنه لم توجه له أي تهمة ولم يسأل عن شيء، إلى أن هيأ الله له سبيل الخروج من سجون عبدالناصر(١٢). وكان للملك فيصل صلة مباشرة بذلك، كما كان للسفارة السعودية طيب الرعاية لأسرته وأولاده وهو في السجن.

وبعد خروجه من السجن لم يطب له الحياة والعيش في مصر، فقد عاش فيها سبع عشرة سنة معززاً مكرماً من عام «١٩٢١- ١٩٣٩م»، أما مصر عبدالناصر فلم تكن من الممكن أن يعيش فيها، ففي خلال أقل من يومين على خروجه سافر إلى لبنان، ومنها إلى سورية، ليعيش فيها عيشة الكرامة والحرية مواطناً ومثقفاً وصحفياً ومؤرخاً خدم قضايا أمته وبلده طوال ستة عقود عاشتها بلاد الشام وبقية الاقطار العربية. وعندما وصل إلى بلده وجد فيه ما لم يكن يتمناه، فقد دخلت البلاد في أزمة انقلابات تشبه إلى حد قريب أيام حسني الزعيم وماجاء بعدها، عندما عصفت هذه الأحوال التي نجمت عن هذه الانقلابات، بقضية الاستقرار وجلبت على البلاد الاضطراب، فآثر لنفسه الاعتزال السياسي والصحفي، بعد أن أدرك أن الثوابت قد تغيرت والوجوه التي كان يألفها قد غُيبت ولم يجد أفضل من الاعتزال طريقاً.

لكن أمين سعيد المفعم بروح الأمل بالله، وأن الله لن يضيره، فقد جلس في بيته ليكمل مسيرته القلمية في كتابة تاريخ هذه الأمة، وقد وجد في تناول الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته واجباً يتطلب منه كتابة دراسة عنه، فكتب كتاباً عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم كتب كتاباً آخر فكان خاصاً بجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز، فسماه «فيصل العظيم».

والغيب بيد الله علمه، فأمين سعيد الذي قصد العيش ببلده دمشق بعد قدومه من مصر، كان على موعد مع القدر



غلاف العدد ٣٤ من مجلة «الشرق الأدنى» التي أسسها أمين سعيد، ويتضمن موضوعاً عن الملك عبدالعزيز

عندما وجه له الملك فيصل الدعوة للإقامة بالمملكة العربية السعودية، وكانت الخيرة فيما اختاره الله له، في أن يعيش مابقي له من العمر مكرماً عزيزاً، فقصد السعودية مطلع عام ١٩٦٥م، وعندما وصل الرياض نال التكريم الكبير من الملك فيصل، فأحدث له مكتباً قريباً منه في ديوانه، ناط به نشاطاً إعلامياً خاصاً بديوان جلالته، فكانت هذه الزيارة الرابعة والأخيرة لأمين سعيد والتي كانت تتويجاً لما بينهما من تعارف وإخاء يعود إلى عام ١٩٢٨م، وقد أشار أمين سعيد إلى ذلك بالقول: كان جلالة الملك فيصل عندما يكاتبني أو يخاطبني، يبدأ مكاتباً أو مخاطباً إياي بكلمة الأخ أمين، فكأن هذه المخاطبة قد أسقطت ما بيني وبينه من حواجز وحدود، وقد وجدت في قربي منه البعد الإنساني في شخصيته. وبذلك أدركت فضل الله عليّ في أن أعيش فيما تبقى لي من عمر بجوار جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز، لأنال عظيم التكريم والتقدير من جلالته.

الملك فيصل بن عبدالعزيز في أعمال أمين سعيد

يعدّ أمين سعيد خير من تناول وكتب في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دراسة وتوثيقاً، وأصبح ما كتبه مادة مرجعية في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، وقد ختم باكورة أعماله المنشورة في كتابه «فيصل العظيم».

والذي يستعرض مؤلفات أمين سعيد، يجد أنه كان يتمتع بقاعدة واسعة وعريضة في ثقافته السياسية والتاريخية، فهو فيما كتبه كان بعيداً عن النزعة الإقليمية، فاتسعت عرضاً لتشمل دول العالم العربي كافة، في تاريخها الحديث والمعاصر، وعمقاً وصلت كتابته في تاريخ انتشار الإسلام وحروبه مع الفرس والروم في مجلدين كبيرين، وثمة هناك أعمال غير منشورة تزيد على عشرة أعمال معنية بتاريخ العرب ودوله.

إضافة إلى ما تركه من آثار في مجموعة أعماله الصحفية، وقد امتد عمر أمين سعيد في الصحافة إلى ما يقرب من ستة عقود، وإن ثقافته الصحفية كانت هي الأساس في بناء ثقافته التاريخية، ولهذا فإن أعمال أمين سعيد كانت تقوم على شقين:

الأول: الصحفي وهو الذي كان الأساس في عمله وثقافته.

الثاني: ما كتبه أمين سعيد من كتب ومؤلفات، منشورة وغير منشورة.

فعلى هذين المحورين كان ما تركه أمين سعيد من ميراث علمي، وفي كلا المحورين كان للملك فيصل بن عبدالعزيز الحظ الوافر فيهما.

وقد أشاد أمين سعيد فيما كتبه بالملك فيصل بن عبدالعزيز في بيان أهليته القيادية، في عصر تتالت فيه الهزائم والنكبات بسبب غياب القيادة السياسية فيه.

الملك فيصل في أعمال أمين سعيد الصحفية

جاء اهتمام رواد الصحافة من أبناء بلاد الشام بالدولة السعودية وموحدها الملك عبدالعزيز، بعد نجاحه الكبير في توحيد الحجاز ونجد عام ١٩٢٥م، وقد جاءت دواعي الولاء والاهتمام هذا بعدما حصد أبناء بلاد الشام أسوأ

النتائج التي ترتبت على الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م، فأهلكت الحرث والنسل، مما دفع بقاعدة عريضة من رواد الصحافة والفكر والعلم إلى الولاء للدولة السعودية الناهضة، وكان أمين سعيد واحداً من أبناء هذه القاعدة لطلائع الفكر والصحافة والسياسة العاملة في مسألة مساندة الدولة السعودية.

أ- مجلة الشرق الأدنى:

جاء أول أعمال أمين سعيد في الاهتمام بالدولة السعودية ونشأتها وتكوينها وتوحيدها على يد الملك عبدالعزيز في مجموعة أعمال صحفية ترك فيها أمين سعيد بصمات فيها، كمجلة «المقتطف»، وصحيفة «المقطم»، من خلال صلته بهذين المنبرين وعمله فيهما، كان يوقع على ما يكتب فيهما بتوقيع مكاتب سياسي شرقي، لكن اهتمامه بالدولة السعودية بشكل خاص وبتوسع، كان في مجلته التي أصدرها في القاهرة وبشكل أسبوعي، وهي مجلة «الشرق الأدنى»، وقد صدر العدد الأول منها في ٦ربيع الآخر سنة ١٣٤٧هـ- أول أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٢٧م، وجاء اهتمامها بالدولة السعودية لكون مولدها قد جاء بعد عملية توحيد الحجاز ونجد، وقد صدر منها ٦٩ عدداً، خلال أكثر من سنتين ونصف السنة من تاريخ إصدارها. وحملت لنا المجلة أخبار معاهدة جدة بين الإنجليز وسلطنة الحجاز ونجد، كما حملت لنا اللقاءات الإسلامية والمؤتمر الإسلامي العربي الذي جاء بعد توحيد الحجاز بنجد عام ١٩٢٧م. ومولد مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها.

وفي العددين الأخيرين لم يتناول فيهما أي شيء من أخبار سلطنة الحجاز ونجد، والسبب في ذلك يعود إلى ضغوط إنجليزية على المجلة في مصر.

وقد جعل أمين سعيد غلاف المجلة صورة من خريطة الشرق الأدنى، حيث يرى فيها اتصال حدود الدولة السعودية بالحدود السورية، فالغلاف بوضعه ذو دلالة سياسية، وكان الملك عبدالعزيز حريصاً على ديمومة الاتصال بسورية قبل ترسيم الحدود، وقبل ميلاد دولة الأردن جغرافياً وسياسياً، ومع تشكيل الأردن الجغرافي والسياسي عام ١٩٢٨م، تغيرت خريطة المنطقة جغرافياً، فقد انقطعت الصلة الحدودية بين السعودية وسورية، فالملك عبدالعزيز رحمه الله كان يرى في سورية عمقاً استراتيجياً لبلاده، وهي سياسة رسمها لنفسه ولمن بعده من أسلافه تجاه سورية، ومازالت هذه هي السياسة القائمة تجاه سورية من المملكة العربية السعودية. أما العددان الأخيران من المجلة، فقد وضع عليهما صوراً ساخرة لشخصيات رسمية وسياسية مصرية، وهذا ما يؤكد أن توقيفها كان مقروناً بضغط إنجليزي، وذلك بسبب نفوذ بريطانيا في مصر ووجودها فيها.

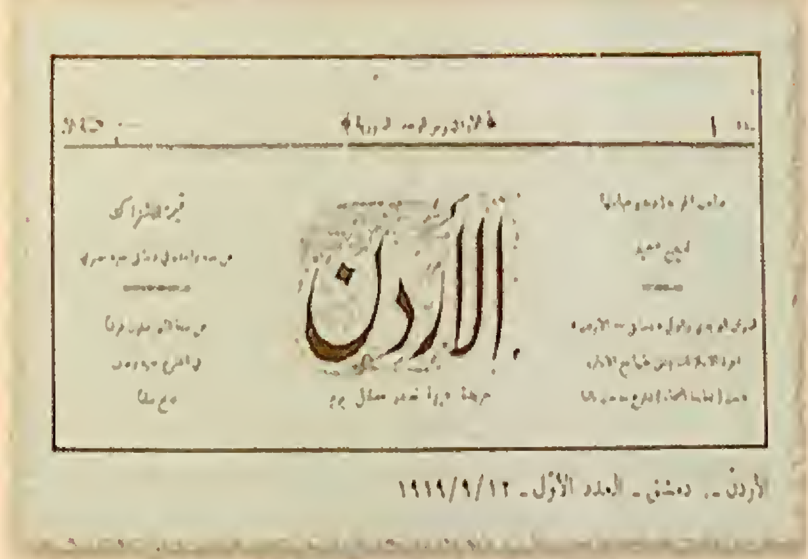
أما اهتمام أمين سعيد بالملك فيصل بن عبدالعزيز في مجموعة أعماله الصحفية، فقد تبدى في تناوله له ورصده أخباره من خلال مكانته ووظيفته الرسمية في حكومته، كالحديث عن الحجاز وإدارته له، كما تناوله بشكل مفصل في أخبار خاصة بالملك فيصل في أعداد مجلة «الشرق الأدنى» وعلى سبيل المثال لا الحصر، نقرأ مايأتي: في موضوع «أهم أخبار الأسبوع» رحلة الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى مجموعة من الدول الأوربية والإسلامية، وقد جاء نص الخبر على الشكل الآتي: الخبر على لسان مكاتب المجلة: « يؤكدون أنه في نية سمو الأمير فيصل السعود، نائب جلالة الملك العام في الحجاز، القيام برحلة كبيرة بعد انتهاء موسم حج هذا العام، فيزور مصر وتركيا وروسيا وألمانيا وسويسرا وبلجيكا، وهي الممالك التي اعترفت بحكومة الحجاز والتي لم يزرها في خلال رحلته الماضية، ويبلغها شكر جلالة والده على اعترافها، وسيصحب سمو الأمير في رحلته هذه عدد كبير من الحاشية، وإذا تمت فستكون هذه ثالثة رحلة يقوم بها سموه إلى أوربا، ويكون قد زار معظم أقطارها وتعرف إلى معظم رجالها وأقطابها»(١٣). ومع هذا الخبر توجد صورة الأمير فيصل وهو في شبابه وقد وضعت وسط الخبر.

وفي خبر آخر عن الأمير فيصل بن عبدالعزيز تحت موضوع: «بين إيران والحجاز: نظرة وتاريخ في علاقاتهما»، اختص الموضوع، وبشكل مطول عن تسوية الحالة بين كل من إيران والحجاز وخاصة بعد ضم الحجاز لنجد، إذ كانت إيران معارضة لهذا الضم والتوحيد.

فقد سوي الأمر بين الطرفين، وقد أرفق الموضوع بثلاث صور: الأولى للملك عبدالعزيز والثانية لشاه إيران والثالثة لسمو الأمير فيصل كتب أسفل صورة الأمير فيصل مايأتي: «الأمير فيصل السعود يعتزم زيارة طهران في صيف هذا العام، حيث إن هذه الزيارة تبشر بقرب حلول الاتفاق المنشود حقق الله الآمال(١٤)».

وهذا غيض من فيض على سبيل العرض لا الحصر.

ب - مجلة الرابطة العربية:


الأردن

الأردن - دمشق - العدد الأول - ١٢/٩/١٩١٩

غلاف العدد الأول من «الأردن» الصادر في ١٢ سبتمبر ١٩١٩م

أنشأ أمين سعيد مجلة «الرابطة العربية» عام ١٩٣٦م، وقد امتد بها العمر خمس سنوات، لكنه باعها ابتداء من العدد «١٦٤» إلى السيد عبدالغني الرافعي، في السنة الثالثة من عمرها، وهذه المجلة احتوت كذلك على الكثير من الدراسات المعنية بتاريخ العرب المعاصر، والتاريخ السعودي من حيث وحدة الارتباط، مثل علاقته بالتاريخ الفلسطيني وصلته به، فالأمير فيصل بن عبدالعزيز شارك في مؤتمر لندن عام ١٩٣٩م، الذي كان يعرف بمؤتمر (سان جيمس) أوالطاولة المستديرة، وقد وضعت صورة الأمير فيصل مع الوفد المرافق له (١٥)، في صفحة « من صور الأسبوع».

وفي عدد آخر من مجلة «الرابطة العربية»، وفي موضوع «من صور الأسبوع»، صورة للأمير فيصل وهو في لندن حيث صعد إلى طيارة حربية لمشاهدة محتواها(١٦).

وفي عدد آخر خبر وردت فيه زيارة الأمير فيصل وأخيه خالد ومن معهما - الشيخ فوزان السابق وحافظ وهبة والشيخ إبراهيم السليمان وخير الدين الزركلي - لمعمل الغزل في المحلة الكبرى بمصر(١٧).

وفي عدد ورد خبر عن رسالة بعث بها الأمير فيصل بن عبدالعزيز إلى طلعت باشا حرب، يشكره فيها على اهتمامه به وزيارته للبنك المصري، مع رسالة رد من طلعت باشا حرب للأمير فيصل(١٨).

وفي المجلة نفسها خبر يفيد بتبرع الأمير فيصل لأهل فلسطين، وفي العدد نفسه خبر يحمل قصة زيارة الملك عبدالعزيز إلى البحرين، وقد رافقه الأميران سعود وأخوه فيصل(١٩)، وذلك بعد عودة الأمير فيصل من مؤتمر لندن عام ١٩٣٩م، بشأن القضية الفلسطينية. وفي العدد نفسه خبر عن مراسلة تمت بين الأمير فيصل بن عبدالعزيز ووزير خارجية مصر.

ج - جريدة الكفاح(٢٠):

ففي هذه الصحيفة الكثير من الأخبار عن التاريخ السعودي وعن الملك فيصل، وذلك من خلال اطلاعي عليها، بعد صدورها في سبعة عشر مجلداً طوال ستة عشر عاماً.

والذي أريد قوله إن الملك فيصل بن عبدالعزيز، قد امتد عمره السياسي في جوار والده أكثر من سبع وأربعين سنة، وفي هذا العمر الوظيفي الذي طال نحو خمسة عقود، قد جعل اسمه يلازم الكثير من أحداث تاريخ العرب الحديث، وبرز في هذه الحوادث قطباً من أقطابه.

وأمين سعيد الذي غطى أحداثاً كثيرة من تاريخ الملك

فيصل من حيث ارتباطه بالتاريخ السعودي والتاريخ العربي والتاريخ الإسلامي وجد أن من المهم وضع دراسة خاصة عنه، فكان كتابه المشهور «فيصل العظيم».

الملك فيصل بن عبدالعزيز في مؤلفات أمين سعيد

كما سبقت الإشارة إليه، فإن التاريخ السعودي بعموميته، نال الحظ الأوفر من أعمال أمين سعيد، وحتى نتعرف إلى مكانة التاريخ السعودي في اهتمامات أمين سعيد لابد لنا من حصرها أولاً، ثم يكون الحديث فيها وبشكل خاص عن الملك فيصل بن عبدالعزيز في مؤلفات أمين سعيد، وقد جاءت فيما يأتي:

- المجلد الأول : تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود حتى عبدالرحمن الفيصل، منشورات دار الكاتب العربي، بيروت، ١٣٨٤هـ.
- المجلد الثاني: عهد الملك عبدالعزيز، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- المجلد الثالث: عهد الملك سعود، دارالكاتب العربي، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- أمجاد آل سعود ١٩٦١م.
- هذا هو كتاب سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، أول صفر ١٣٨٤هـ.
- فيصل العظيم، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
- كتاب الخليج العربي ودوله.
- ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم. أفرد فيه المؤلف فصلاً خاصًا عن الدولة السعودية والملك عبدالعزيز، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٣٤م.
- الثورة العربية الكبرى في ثلاثة مجلدات. مطبوعات عيسى البابي الحلبي ١٩٣٤م.

وقد نال هذان الكتابان قبولاً واستحسانًا لدى الأوساط السياسية والثقافية وملوك العرب والمسلمين وحكامهم وقد جرى لأمين سعيد حفل تكريم في دار الأوبرا بمصر حضره الكثير من الوجوه السياسية والدينية والاجتماعية.

تلك هي القاعدة العريضة من الدراسات والمؤلفات المعنية بالتاريخ السعودي، كان قد تركها لنا أمين سعيد، والذي يهمنا فيها ماهو معني بالملك فيصل بن عبدالعزيز، وكما سبقت الإشارة إليه في الفقرة السابقة من الأعمال الصحفية، أن الملك فيصل بن عبدالعزيز قد حظي بترجمة كاملة من تاريخ ظهوره بمقامه الوظيفي بمعية والده، ومشاركته معه في جميع أعمال توحيد المملكة وأحداثها، إلى أن أصبح وزيراً للخارجية ونائب الملك في إدارة شؤون الحجاز.

ولهذا فقد جاءت ترجمة الملك فيصل والحديث عنه من قبل أمين سعيد على مساحة عريضة من قاعدة أعماله المعنية بالتاريخ السعودي، وفي كل مؤلف أو كتاب يكون الحديث فيه عن الملك فيصل من خلال الإدارة أو المقام السامي الذي كان هو قائمًا عليه ويشغله، أو المهمة الرسمية الموكلة إليه.

كتاب الملك عبدالعزيز:

احتوى على ترجمة في مساحة كبيرة من الكتاب من خلال ما أناط به والده الملك عبدالعزيز من أعمال وأفعال كانت قنواتها وسبلها تصب في أعمال الفيصل الموكول بها، بصفته نائب الملك في الحجاز ووزيراً للخارجية.

كتاب الملك سعود بن عبدالعزيز:

جاء هذا الكتاب ليبين فيه أمين سعيد المقام الوظيفي والرسمي والإداري للملك فيصل، بعد أن أصبح وليًا للعهد، وفي هذه الفترة بالذات كانت المنطقة العربية قد دخلت في دوامة انقلابات وصراعات وحروب عربية إسرائيلية عام ١٩٥٦م، فهذه الأحداث تركت بصمات فاعلة في تاريخ العرب السياسي والعسكري والثقافي، وقد أظهرت هذه الأحداث إدراك الملك فيصل ونجاحه في فرض سياسته المباشرة على سياسة الدولة الداخلية والخارجية لما فيه مصلحة البلاد، وقد ظهر أثر نجاح سياسة الفيصل في الحفاظ على مكانة المملكة العربية السعودية، بعد أن عصفت بكثير من الدول العربية عواصف التغيير فأضرت بالبلاد وضيعت العباد.

أمجاد آل سعود:

جاء هذا الكتاب في الحديث عن النهضة التعليمية والصناعية والعمرانية، وقد كان ما كتبه نتيجة لما شاهده ورآه، بعد آخر زيارة له تعود إلى عام ١٩٣٠م.

الثورة العربية الكبرى:

جاء هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات والأهم فيه هو الجزء الثالث منه، وذلك فيما يخدم التاريخ السعودي، وذلك عندما يتكلم على سقوط الحكم الهاشمي في الحجاز بتاريخ يوم ١٧ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٥م، وفي هذا التاريخ تم تسليم جدة للسعوديين على مجموعة من البنود كان عددها سبعة عشر بنداً، وفي تاريخ (٢٢جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م) نودي بالسلطان عبدالعزيز ملكاً على البلاد الحجازية، ومن هذا التاريخ انتهى أمر الدولة الهاشمية في الحجاز وقد جاءت قاعدة هذه المادة معنونة (علاقات الحكومة الهاشمية بالإمارات العربية)، العلاقات بين الحسين وابن سعود (٢١).

كتاب ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم:

هذا الكتاب خاص بترجمة تسعة عشر ملكاً أو أميراً لدول عربية وإسلامية، والمملكة العربية السعودية والملك عبدالعزيز، لهما فصل خاص في هذا الكتاب، الغني بالمعاهدات والوثائق السياسية والدولية.

جاء ذكر الملك فيصل بن عبدالعزيز في هذا الكتاب، بعد توحيد الحجاز ونجد، وذلك من خلال تقلده نائب الملك في إدارة الحجاز فقد ناب عن والده في توقيع المعاهدة السعودية الفرنسية، كما ناب عن فرنسا سفيرها (ميغرة)، والمعاهدة معها ملحقان وقد كان تاريخ توقيعها (١٩جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٠ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٣١م).

كما حمل لنا الكتاب خبراً خاصاً بالملك فيصل، فقد ناب عن والده في التوقيع على المعاهدة السعودية الإيطالية في جدة، وناب عن إيطاليا معتمدها(جويد وسو للاسو)، وقد أرخت هذه المعاهدة في جدة (٣ شوال سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٠فبراير شباط عام ١٩٣٢م)(٢٢)

فيصل العظيم :

توج أمين سعيد جميع ما كتبه عن الملك فيصل بن عبدالعزيز على الساحة الكبيرة العريضة والمتسعة من موروثه المدون والصحفي، بكتاب (فيصل العظيم) وقد جعله في سياق تبويبه، في مقدمة وخاتمة وثمانية أبواب وكانت على التوالي: نشأته وسيرته، مناصبه الكبرى، رحلاته والمؤتمرات الدولية التي اشترك فيها.

وفي الباب الرابع: تكلم فيه على سلطات الملك الدستورية، البيعة، منجزات العهد الجديد، مشروعات الإصلاح، الخطب.

وقد جعل إهداءه إلى الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية. فيقول في الإهداء:

سيدي صاحب الجلالة فيصل العظيم حكمت فعدلت، وبنيت فأمليت، وقدت فانتصرت فأحبك الشعب، والتف حول عرشك، وبايعك المسلمون إماماً، واختارك العرب زعيماً وقائداً.

فسر على بركة الله في الطليعة، وأعد عهد الخلفاء الراشدين، وجدد مفاخرهم، وأنت بحول الله على ذلك لقدير. وكن للأمة خير رائد، وخير أمين.

أمين سعيد.

الملك فيصل في مذكرات أمين سعيد

جاء حديث أمين سعيد في مذكراته، التي ستنشر قريباً(٢٣) بإذن الله عن الملك فيصل، بعد رحلة الحياة الصعبة التي عاشها أمين سعيد، رحمه الله، والتي امتدت من تاريخ مولده إلى سنة وفاته، والقارئ لها يجد فيها صعوبة ما عاناه خلال حياته، من مرارة التنقل والسفر والسجن والملاحقة والتشرد بسبب الملاحقة من قبل سلطات الاستعمار، ومن ارتبط بهم في بلده سورية وقد امتد هذا الواقع أكثر من خمسة عقود إلى أن هيأ الله الملك فيصل بن عبدالعزيز لرد جميل أمين سعيد على أمته العربية فاستضافه للإقامة في المملكة العربية السعودية، وكان ذلك، كما سبقت الإشارة إليه عام ١٩٦٥م.

وقد ختم مذكراته هذه عن الملك فيصل بمادة علمية تكلم فيها على ما شاهده، وهو بجوار الملك فيصل، تحت عنوان (سنتان من الحكم الفيصلي)، تكلم فيها على جهاد الفيصل في مناهضته للشيوعية والإلحاد، وبين فيما كتب كذلك رحلات الملك فيصل بين دول العالم الإسلامي من أجل بناء رابطة إسلامية بين دول العالم الإسلامي وحرصه على عقد مؤتمر إسلامي من أجل بناء كتلة إسلامية فيما بين دوله، ليكون أساساً لبناء قوة على أصول إسلامية في عصر التكتلات العالمية.

ذلك هو الصحفي والمؤرخ أمين سعيد والذي بدا فيما

كتب أنه كان سعودي العطاء، فيصلي الولاء والوفاء، قبل وصوله إلى العيش بجوار الملك فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه.

وفاة أمين سعيد ورعاية الملك فيصل لأسرته

قصد أمين سعيد لبنان لقضاء إجازة الصيف، وفي (٢١ يوليو / تموزعام ١٩٦٧م)، وفي لبنان توفي، رحمه الله، على إثر نوبة قلبية أصابته، وكانت وفاته في بلدة بحمدون، عن عمر يناهز السابعة والسبعين، والملك فيصل الذي آلمه الخبر قد سلم بمشيئة الله بأن لكل نفس أجلاً، وأن الموت مصير كل كائن حي، وهو حق على العباد، وقد أمر جلالته السفارة بدمشق بالوقوف إلى جانب الأسرة ومساعدتها حتى يتم دفنه، وقد تم نقله إلى دمشق حيث دفن فيها، رحمه الله.

وبعد أن تم دفنه كانت السفارة على صلة دائمة بأسرته في تأمين احتياجاتها ووضعهم أمام كل خيار يرضونه، فهم أمام خيار السفر إلى الرياض، أو البقاء في دمشق، وفي كلا الخيارين سيكونون برعاية الملك فيصل بن عبدالعزيز، فاختارت العائلة السفر إلى الرياض، وبسفرهم هذا اختاروا الخير، فقد حظيت الأسرة بالرعاية الملكية من الملك فيصل وبشكل مباشر.

ولو علم أمين سعيد مبرة الملك فيصل بأسرته، وما نالته من حسن الوصاية والرعاية لما كفاه أن يخص الملك فيصل بكتاب واحد والذي هو :(فيصل العظيم).

فرحم الله الملك فيصل رحمة المجاهدين، وأحسن الله نزله في جنان النعيم، وأكرمه تكريم الشهداء والأولياء والصالحين وأنزله منزلة أهل البلاء الصابرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمراجع

١ـ يحيى أحمد الكعكي: الشرق الأوسط والصراع الدولي (دراسة عامة لموقع المنطقة في الصراع) دار النهضة العربية بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م الصفحة(٤٢).
٢ـ زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان ، دار النهارللنشر بيروت الطبعة الثانية، الصفحة (٢٢).
٣ـ عبدالكريم إبراهيم السمك: نوادرالزمان في وقائع جبل لبنان تحقيق ودراسة لمؤلفه إسكندر أبكاريوس إسكندر، دار رياض الريس للنشر لندن(١٩٨٧م) الصفحة (٢٨٥).
٤ـ زين نور الدين زين :مرجع سابق. الصفحة(٢٨).
٥ـ أمين سعيد: مأساة العرب الكبرى أو مأساة الشريف حسين، دار الكاتب العربي بيروت الصفحة(٧).
٦ـ زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ـ دار النهار، لبنان، الصفحة (٥٨)
٧ـ أمين سعيد: مجلة الشرق الأدنى س ١ ع ٣٤(القاهرة الأربعاء ٢المحرم ١٣٤٧هـ ـ ٢٠يونيو ١٩٢٨م) ص٣.
٨ـ لمزيد من التعرف إلى أمين سعيد بتوسع انظر عبدالكريم السمك .أمين سعيد مؤرخاً وصحفياً الدرعية /س٤، ع ١٦(شوال ـ ذو الحجة ١٤٢٢هـ/ ديسمبر ٢٠٠١يناير ـ ٢٠٠٢م) ص٦٨.
وكذلك انظر عبدالكريم إبراهيم السمك، أمين سعيد والتاريخ السعودي، مجلة أحوال المعرفة ـ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة س٧، ع ٢٥(ربيع الآخر ١٤٢٣هـ/ يونيو٢٠٠٢م) ص٣٤.
٩ـ صدر العدد الأول منها في دمشق الجمعة (١٨ذو الحجة١٣٣٨هـ/١٢أيلول ١٩١٩م) وقد صدر منها ١٩٦عدداً.
١٠ـ كانت تصدر كل سبت وثلاثاء، صدر العدد الأول فيها في (١٨شوال١٣٣٩هـ/ ٢٥حزيران١٩٢١م).
١١ـ أمين سعيد: مجلة الرابطة العربية:صدر العدد الأول منها في القاهرة الأربعاء (٦ ربيع أول ١٣٥٥هـ/ ٢٧مايو ١٩٣٦م) السنة الأولى.
١٢ـ استطاع أمين سعيد من خلال سجنه أن يقف على الكثير من القضايا، فما استطاع جمعه وما كتبه في أيام سجنه، جعله في كتاب في ثلاثة مجلدات أسماه (مصر في ظل حكم عبدالناصر) وقد وجدته في أوراقه ولم ينشر، ولكنني والحمد انتهيت من تفريغه من أوراق أمين سعيد بقصد نشره، والكتاب يتكلم فيه على رأيه في عبدالناصر.
١٣ـ مجلة الشرق الأدنى أهم أخبار الأسبوع س١ ع ٢٥(١٣شوال ١٣٤٦هـ\٤ أبريل ١٩٢٧م) ص٣.
١٤ـ بين إيران والحجاز س ١ع ٣٦ (١٦المحرم١٣٤٧هـ/ ٤يوليو١٩٢٨م) ص ٤، ٥، ٦.
١٥ـ مجلة الرابطة العربية: من صور الأسبوع س ٣مجلد ٦ جزء ١٣٧(٢٦ ذو الحجة١٣٥٧هـ/ ١٥فبراير ١٩٣٩م) ص٣.
١٦ـ مجلة الرابطة العربية: من صور الأسبوع س ٣مجلد ٦ جزء ١٤٢(١ صفر ١٣٥٨هـ/ ٢٢مارس ١٩٣٩م) ص٣.
١٧ـ مجلة الرابطة العربية: زيارة الأميرين السعوديين إلى معمل الغزل بالمحلة الكبرى. س٣ مجلد ٦ جزء ١٤٥(٢٩صفر١٣٥٨هـ/ ١٩أبريل ١٩٣٩م) ص١٧.
١٨ـ مجلة الرابطة العربية: رسالة شكر من الأمير فيصل إلى طلعت باشا:س٣ مجلد ٦جزء ١٤٩(٢٠ربيع الأول ١٣٣٨هـ/ ١٠ مايو ١٩٣٩م) ص١.
١٩ـ مجلة الرابطة العربية:زيارة الملك عبدالعزيز إلى البحرين س ٣، مجلد ٦، جزء ١٤٩(٢٧ربيع الأول ١٣٥٨هـ/ ١٧مايو ٩٣٩م) ص ١٨،١٧.
٢٠ـ صدر العدد الأول منها في دمشق (٢٤ تموز ١٩٣٩م) يومية سياسية في ثماني صفحات من القطع الكبير، توقفت بانقلاب حسني الزعيم ثم عادت إلى الصدور عام (١٩٥٠م)، وفي عام (١٩٥٢م)، أوقفت، وفي عام (١٩٥٥م) عاد للصدور ثم توقفت واحتجبت عام (١٩٥٧م).
٢١ـ وصل أمين سعيد عدد من الرسائل من عدد من السلاطين والملوك والساسة والأدباء والعلماء، وفيها يشكرونه على كتابيه (الثورة العربية، وملوك المسلمين)، والكتابان نالا استحسان جميع أوساط المجتمع العربي والإسلامي، وقد نشرا في القاهرة عام ١٩٣٤م في مطبعة عيسى البابي الحلبي، ومجدداً نشرهما سرقة صاحب مطبعة مدبولي دون علم ورثته، والكتاب غني بالوثائق والمراسلات كتاب الثورة العربية الكبرى جزء ٣ من الصفحة ١٣٧ ـ ٢١٦، الناشر مكتبة مدبولي ١٩٩٩م.
٢٢ـ طبع الكتاب بالقاهرة مطبوعات عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٣٤م، من الصفحة ١٥٣ـ١٦١، الكتاب يحتوي على (١٣٧) وثيقة ومعاهدة.
٢٣ـ المذكرات تحت الطبع وتصدر قريباً إن شاء الله.



الأمير سلمان يرعى مؤتمر «الشباب والانفتاح العالمي»

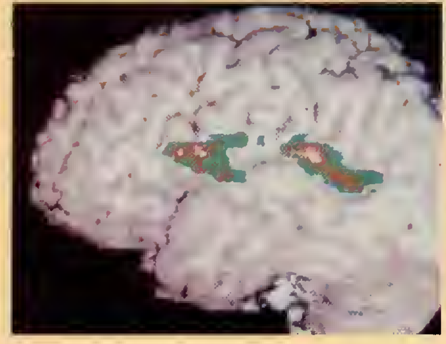
انعقاد المؤتمر الأول لمؤسسة الفكر العربي في القاهرة

ندوة العلاقات السعودية ـ الروسية في موسكو

مهرجان الشعر الخليجي في الرياض

جائزة نوبل للأدب لكيرتيش وجائزة السلام لأتشيبي

صدور مذكرات ماركيز والأعمال الشعرية للبردوني



خاتمة المطاف

الكشف عن بوابة دخول الذاكرة وتشكّلها

الشباب والانفتاح العالمي

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض افتتاح فعاليات المؤتمر العالمي التاسع الذي نظمته الندوة العالمية للشباب الإسلامي خلال الفترة من ٢٣ ـ ٢٦ شعبان الماضي تحت عنوان «الشباب والانفتاح العالمي»، وذلك بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات «بفندق الأنتركونتننتال» بالرياض، وجاء في كلمة الافتتاح: «إن واقع المسلمين اليوم، وما يتعرض له الإسلام من هجوم شرس من أعدائه، يتطلب منا جميعاً عملاً صالحاً نافعاً وتمسكاً بشريعته السمحة، وآدابه الفاضلة، والالتفات إلى مصالحنا في الدنيا والآخرة، ومراعاة جلب المصالح ودرء المفاسد.

إننا في المملكة العربية السعودية، قادة وعلماء ومسؤولين وشعباً، نؤكد أهمية العمل بهذه المبادئ، وأن يتصف كل مسلم بتلك الصفات ليدفع الله تعالى عنه وعن المسلمين كل شر وكيد، وإنا حينما نذكر لكم ذلك، لنؤكد اهتمامنا بالشباب الإسلامي وبتوجيههم التوجيه الحسن الذي يتفق مع أحكام دينهم الحنيف، وإني لأرجو أن يحقق هذا المؤتمر الطرائق الكفيلة لحماية الشباب من أضرار التهتك والانحلال في العقيدة والأخلاق، وحمايته من أضرار الغلو والانحراف، ووضع الحلول المناسبة لمشكلاتهم، وكل ما يساعدهم على فهم مقاصد الشرع الحنيف».

وتضمن المؤتمر خمسة محاور رئيسة هي: «الشباب والانفتاح الاقتصادي»، و«الشباب والانفتاح الإعلامي والثقافي»، و«الشباب والانفتاح السياسي»، و«الشباب والانفتاح الاجتماعي والتربوي»، و«الدعوة والانفتاح العالمي».

وقد حضر المؤتمر نحو ألف عالم ومفكر وداعية من أكثر من مئة دولة، وبلغت البحوث التي قدمت خمسة وخمسين بحثاً، تم اختيارها من بين ٥٠٠ بحث.

وقال الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي الأمين العام للندوة: إن رعاية سمو ولي العهد لهذا المؤتمر لهي وجه من وجوه الدعم الذي تقدمه حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للعمل الخيري.



الأمير عبدالله بن عبد العزيز



الأمير سلمان بن عبد العزيز

وأضاف أن العمل الأهلي يمثل ضرورة من ضرورات العصر، ولا أدل على ذلك من أن منظمة الأمم المتحدة تضم في عضويتها نحو أربعة آلاف وخمسمئة منظمة أهلية أصبحت تمارس دوراً متعاظماً.

وقد صاحب المؤتمر معرض للكتاب، كما أقامت اللجنة النسائية للندوة محاضرتين :الأولى للدكتورة نورة بنت خالد السعد أستاذة علم الاجتماع بجامعة الملك عبدالعزيز تحت عنوان «التحديات الاجتماعية المعاصرة»، والثانية قدمتها الدكتورة نورة بنت عبدالله بن عدوان أستاذة المناهج بجامعة الملك سعود تحت عنوان «الحركة النسوية الغربية وتأثيرها في ظل الانفتاح العالمي».

واستغرقت أعمال المؤتمر ثلاثة أيام، وتضمنت محاضرات وندوات وجلسات بحوث تمحورت حول الدعوة الإسلامية والمتغيرات العالمية والتحديات المعاصرة، وسبل التعامل معها، من أجل تقديم الصورة الصحيحة عن الإسلام، وعن الدعاة إليه.

وعلى هامش المؤتمر، انتهت الجمعية العمومية للندوة باختيار الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رئيساً للندوة، والدكتور صالح الوهيبي أميناً عاماً.

المؤتمر الأول لمؤسسة الفكر العربي

ترأس صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير رئيس مؤسسة الفكر العربي، فعاليات المؤتمر الأول للمؤسسة الذي عقد بالقاهرة في الفترة من ٢٧ـ ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول الماضي تحت رعاية الرئيس المصري محمد حسني مبارك، الذي قدم له سموه الشكر على رعايته هذا المؤتمر، وتشجيعه للمؤسسة، كما قدم شكره «لمصر الحضارة وشعبها العريق، ولكل الأشقاء العرب الذين أسهموا بالمال والفكر في النهوض بالمشروع، ليقف على قدميه ولما يتجاوز بعد ربيعه الأول».

وتناول سموه في كلمة الافتتاح واقع الهزال الذي يعيشه العرب، وقال: إن «حالة التردي العربي ربما نشأت بسبب عزلة المفكر، واقتصار حركة التنمية في العالم العربي على جهود الحكومات فحسب، دون مشاركة فاعلة من القطاع الأهلي»، وأضاف «من هنا كانت دعوتي قبل أكثر من عامين لقيام مؤسسة أهلية على مستوى الوطن العربي، لا تخضع لأي تيارات، ويسهم فيها رجال المال العرب بوديعة لا يمس أصلها، وينفق من ريعها - فقط - على توفير الأسباب التي تعيد المفكر العربي إلى التواصل مع قضايا أمته، وتأكيد هويتها، وتفجير طاقاتها في خدمة حركة التحديث الحتمية والعاجلة للعالم العربي.

والمؤسسة في هذا النطاق لا تمثل بديلاً ولا منافساً لمؤسسات أخرى على الساحة، وإنما هي مكملة لخطا من سبقوها، وتتابع مع الجهات الأخرى ما يمكن أن تتبناه من المشروعات التي تطرحها الدراسات والأبحاث في المؤتمر.

ولأن التطور لا يقوم إلا بالاكتفاء الذاتي من أسباب القوة المادية وأسباب القوة الروحية، وهو ما يتحقق بتكامل المعارف المنتجة للفكر وأسباب الحياة، فقد تعاملت المؤسسة مع مصطلح الفكر من منطلق شموليته لكل علوم العصر التطبيقية وتقنياتها، جنباً إلى جنب مع العلوم الإنسانية والآداب والفنون، وهي تسعى خاصة إلى تنشيط البحث العلمي، فلم يكن غريباً أن يطرح مؤتمركم هذا تساؤلاً في أحد محاوره، يقول: متى يصبح العرب منتجين للتقنية؟».



الأمير خالد الفيصل

وأشار سموه إلى أنه «على الرغم من أن هذه المؤسسة قد أعلنت فكرتها قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأكثر من عام، وأنها أسست قبل تلك الأحداث بعدة أشهر، فإنها أعادت ترتيب أولوياتها لمواجهة الهجمة الشرسة على العرب والمسلمين، التي جاءت تابعاً عنيفاً لزلزال تلك الأحداث، لذلك حرصت المؤسسة على الحضور في الغرب لرصد ما يذاع وينشر بهذا الصدد ومحاولة الرد عليه».

وأكد الأمير خالد الفيصل أن «الكل في سفينة واحدة تجابهها عاصفة عاتية، فإما أن يعمل الجميع لإنقاذ السفينة وركابها وإلا غرقت وغرق معها الجميع».

وكان الرئيس مبارك قد وجه في بداية المؤتمر كلمة ألقاها نيابة عنه الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي بجمهورية مصر العربية، أكد فيها أهمية انعقاد المؤتمر في هذا التوقيت .. وقال: إن المؤتمر يهدف إلى إعلاء الحوار وتنميته، وتأكيد الاعتزاز بثوابت الأمة. ودعا الرئيس المصري إلى ضرورة اجتماع الأمتين العربية والإسلامية على مشروع ثقافي وفكري يضمن مستقبل الأمتين ويوحدهما، كما دعا إلى صوغ العلاقة مع الغرب «على نحو جديد، وفي إطار تبادل متكافئ للمصالح والثقافات».

وأطلق بعض المثقفين على المؤتمر «دافوس العرب» بسبب مستوى المشاركة فيه، والموضوعات التي يبحثها، نحو ٧٠٠ مفكر ومثقف و٤٠٠ صحفي، منهم صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل بن عبدالعزيز، وزير الخارجية السعودي، الذي شارك في الجلسة الأولى متحدثاً في محور «نحو علاقة عادلة مع الغرب»، وقال: «إن مؤسسة الفكر العربي بما تتضمنه من شخصيات رائدة، وما تتميز به من استقلالية، قادرة على القيام بدور مأمول في مسيرة العلاقات العربية الغربية، بما يحقق إزالة التوتر الذي يهدد الحضارة البشرية كلها»، ودعا سموه المؤسسة إلى القيام بدور عربي لتضافر الجهود في عمل جماعي منظم ومؤسسي يتسم بالاستمرارية لتعميق المعرفة الموضوعية، ولا يتعجل النتائج.

وتحدث في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر كل من: الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى، ورئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية الشيخ صالح بن حميد، ورئيس مجلس الشعب المصري الدكتور فتحي سرور، ورئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري، وطالب المتحدثون بمراجعة تتجاوز حالات الإخفاق الذريع في كثير من السياسات العربية، والاستفادة من العلماء والمفكرين من أجل تصحيح الواقع.

ومن الشخصيات التي شاركت في المؤتمر: ولي عهد البحرين سلمان بن حمد آل خليفة، والنائبة في البرلمان اللبناني بهية الحريري، وشيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي، وبابا الإسكندرية بطريرك الكرازة المرقسية البابا شنودة الثالث، ومفتي القدس عكرمة صبري، وأمين جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا محمد أحمد الشريف، والمطران يوسف ضرغام مطران الموارنة، ورئيس معهد الشرق الأوسط في أمريكا إدوارد ووكر، ورئيس الجامعة الأمريكية في بيروت الدكتور جون وتربري، والأمين العام السابق لمجلس التعاون الخليجي

جميل الحجيلان، ورئيس وزراء السودان الأسبق الصادق المهدي، ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشعب المصري الدكتور مصطفى الفقي، وغيرهم من المفكرين والمسؤولين من دول العالم العربي وعدد من مفكري الغرب.

وقد ارتكز المؤتمر على عشرة محاور ناقشها المؤتمرون خلال ثلاثة أيام، والمحاور هي:

«نحو علاقة عادلة بين العرب والغرب»، و«ماذا لو أخفق خيار السلام؟»، و«تكامل الاقتصاد العربي وأسباب الإخفاق»، و«التعليم العربي: الواقع والمستقبل»، و«الشورى والديمقراطية: رؤية عصرية»، و«الديانات السماوية والهوية العربية»، و«المعالجات الإعلامية للمشكلات العربية»، و«متى يصبح العرب منتجين للتقنية»، و«إسهام المرأة في الفكر العربي»، و«اللغة العربية وروح العصر».

وقامت المؤسسة - كذلك - بتكريم نخبة من الرواد والمبدعين والموهوبين العرب، ممن قدموا إسهامات كبيرة للأمة العربية، إيماناً بضرورة الاهتمام بالتنمية البشرية بحسبها مفتاح التنمية وقياس التقدم الحضاري، وقد ثمن عدد من المكرمين هذه الخطوة، وقالوا: إنها تمثل أفقاً ناضجاً ورؤية واقعية، مما يعطي أملاً ودافعاً إلى مزيد من العمل والجهد، وقد شمل التكريم من الرواد: الدكتور إدوارد سعيد من فلسطين، والدكتور حسن الكرمي من الأردن، والفنان ورسام الكاريكاتير حسين بيكار من مصر، والدكتور محمد بن راشد الفقيه من السعودية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ومن المبدعين: الدكتور أنطوان زحلان من لبنان، والمهندسة زهاء محمد حديد من العراق، والدكتور عبدالله محمد الغذامي من السعودية، والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، والدكتور يونان لبيب رزق من مصر، ومن الموهوبين: إبراهيم بن سليمان الحسيني، وهو عماني الجنسية ويبلغ من العمر ١٩ عاماً، وله موهبة ابتكارية وبخاصة في مجال الهندسة الإلكترونية، وأميرة حسن عبدالوهاب، وهي مصرية الجنسية، ولها سبعة عشر عاماً، ولها موهبة في مجال الفن التشكيلي، وجمال مطهر عبدالله، يمني الجنسية، وعمره ثماني سنوات، وله موهبة في حفظ القرآن الكريم وحفظ وإلقاء الشعر وإنشاده، وسامي وناس، تونسي الجنسية، وعمره سبعة عشر عاماً، وله موهبة في العلوم التجريبية، خاصة في برامج الحاسب الآلي والأدب واللغات الحية.

وأعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز رئيس مؤسسة الفكر العربي في ختام المؤتمر، أن مؤتمر المؤسسة القادم سيعقد في مدينة بيروت.

وقد أعد الأمين العام المساعد للمؤسسة الدكتور علي عبدالله موسى كتاباً وثائقياً بعنوان «رحلة عام مع الفكر العربي»، تعرض فيه لتأسيس مؤسسة الفكر العربي، وجولات الأمير خالد الفيصل رئيس المؤسسة في الدول العربية ولقائه قادتها ومثقفيها للتعريف بالمؤسسة.

الفيصل في روسيا



الأمير تركي الفيصل

بمناسبة مرور سبعين عاماً على زيارة الملك فيصل لروسيا، شارك صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في فعاليات ندوة «العلاقات السعودية - الروسية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها» التي بدأت في الثالث والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول الماضي، والتي نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالتعاون مع المركز الدولي للدراسات الإستراتيجية والسياسية بموسكو.

وعبر الأمير تركي الفيصل عن سعادته بتمثيل أبناء الملك فيصل وأحفاده في هذه الندوة، التي تكتسب أهمية كبرى لمراجعة الماضي واستشراف المستقبل، وأكد سموه أهمية العلاقات السعودية الروسية خصوصاً في المرحلة الراهنة التي يتعرض فيها بلد عربي لتهديد الحرب، وتجري حرب ضد الشعب الفلسطيني.

وقد شارك في الندوة لفيف من الأكاديميين والباحثين، فمن الجانب السعودي شارك كل من الدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل رئيس تحرير مجلة «الفيصل»، والدكتور عبدالرحمن الشبيلي عضو مجلس الشورى السعودي، والدكتور فهد السماري أمين دارة الملك عبدالعزيز، الدكتور ماجد التركي المستشار في وزارة الشؤون الإسلامية، والدكتور عوض البادي مدير إدارة البحوث في مركز الملك فيصل، والأستاذ زياد الدريس رئيس تحرير مجلة المعرفة،

ومن الجانب الروسي الدكتور فيتالي ناؤومكين رئيس المركز الدولي للدراسات الإستراتيجية والسياسية، والدكتور ألكسندر مالشنكو أستاذ التاريخ بمعهد الاستشراق بأكاديمية العلوم الروسية، والصحفي والكاتب الدكتور إيغور تيموفيف، والدكتور ألكسندر ياكفولوف.

وترمي الندوة إلى تسليط الضوء على دور الملك فيصل في السياسة الخارجية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ المملكة العربية السعودية، والتعرض لكل جوانب زيارة الفيصل لروسيا، وطبيعة العلاقات بين البلدين في تلك المرحلة، لما لذلك من أهمية تاريخية وعلمية لندرة الدراسات حولها، ولتحقيق التواصل بين الباحثين السعوديين والروس، ودعماً للعلاقات السعودية الروسية.

واشتملت الندوة على جلستين: كان موضوع الأولى «تاريخ العلاقات السعودية الروسية»، وتمحورت الثانية حول «العلاقات السعودية الروسية: آفاق المستقبل»، ومن فعاليات الندوة معرض صور لزيارة الملك فيصل لروسيا عام ١٩٣٢م. والتقى سموه معالي وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف، كما التقى أيضًا مع معالي رئيس وزراء روسيا السابق، ورئيس الغرفة التجارية والصناعية السيد يفغيني بريماكوف.

يشار إلى أن الأمير تركي الفيصل قد ألقى كلمة المملكة في منتدى «بناة السلام» الذي عقد في مدينة ريميني الإيطالية ، والذي نظمه مركز بيومانزو للأبحاث العالمية، والتي أشار فيها إلى دور المملكة في نصرة القضية الفلسطينية منذ عهد مؤسسها الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله.

مشروع تطوير خط برايل العربي

أقرّ مؤتمر تطوير وتوحيد خط برايل العربي في ختام جلساته تأسيس اتحاد أو جمعية عربية للمكفوفين، بالإضافة إلى تخفيض ٥٠٪ من تذاكر الركاب على الخطوط السعودية، وقد وافق المؤتمر الذي نظمته الأمانة العامة للتربية الخاصة بوزارة المعارف تحت رعاية رئيس برنامج الخليج لدعم منظمات الأمم المتحدة الإغاثية صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز في الرياض على تطوير خط برايل المقترح من الأمانة العامة، وتزويد الأعضاء المشاركين بنسخ منه، ومن ثم تقوم الدول العربية بدراسة هذا النظام وإرسال ملاحظاتها إلى ممثلي اللجان، وتقرر أيضًا تشكيل لجان لا تزيد مدتها على ستة أشهر من ممثلين للأقطار العربية لإجراء التعديلات على النظام للخروج بصيغة نهائية، وقد رُفع كامل المشروع إلى جامعة الدول العربية.

وكان المؤتمر قد أُقيم في الفترة من ٢ إلى ٤ شعبان الماضي برعاية الأمير خالد بن طلال بن عبدالعزيز نيابة عن والده صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز آل سعود رئيس برنامج الخليج لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، ويرمي المؤتمر إلى تعرف التجارب العربية والأجنبية في مجال تطوير خط برايل وتحديث قائمة الاختصارات به بما يتماشى مع المفردات المتداولة، وتوحيد استخدامها بين الدول العربية، بالإضافة إلى استعراض الرموز ودراسة المصطلحات المقترحة في مجال الحاسوب والعلوم والرياضيات بطريقة برايل للوصول إلى قوائم متفق عليها من اللغة العربية، وقد شارك في المؤتمر عدد من الخبراء والمتخصصين في خط برايل العربي، إضافة إلى ممثلي الهيئات العاملة في مجال خط برايل العربي.

مهرجان الشعر الخليجي



الأمير سلطان بن فهد

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب افتتح الأستاذ عبدالله ابن محمد العذل وكيل الرئيس العام للشؤون المالية برعاية الشباب، في الحادي والعشرين من شعبان الماضي (الموافق ٢٧ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠٢م) فعاليات المهرجان الشعري السادس لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي استضافته المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٤ من شعبان سنة ١٤٢٣هـ، وذلك في القاعة الرئيسة بالرئاسة العامة لرعاية الشباب، وتضمنت كلمة الأمير سلطان بن فهد دعوة إلى توظيف الشعر في الدفاع عن ثوابت الأمة وقيمها وقضاياها، والبعد به ما أمكن عن جعله هواية وتقليداً ومظهراً اجتماعياً لا يستفيد منه إلا صاحبه.

واشتمل المهرجان على عدد من الأمسيات الشعرية التي أحياها شعراء من دول مجلس التعاون، منهم: الدكتور محمد

ابن سعد الدبل، والدكتور عبدالله بن سليم الرشيد، والأستاذ إبراهيم مفتاح، والأستاذ إبراهيم بن سعد الشيقح (من المملكة العربية السعودية)، والشاعران سالم الزمر وطلال سالم الصابري (من دولة الإمارات العربية المتحدة)، والشاعران إبراهيم بن هندي وعلي الجلاوي (من مملكة البحرين)، والشاعران سعيد بن محمد المكتومي وخالد نصيب العريمي (من سلطنة عُمان)، والشاعران خالد عبيدان وعلي مبرز محمود (من دولة قطر)، والشاعران إبراهيم الخالدية ورجاء القحطاني (من دولة الكويت).

واشتمل المهرجان على ندوة علمية تحت عنوان «الحركة الشعرية في دول مجلس التعاون»، شارك فيها كل من: الدكتور سعد عبدالرحمن البازعي من المملكة العربية السعودية، والأستاذ خالد بن بدر عبيد من دولة الإمارات العربية المتحدة، والأستاذ عبدالله الفرج المرزوقي من دولة قطر، والأستاذة سعدية مفرح من دولة الكويت، والدكتورة شريفة بنت خلفان اليحيائي من سلطنة عُمان.

وتدور محاور الندوة الرئيسة حول: «الخصائص الفنية لشعر دول مجلس التعاون»، و«شعر المرأة الخليجية وأثره في الحركة الشعرية في دول المجلس»، و«انعكاس التطور الفكري في القصيدة الخليجية»، كما صاحب المهرجان معرض لكتاب الشعر الخليجي ضم عدداً من الكتب المتخصصة في الشعر، ودواوين لأبرز الشعراء في دول مجلس التعاون الخليجي.

حوار الحضارات وأحداث سبتمبر في مركز الملك فيصل

بحضور صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وفي إطار نشاطه الثقافي لهذا العام، نظم المركز مساء الأول من شعبان الماضي (الموافق السابع من أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٢م)، محاضرة بعنوان «مفهوم حوار الحضارات»، ألقاها الدكتور فرنسوا بورجا مدير المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية في مدينة صنعاء اليمنية، وأدار الحوار الدكتور معجب الزهراني الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض.

تحدث المحاضر باللغة العربية، وأعرب في بداية حديثه عن مدى سعادته وتقديره لصاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل ابن عبدالعزيز لدعوته إلى المملكة، كما رحب بالحضور، وقال: إن هذه ليست محاضرة أكاديمية بحته بل هي بعض الملاحظات والانطباعات لمواطن فرنسي عاش في عدة بلدان عربية مدة ثمانية عشر عاماً يشعر أنه جسرٌ موصل للحضارة بين العالمين، وذكر أنه لا ينظر إلى حوار الأديان كاتجاه سليم لرفع سوء الفهم بين الناس، فهو - كما يراه - طريق مسدود وخطر على فهم واقع العالم وتحليله، فحوار الحضارات - في رأيه - لا يعني حوار الأديان.

وذكر المحاضر أنه منذ أول زيارة له للعالم العربي منذ زمن بعيد وجد اختلافًا بين الجانبين في نمط الحياة، وسمع خطابات من الجانبين الغربي والإسلامي تؤكد أن هذه الاختلافات جوهرية، وقال: عشت كل هذه المدة وأنا أسمع الخطابات نفسها، فهؤلاء يرفضون وجود أي قاسم إنساني مشترك يتجاوز الانتماءات اللغوية والثقافية والدينية يسمح بالتعايش، فهم يركزون في الشكليات، وينسون القواسم المشتركة. ودعا المحاضر إلى تجاوز المرجعيات التاريخية، والرجوع إلى القيم الإنسانية المشتركة.



بورجا

وقال بورجا: إن الغرب يرفض الاعتراف بثقافات أخرى تشاركه في صناعة التاريخ، ويخشى هذه المنافسة، ولا يسمح بها، وقال: إن الغرب عندما يسمع بأي شيء له صلة بالإسلام يتجه فكره مباشرة إلى مكافحة الإرهاب، فمن المسؤول عن ذلك؟، ويرى المحاضر أن المسؤلية مشتركة، ولكن يتحمل منها الغرب نسبة ٩٠٪، ويتحمل العالم الإسلامي نسبة ١٠٪ الباقية، وقال: إن بعض الحكام يستغلون خوف الغرب من الحركات الإسلامية لتجريم كل معارضة «شارون يقول لأمريكا: عرفات يساوي بن لادن»، وأشار إلى إن بعض الحركات الإسلامية متشددة، وترفض كل ما جاء من الغرب «من المنتوجات الأيديولوجية أو السياسية»، وهذا موقف سلبي، ولكن ليس هذا هو التيار الغالب في العالم الإسلامي، وإن كان الغرب لا يفرق بين المسلمين المتشددين وغير المتشددين، وعزا المحاضر ذلك لضعف فرصة الاتصال بين الجانبين، ويرى أن الحل يكمن في الاتصال بين العالم العربي والغربي.

ثم فتح بعد ذلك باب النقاش الذي أغناه عدد من المثقفين والأكاديميين بأسئلة مكتوبة أو بالمداخلات المباشرة.

واختتم المحاضرة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل، مقدماً شكره للمحاضر، وقال: إنه كان كريماً معنا إذ حملنا نسبة عشرة في المئة فقط من التقصير، ولكني أعتقد أننا نشارك في هذا التقصير بدرجة مساوية للغرب، وتطرق سموه إلى أنشطة اللوبي الصهيوني في أوربا وأمريكا، الذي يحارب العالم الإسلامي من واقع تخطيط وعمل مدروس، وقال: إننا لم نستغل الانفتاح الموجود عندهم لخدمة قضايانا، ودعا سموه العرب والمسلمين المقيمين في أوربا وأمريكا إلى استغلال الفرص المتاحة، وأن يكون لهم وجود في مواقع صنع القرار، وفي أجهزة الإعلام، وأن يستغلوا كل ما تسمح به القوانين والتقاليد، وألا يكون ذلك في العالم الغربي فقط، بل في كل أنحاء العالم.

وأقام المركز ندوة أخرى بتاريخ ١٥ شعبان الماضي (الموافق ٢١أكتوبر/تشرين الأول)، بعنوان «العلاقات الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر»، قدمها الأستاذ الدكتور فاروق حسن،وهو باكستاني متخصص في القانون والشؤون الدولية، ويعمل حالياً مديراً للمعهد الأمريكي للدراسات الإستراتيجية لجنوب آسيا، وأدار الحوار الدكتور صالح الخثلان، وقد أشاد الدكتور فاروق في بداية حديثه بالسياسة الحكيمة المتعقلة التي تنتهجها المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين في ظل هذا الخطر والتحدي الذي يواجه العالم الإسلامي من جراء الآثار التي خلفتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

فاروق حسن

ثم قدم المحاضر وصفاً لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكيف كان وقعها على الشعب الأمريكي، ووصف هذه الهجمة بأنها أخطر هجمة في التاريخ يواجهها الأمريكيون في عقر دارهم، وكان لا بد من تحرك لإعادة توحيد هذا الشعب الجريح، وإعادة الثقة إليه.

وقال المحاضر: إن الحضارة الغربية كانت تكن نوعاً من الكراهية التاريخية تجاه الإسلام وفلسفته قبل هذه الأحداث، وقد تحولت هذه الكراهية إلى إهمال ولا مبالاة بمرور الزمن، ولكن بعد هذه الأحداث بدأ اتجاه نحو إعادة تقويم سياسي ودولي لدى الثقل الإستراتيجي الذي تمثله البلاد الإسلامية وشعوبها وحكوماتها.

ثم قدم المحاضر شرحاً لمفهوم مصطلحي «الجهاد» و«الأصولية»، اللذين يستخدمهما الإعلام الغربي للإساءة للإسلام والمسلمين، ودعا إلى إزالة كل التصورات الغربية الخاطئة لفهم هذه المصطلحات، والتعريف بها بشكل مناسب للمعنى الصحيح لهذه المفهومات في الأوساط العالمية.

واستعرض المحاضر بعض القضايا المهمة التي يجب أن نعطيها الأولوية الكبرى، لأنها تعرضت لتغير كبير بفعل أحداث سبتمبر، ومنها تصنيف معظم الأتقياء المسلمين الملتزمين ونعتهم بالإرهاب، وإصرار الولايات المتحدة أن تكون اللاعب الأوحد أو الأساسي الذي يقرر المسار الذي يجب أن تسير عليه التطورات الكبرى للعلاقات الدولية الحالية، وماذا عن احتمال هجوم عسكري وقائي ضد العراق، وما هي الأهداف الإستراتيجية والاقتصادية الأمريكية فيما يخص موارد بلاد الشرق الأوسط، وبلدان وسط آسيا، وجميعها بلاد إسلامية، وغير هذه من القضايا.

ثم تناول المحاضر مصطلح «إرهاب الدولة»، وأوضح كيف استخدم هذا المصطلح بمفهومه السياسي، وليس القانوني، لتحقيق أهداف سياسية، وبين أن المجموعة الدولية ممثلة في الأمم المتحدة قد أخفقت في تقديم تعريف محدد لمصطلح إرهاب الدولة، وبين الأسباب التي أدت إلى هذا الإخفاق.

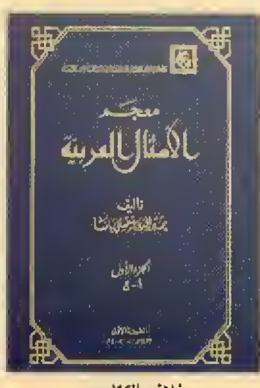
وأشاد المحاضر بالتصريح الذي أدلى به صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني في الحوار الذي أجرته معه مجلة التايم الأمريكية، حين قال في رده على سؤال هل كان يؤيد أو له تحفظات على الحرب التي تشنها أمريكا على الإرهاب، إذ قال: «أود أن أقول: إن أمريكا بلد صديق، وإن مصالحها مهمة بالنسبة إلينا وكذلك مصالحنا، وإن أمريكا لا تستطيع خوض هذه الحرب بمفردها، لأنها ستكون حرباً متعبة، صعبة، وباهظة التكاليف، إضافة إلى ما تسببه من خسائر بشرية ومادية، وما ستسلم به من مضاعفة لأعداد المناوئين لأمريكا. إن أمريكا لا تملك أن تتصرف كشرطي أوحد»، ورأى المحاضر في هذا التصريح نصيحة حكيمة موجهة إلى المجموعة الدولية، وهي في الوقت نفسه نصيحة تقوم على أساس أخلاقي وشرعي متين.

معجم الأمثال العربية

صدر حديثاً عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض كتاب «معجم الأمثال العربية» لخيرالدين شمسي باشا. ويعد هذا الكتاب موسوعة كبيرة في الأمثال العربية غير مسبوقة، فقد جمع المؤلف فيه كل ما



وصلت إليه يده من أمثال عربية مدونة في الكتب التي عنيت بهذا الشأن أولاً، وما اطلع عليه من كتب اللغة والأدب وغيرها من الكتب التي أوردت فيها بعض الأمثال عَرَضاً. ولم يكتف بذلك، بل عرّج على ما دون من أمثال القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة التي جرت مجرى الأمثال. وقد بذل المؤلف في ذلك جهداً مضنياً استغرق ما يقارب العقدين من الزمان جمع خلالها أكثر من أحد عشر ألف مثل، دونها في هذا الكتاب بترتيب وتبويب يسهل على القارئ الرجوع إلى المثل المطلوب واستخراجه.



غلاف الكتاب

وقد جاء الكتاب مرتباً ترتيباً هجائياً يبدأ بحرف الهمزة وينتهي بحرف الياء، ولا يحتاج القارئ إلى جهد كبير للوصول إلى المثل المطلوب، فقد روعي في ترتيب الأمثال الحرف الأول والثاني وما بعدهما، فما كان مبدوءاً بالألف ثم الباء يأتي قبل ما بدىء بألف فتاء، وهكذا.

ومما يمتاز به هذا السفر الضخم أنه لم يثقل بالحواشي، إذ إن المؤلف اتبع طريقة موفقة في إحالة المثل إلى المصادر التي أخذ منها، فيورد تلك المصادربعد إيراد المثل مباشرة. وقد رمز لكل مصدر برمز معين، وطبقه على الكتاب جميعه، فالرمز (ت م) يعني تمثال الأمثال للعبدري، و(ع) جمهرة الأمثال للعسكري، و(ل) لسان العرب لابن منظور .. وهكذا.

والكتاب وإن كان معداً للأمثال العربية، إلا أنه تضمن فوائد جمة، نثرها المؤلف في غضون شرحه للأمثال التي أوردها، ومنها فوائد لغوية وأدبية وتاريخية ودينية وغير ذلك.

ويقع الكتاب في ثلاثة مجلدات، تحتوي على ٢٨٣٨ صفحة من القطع الكبير.

بناء الشخصية الإسلامية

أقامت كلية الإمام الأوزاعي في بيروت بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤخراً مؤتمراً بعنوان «بناء الشخصية الإسلامية ودعم خصائص الإبداع وتنقية الثقافة من عوامل التخلف»، وقد شهد جلسة افتتاح المؤتمر ممثل



جانب من المحاضرات

لرئيس الحكومة اللبنانية، وحشد من الأساتذة الجامعيين وأهل الفكر والإعلام وممثلي الجمعيات الإسلامية في بيروت.

وقد شهدت فعاليات المؤتمر، الذي استمر مدة يومين، عدداً من المحاضرات بدأها الدكتور مروان قباني بموضوع عنوانه «الإبداع: مفهومه وطرائقه وواقعه»، وتناول الدكتور محمد أكرم العدلوني «الشخصية المبدعة: سمات ومهارات»، وعدّد الدكتور زهير الشاويش «قضايا الاجتهاد والتقليد والاتباع والابتداع»، بينما تناول الدكتور عبدالفتاح كبارة «منطلقات الاجتهاد وضوابطها»، والدكتور بسام صباغ «الفقه الإسلامي ومصادره ودراسة منطلقات الاجتهاد والإبداع»، وختم محاضرات اليوم الأول الدكتور أسعد السحمراني بمحاضرة عنوانها «الإسلام والإبداع: قراءة في التراث واستشراف المستقبل».

وبدأت محاضرات اليوم الثاني للمؤتمر بمحاضرة الدكتور محمد راتب النابلسي «الإسلام والموقف من الإبداع»، ثم الدكتور هشام نشابة حول «دور التربية في بناء الشخصية الإسلامية المبدعة»، واستعرض الدكتور محمد منير سعدالدين «دور المعلم في التربية على الإبداع»، بينما تناولت الدكتورة عائشة حرب زريق «اللامفكر فيه في الفكر التربوي الإسلامي»، والدكتور نزار العاني «منظومة المنهج القرآني للإبداع»، والدكتورة مريم آية أحمد «الإعلام والمؤسسات الثقافية ودورها في تنشئة الأجيال المبدعة»، واستعرض الدكتور مصطفى سليمان «تجربة مركز ماء - داتا الإبداعية»، واختتم المؤتمر أعماله بمحاضرة الأستاذ عبدالحليم زيدان التي حملت عنوان «عبقرية للعمل عبقرية للإدارة عبقرية للقيادة»

موسوعة وقصائد جديدة للشابي


أبو القاسم الشابي

صادف شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي مرور الذكرى السادسة والستين لرحيل الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، وقد صاحب مرور هذه المناسبة حدثان مهمان: الأول هو صدور موسوعة الباحث عبدالرزاق شريط التي تحوي كل الأبحاث التي كتبت عن الشاعر الراحل وشعره باللغة الفرنسية، وهذه الموسوعة هي الآن في مراحلها الأخيرة من الطبع، ويرى النقاد أن صدورها يعد حدثًا مهمًا لمكانة الشابي في داخل تونس وخارجها .

أما الحدث الثاني فيتمثل فيما بدأ ينشره الدكتور علي الشابي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ومدير مجلة الهداية التي يصدرها المجلس من أبحاث ومقالات، حول آثار مجهولة للشاعر الراحل، تتمثل في قصائد لم تنشر من قبل، ومازالت محفوظة لدى أقرباء الشاعر، وقد أعلن الدكتور الشابي عثوره أخيراً على عدد من الرسائل التي وجهها الشاعر الراحل إلى بعض أصدقائه وأقربائه، وكذلك قصيدة جديدة بخط يد الشاعر، ونتف من شعره، ويقول الدكتور علي الشابي: إن الشاعر ربما يكون قد نظم هذه القصيدة وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة، وبذلك تكون هذه القصيدة أول تجربة شعرية تعرف للشاعر الراحل.

وداعًا باهيثم

انتقل إلى جوار ربه في الرابع والعشرين من شهر رجب الماضي الكاتب والشاعر السعودي عبدالله باهيثم عن عمر يناهز ٤٧ عاماً، بعد معاناة مريرة مع مرض تليف الكبد الذي أقعده عن الحركة في الأيام الأخيرة، وكان صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائب خادم الحرمين الشريفين قد وجه بعلاجه في المستشفى التخصصي في الرياض، كما تكفل صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بعلاجه على نفقته الخاصة في أحد المستشفيات الألمانية.

وعلى الرغم من مسيرته التي تزيد على عشرين عامًا قضاها في العمل الأدبي والصحفي، إلا أنه خرج خالي الوفاض مادياً، وجلس على كرسي متحرك لا يقوى على النهوض، وقد ترددت حالته في أيامه الأخيرة، فأرسل إلى الأستاذ سعد الحميدين في جريدة الرياض رسالة يشكو فيها حالته ويوصيه ببناته «وأنهن أمانة في عنقه».

يشار إلى أن الراحل عمل مدرساً للغة الإنجليزية بثانوية عبدالرحمن الداخل في جدة بجانب عمله في صحيفة البلاد، وقد أمضى ٢٣ عاماً في الوسط الصحفي، بدأها بجريدة الندوة سنة ١٤٠٠هـ حتى سنة ١٤٠٣هـ، ثم انتقل إلى مجلة «اقرأ» سنة ١٤٠٣هـ حتى سنة ١٤٠٩هـ، ثم توقف بسبب ظروفه الخاصة، وبعدها زاول العمل الصحفي سنة ١٤١٩هـ في جريدة البلاد، وله عدة كتابات في الشعر، والقصة القصيرة، والمقالات الأدبية النقدية، وله ديوان شعر لم يطبع حتى الآن بعنوان «وقوفاً على الماء»، قال فيه: «ليس لدي إمكانيات ووسائل اتصال كالآخرين سواء كان في الداخل أو الخارج، وعندي الكثير من الأعمال، ولو أخرجتها لفعلت الكثير من ردود الفعل في وسطنا الثقافي، ولكن حسبي الله ونعم الوكيل على أناس جاحدين لا يعرفون الإنسانية».

جائزة البابطين في دورتها الثامنة


عبدالعزيز البابطين

برعاية الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة ولي عهد البحرين، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير، ورئيس مؤسسة الفكر العربي، والسيد عمرو موسى أمين جامعة الدول العربية، وحشد من الأدباء والمفكرين والإعلاميين، نُظمت الدورة الثامنة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري دورة «علي بن المقرب العيوني» التي أقيمت في البحرين الشهر الماضي واستمرت ثلاثة أيام.

وبدأ الاحتفال بكلمة لرئيس الجائزة الأستاذ عبدالعزيز البابطين، ثم أعلن الأستاذ عبدالعزيز السريع الأمين العام للمؤسسة أسماء الفائزين بجوائز الدورة الثامنة، وهم: الشاعر الراحل إبراهيم العريض «البحرين»، الفائز بالجائزة التكريمية للإبداع في مجال الشعر، والدكتور عبدالواحد لؤلؤة «العراق»، الفائز بجائزة الإبداع في مجال نقد الشعر عن مجمل دراسته النقدية، والدكتور عبدالله حمادي «الجزائر» الفائز بجائزة

أفضل قصيدة، وذلك عن قصيدته «وداعاً أيتها الصحراء».

كما تضمن الاحتفال ثلاث جلسات قدمت خلالها ستة موضوعات رئيسة:

الأولى: ترأسها الدكتور ناصر الدين الأسد، وموضوعها: «شعر ابن المقرب بين التأثر والتأثير» للدكتور علي الخضيري، وجاء البحث الثاني بعنوان «اللغة والدلالة والإيقاع في شعر ابن المقرب العيوني»، للدكتور أحمد قدور.

أما الجلسة الثانية: فترأستها الشيخة مي محمد آل خليفة، وكان عنوان البحث «شعراء شرقي الجزيرة العربية بعد ابن المقرب» للدكتور سلطان القحطاني، وموضوع آخر بعنوان «بنية الموضوعات في شعر ابن المقرب» للدكتورة نسيمة الغيث.

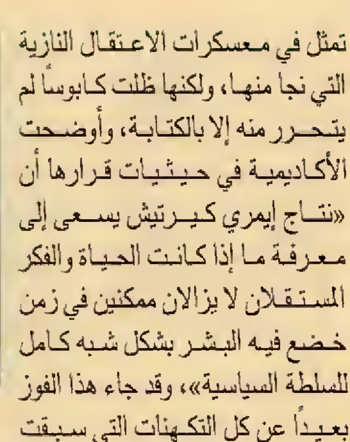
بينما ترأس الجلسة الثالثة د.ناصر الدين الأسد، وقدم فيها بحثان: الأول: «القصيدة النضالية عند إبراهيم طوقان» للدكتور فيصل دراج ألقاها بالنيابة عنه حسين المناصرة، والثاني «شعر الانتفاضة الفلسطينية: ديوان الدرة نموذجاً» للباحث الدكتور وهب رومية.

وختم الاحتفال بتكريم الأمين العام للجائزة الأستاذ عبدالعزيز السريع، وذلك لدوره الكبير في الإنجازات التي تحققت خلال العقد الماضي.

الجدير بالذكر أن مؤسسة البابطين أصدرت عدداً من الكتب في دورة «علي بن المقرب العيوني» منها: «ديوان علي بن المقرب»، تحقيق: أحمد موسى الخطيب، و«ديوان أبي البحر» للشيخ جعفر الخطي، تحقيق: عبدالجليل العريض، وأنيسة خليل منصور، و«ديوان إبراهيم طوقان» أعده ماجد الحكواتي، و«شعراء عبدالقيس في العصر الجاهلي»، تأليف: عبدالحميد المعيني، و«تاريخ الإمارة العيونية» لعبدالرحمن الملا، و«إبراهيم طوقان: حياته ودراسة فنية في شعره»، من تأليف محمد حسن عبدالله، و«من أوراق إبراهيم طوقان»، إعداد المتوكل طه، و«مختارات من شعر إبراهيم العريض» من إعداد منصور سرحان، و«عبدالعزيز السريع: تكريم وتحية» لمجموعة من الكتاب.

كيرتيش يفوز بنوبل للأدب

أعلن في العاشر من شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي فوز الأديب المجري اليهودي إيمري كيرتيش بجائزة نوبل للأدب ٢٠٠٢م مكافأة «لأدبه الذي يروي تجربة الفرد الهشة في مواجهة تعسف التاريخ الوحشي» وتعسف التاريخ بالنسبة إلى كيرتيش تمثل في معسكرات الاعتقال النازية التي نجا منها، ولكنها ظلت كابوساً لم يتحرر منه إلا بالكتابة، وأوضحت الأكاديمية في حيثيات قرارها أن «نتاج إيمري كيرتيش يسعى إلى معرفة ما إذا كانت الحياة والفكر المستقلان لا يزالان ممكنين في زمن خضع فيه البشر بشكل شبه كامل للسلطة السياسية»، وقد جاء هذا الفوز بعيداً عن كل التكهنات التي سبقت إعلان النتيجة، وترك أكثر من علامة استفهام؛ لأن الكاتب شبه مجهول في الأوساط الإعلامية لسببين: الأول لأنه يعيش حياة عزلة في المجر، وهو كما قال هوراس أنغدال السكرتير الدائم للجنة نوبل للأدب: «لا يحب الاجتماعيات، ويتميز بأخلاق أوربية منطوية»، والثاني: لأنه ليس لهذا الكاتب اليهودي سوى عدد قليل من الأعمال الأدبية لا تتعدى أصابع اليد، ومعظمها يحكي عن معاناته في معسكرات الاعتقال النازية».!!

إيمري كيرتيش

ولد كيرتيش في بودابست في المجر في ٩ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٢٩م في كنف أسرة يهودية، ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى اعتقلته السلطات النازية، وأودعته معسكرات الاعتقال التي تنقّل في عدد منها، حتى أفرج عنه عام ١٩٤٥م ليعود إلى بودابست، ولم ينل أي تعليم جامعي، وقد عمل بعد الحرب صحافياً، ولكنه طرد من الصحيفة اليومية التي كان يعمل فيها عام ١٩٥١م، ومنذ عام ١٩٥٣م بدأ كيرتيش يكسب قوته من قلمه، فكتب مسرحيات، كما عمل مترجماً لأعمال عدد من الكتّاب الألمان منهم: نيتشه، وهوفمانشتال، وشنيتسلر وفرويد، وقد ترك العمل بالترجمة لهؤلاء الأدباء أثراً واضحاً في حياة كيرتيش الأدبية التي لم يفارقها شبح الاعتقال منذ مراهقته.

وأصدر كيرتيش أول أعماله الروائية «لا مصير» عام ١٩٧٣م، ثم توالت بعد ذلك أعماله الأدبية: «مقتفى الأثر: قصتان قصيرتان» بودابست ١٩٧٧م، و«الفشل» بودابست ١٩٨٨م، و«قديش (قداس) للطفل الذي لم يولد بعد» بودابست ١٩٩٠م، و«العلم البريطاني» ١٩٩١م، و«يوميات العبودية» في الأصل يوميات السفينة التي يجدف فيها العبيد على طريقة الرومان القدماء، بودابست ١٩٩٢م ، و«الهولوكوست كثقافة - ثلاث محاضرات، وغيرها من المؤلفات.

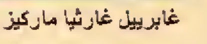
وقد دافع أنغدال عن قرار اللجنة في اختيار كيرتيش، مستبقاً

الهجوم الذي توقعه من العالمين العربي والإسلامي على خلفية اختيار هذا الكاتب اليهودي، قائلاً إن: «كيرتيش أخذ موقفاً ضد التطرف والتعصب، فهو كتب مقالة من إسرائيل في العام الماضي أوضح فيها أنه ضد التطرف، وأخذ موقعاً خارج المتطرفين»، في إشارة إلى المجتمع الإسرائيلي، وأشار أنغدال إلى أن اختيار الأكاديمية في العام الماضي للكاتب نايبول وكيرتيش هذا العام أنه مجرد «مصادفة لا علاقة لها بمواقف سياسية، فنحن لو أصغينا إلى النقد السياسي الموجه إلينا لاضطررنا إلى حصر جائزة الأدب في العالم الإسكندينافي، لأن هنالك حروباً كثيرة في معظم دول العالم».

وسيتسلم كيرتيش جائزته التي تبلغ (١.١٠ مليون دولار) في العاشر من شهر ديسمبر/ كانون الأول القادم، في ذكرى وفاة العالم السويدي ألفرد نوبل مؤسس هذه الجوائز في عام ١٨٩٦م في سان ريمو في إيطاليا.

صدور مذكرات ماركيز

صدر مؤخراً المجلد الأول من مذكرات الكاتب والروائي الكولومبي الحائز على جائزة نوبل للآداب غابرييل غارثيا ماركيز بعنوان «حياة أعيشها من أجل أن أقصها»، وهي المذكرات التي تأجل صدورها عدة مرات، وقد قالت السيدة ماريا باولا مونوز رئيسة القسم الصحافي لدار «نورما» التي أصدرت المذكرات: «إنه سيتم توزيع مليون نسخة منها على البلدان التي تتكلم الإسبانية».


غابرييل غارثيا ماركيز

وفي هذا المجلد الأول الذي يحتوي على نحو ٦٠٠ صفحة يروي ماركيز، أو «غابو» كما يسميه محبوه، الثلاثين سنة الأولى من حياته، إذ ولد عام ١٩٢٧م في قرية صغيرة تدعى «أراكاتاكا» على الساحل الكاريبي، وانتقل ليقيم في باريس حيث أوقفته السلطات الفرنسية عدة مرات، لأن له ملامح جزائرية، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها فإنه ظل مصمماً على أن يكون كاتباً كبيراً ذات يوم، وقد تحقق له ذلك عندما نشر رائعته الأولى «مئة عام من العزلة» التي أصبح بسببها كاتباً يتمتع بشهرة عالمية واسعة، وتحدث ماركيز عن أجداده وأعمامه وأخواله ووالدته وإخوته العشرة وتأثيرهم فيه، ويقول الذين قرأوا مذكرات ماركيز: إنه عمل بديع ورائع، وقد تحدث الكاتب ويليام أوسبينا بإعجاب كبير وقال: «لقد استطاع غابرييل غارثيا ماركيز أن يرسم لنفسه صورة جيدة مثيرة فيها يمتزج تاريخه الشخصي بتاريخ مسيرته الأدبية، وبتاريخ أمريكا اللاتينية بأسرها».

يذكر أن صاحب «الحب في زمن الكوليرا» و«خريف البطريرك» قد شرع في سنواته الأخيرة في كتابة مذكراته بعد أن اكتشف الأطباء أنه مصاب بمرض السرطان.

أعمال البردوني الشعرية


عبدالله البردوني

قامت الهيئة العامة للكتاب في اليمن مؤخراً بطباعة الأعمال الشعرية للشاعر اليمني الراحل عبدالله البردوني، وقد جاء هذا العمل في نحو ١٨٠٠ صفحة من القطع الكبير موزعة في مجلدين، وقد ضم هذا الديوان جميع الأعمال الشعرية التي أصدرها الشاعر خلال حياته والبالغة اثني عشر ديواناً شعرياً هي: «أرض بلقيس»، و«في طريق الفجر»، و«مدينة الغد»، و«لعيني أم بلقيس»، و«السفر إلى الأيام الخضر»، و«وجوه دخانية في مرايا الليل»، و«زمان بلا نوعية»، و«ترجمة رملية لأعراس الغبار»، و«كائنات الشوق الآخر»، و«جواب العصور»، و«رواغ المصابيح»، و«رجعة الحكيم بن زايد».

وقد جاء الديوان في طبعتين: إحداهما طبعة فاخرة ستقوم الهيئة بإهدائها للمؤسسات الثقافية البارزة في الوطن العربي وخارجه، والأخرى طبعة شعبية ستوزع على المكتبات المحلية والعربية.

وتسعى الهيئة حالياً إلى الحصول على آخر عملين شعريين أنتجهما الشاعر الراحل لطباعتهما في عمل مستقل أو إلحاقهما بهذه الأعمال في طبعة قادمة.

مؤتمران لمؤسسة التميمي

نظمت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس خلال الفترة من ٢ إلى ٦ أكتوبر/تشرين الأول الماضي مؤتمراً عالمياً للدراسات العثمانية تحت عنوان «الدور الاقتصادي والاجتماعي للأقليات في الولايات العربية خلال العهد العثماني»، ويعد هذا المؤتمر العاشر ضمن سلسلة المؤتمرات التي

بدأت المؤسسة في تنظيمها منذ عشرين سنة، كان أولها في سبتمبر/أيلول عام ١٩٨٢م.

وشارك في هذا المؤتمر عدد كبير من الباحثين والأكاديميين والمهتمين بالشؤون العثمانية، وقدمت خلاله عدة بحوث تربو على الخمسين بحثًا.



عبد الجليل التميمي

يذكر أن مؤسسة التميمي تصدر ثلاث دوريات متخصصة، هي: «المجلة التاريخية المغاربية» ١٩٧٤م، و«المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية» ١٩٩٠م، و«المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات» ١٩٩٧م.

ومن ناحية أخرى نظمت مؤسستا التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكونراد أديناور بتونس والجزائر المؤتمر العاشر لمنتدى الفكر المعاصر حول: «إشكالية المواطنة والمجتمع المدني في المغرب العربي المعاصر» خلال الفترة من ٢٣ إلى ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول الماضي في مدينة زغوان التونسية. وقدم الدكتور عبدالجليل التميمي شكره لكل المشاركين في المؤتمر، ولمؤسسة كونراد أديناور التي قدمت الدعم لعقد هذا المؤتمر، في غياب الدعم المحلي والمغاربي والعربي عمومًا.

وقد شارك في المؤتمر عدد كبير من الباحثين في علوم الاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد، وقدموا من خلال تسع جلسات علمية، عددًا من البحوث والدراسات.

أتشيبي يفوز بجائزة السلام

تشينوا أتشيبي

فاز الكاتب النيجيري تشينوا أتشيبي بجائزة السلام الألمانية التي تبلغ قيمتها ١٥ ألف يورو، لكونه «قوي التعبير، ومن أبرز الكتاب الإفريقيين في الفصل الدقيق بين مختلف التعابير الأدبية لأدب القرن الماضي»، كما وصفه رئيس اتحاد الأدباء الألمان غونتر غراس، الذي قال: «إنه من أكثر الأدباء الأفارقة إخلاصًا وإيمانًا وقناعة بنفسه وبمعلم أخلاقي وروائي كبير ومؤسس لفن الرواية الإفريقية»، ووصف أتشيبي بأنه «أب للأدب الأفريقي الحديث، ومعلم للإفريقيين، ومؤلف أفريقي معاصر يعرف كيف يوضح ويقص قصصًا وحكايات جميلة للعالم حول أمور تهم إفريقية».

وقد حضر حفل التسليم عدد كبير من مشاهير الفكر والسياسة والاقتصاد في العالم بلغ عددهم نحو ٧٠٠ شخص، من بينهم الأديبة الجزائرية آسيا جبار التي سبق لها الفوز بهذه الجائزة نفسها قبل عامين، وبهذا الفوز يكون أتشيبي ثاني كاتب من إفريقية السوداء يفوز بهذه الجائزة المرموقة بعد الشاعر السنغالي سنغور الذي فاز بها في عام ١٩٦٨م.

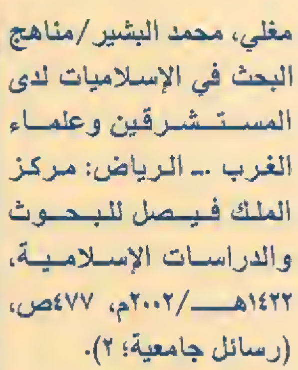
وقد شكر أتشيبي في بداية كلمته الحضور قائلاً: «إنكم تنقذون سمعتي عندما تصفونني بصانع السلام، لأن الكثيرين يرون فيَّ مثيرًا للقلاقل، لقد قويتم أسمى الآمال والأهداف في داخلي، وأنقذتم حياتي بكل ما في الكلمة من معان»، ثم انقلب بالنقد على الأدباء الغربيين من أمثال جوزيف كونراد، وألبرت شفايتسر، وإرنست همنغواي قائلاً: إنهم أبدعوا «أدبًا عالميًا يقوم على تصوير السود كمتوحشين، مهمشين لا يحسنون الكلام ودائمي الصراخ».

ويبلغ أتشيبي من العمر ٧١ عامًا، ويعيش في الولايات المتحدة الأمريكية على كرسي متحرك منذ ١٢ عامًا نتيجة تعرضه لحادث مروري. ولأتشيبي كثير من الروايات أشهرها على الإطلاق رواية «الأشياء تتداعى»، وهي الرواية التي نقلت كاتبها إلى مصاف العالمية، وبيع منها حتى الآن أكثر من عشرة ملايين نسخة في خمسين لغة.

الموسوعة الشعرية العربية في إصدار إلكتروني

أعلن الشاعر محمد أحمد السويدي الأمين العام للمجمع الثقافي في أبوظبي أن الإصدار الإلكتروني الثالث من الموسوعة الشعرية العربية سيطرح قريبًا على أقراص مدمجة C D، ويضم هذا الإصدار نحو مليونين و٤٠٠ ألف بيت لأكثر من ٢٢٠٠ شاعر، إلى جانب تسجيلات صوتية يؤديها عدد من كبار الفنانين العرب لعشرات من القصائد منها المعلقات العشر، إضافة إلى قصائد مختارة للمتنبي والحلاج والإمام الشافعي وغيرهم.

وكان الإصدار الأول من الموسوعة قد أنجز في عام ١٩٩٨م، وضم أكثر من ١٨٤ ألف بيت لنحو ١٨٨ شاعرًا عربيًا، بينما صدر الثاني عام ٢٠٠١م، وضم مليونًا و٣٠٠ ألف بيت لنحو ١٠٢٤ شاعرًا.



الحربي، فائز بن موسى البدراني/من أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات الراوي والمؤرخ محمد العلي العبيد (١٣٠٣-١٣٩٩هـ) ـ الكويت: المؤلف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢٥٩ص.

يتناول هذا الكتاب سيرة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، رحمه الله، من خلال مذكرات الراوي والمؤرخ محمد العلي العبيد صاحب كتاب «النجم اللامع للنوادر جامع» الذي يعد مادة تاريخية لم تأخذ حقها بعد في التحقيق والتعريف بها.

وتتكون هذه الدراسة من قسمين: الأول تعريف بالمصدر التاريخي الذي يقدمه هذا الكتاب والتعريف بصاحبه، والقسم الثاني يتضمن النص التاريخي للراوي والمؤرخ محمد العلي العبيد، وقد وضح المحقق أهمية المخطوطة أو المصدر التاريخي بقوله: «إنها تمثل مصدراً هاماً من مصادر تاريخ تأسيس المملكة وتاريخ الملك عبدالعزيزبشكل خاص، وما واكب مرحلة قيام هذه الدولة السعودية من حوادث محلية وعالمية خطيرة أحدثت تغيرات جذرية في الحياة السياسية والاجتماعية لدول المنطقة، كما تتميز مذكرات العبيد عن مذكرات المؤرخين النجديين - سواء المتقدمون أو المعاصرون له - بأنها تتضمن تفصيلات واستطرادات ومعلومات جيدة عن الحوادث أو الشخصيات التي يتعرض لها بخلاف المذكرات التاريخية النجدية التي اشتهر مؤلفوها بالميل إلى الاختصار الشديد، وعدم التعليق على الخبروتغطيته بشكل كاف».

وقد واجه المحقق بعض الصعوبات والمعوقات في تحقيق هذه المخطوطة المهمة، منها: أنها لا توجد لها نسخ أخرى للاستفادة منها في مجال المقابلة، كما تميل لغة المؤلف إلى اللهجة العامية.



مغلي، محمد البشير/مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٤٧٧ص، (رسائل جامعية؛ ٢).

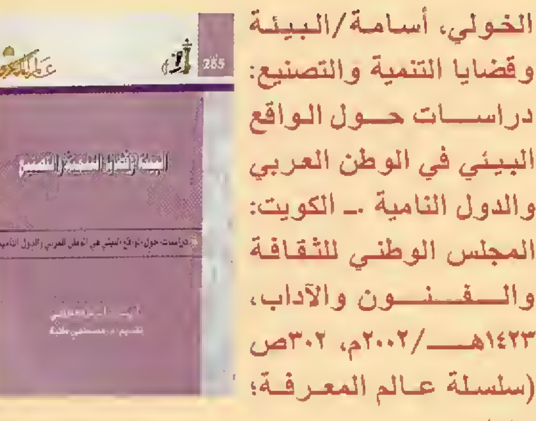
يتناول هذا الكتاب بالنقد مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، وتتمثل العينة التي استهدفها البحث، في المستشرقين والعلماء الغربيين، وبالتحديد الأوربيون دون الأمريكيين أو الآسيويين أو العرب، مع اهتمام خاص بالفرنسيين والبريطانيين لأهمية العلاقات التاريخية واللغوية، والارتباطات الجغرافية والسياسية بين العالمين الشرقي والغربي. وتغطي فترة الدراسة القرون الثلاثة الأخيرة، وبالتحديد انطلاقاً من حملة نابليون على مصر إلى ما بين الحربين العالميتين، مع التركيز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ويقع الكتاب في خمسة أبواب وخاتمة، جاء الباب الأول بمدخل عن المفاهيم، وقدم فيه المؤلف لمحة تاريخية عن نشأة الاستشراق وتطوره، ودوافعه وأهدافه.

ويناقش الثاني المنهج التهجيني الذي يسلكه المستشرقون بهدف محاربة «الصبغة الإسلامية»، وأفرد المؤلف الباب الثالث لنقد المنهج المادي في فهم الإسلاميات، وتعرض المؤلف في الباب الرابع من كتابه إلى التحليل النقدي للمنهج الجدلي الذي يتبناه كثير من المستشرقين وعلماء الغرب في طرح قضايا الإسلام ودراسته، كما عقد المؤلف موازنة بين فيها أساليب التشكيك في ظاهرة الوحي، واستهداف قرآنية القرآن.

وجاء الباب الأخير ببحث عن منهج التمجيد، ويتضمن ثلاثة فصول، جاء الأول عن تحليل الاتجاه التقريظي الذي ينزع إليه بعض المستشرقين،

وركز الفصل الثاني في منهج المنصفين منهم، وجاء الفصل الأخير عن منهج المغالطين، وختم الدراسة بأهم النتائج التي يمكن استخلاصها عملياً وعلمياً في تعرية أبرز المحاور المنهجية الغربية التي تقتاد البحوث الاستشراقية، وتوجه الدراسات الإسلامولوجية بحسب المنعطفات التاريخية والسياسية، وبيّن أثر ذلك في فهم الإسلام وأساليب عرضه، والأبعاد التي تحكم العلاقات بين الشرق والغرب.



الخولي، أسامة/البيئة وقضايا التنمية والتصنيع: دراسات حول الواقع البيئي في الوطن العربي والدول النامية ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٣٠٢ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٨٥)

يتضمن هذا الكتاب آراء حول قضايا البيئة والتنمية في العالم الثالث بصفة عامة، وعالمنا العربي بصفة خاصة، ومن خلال هذه الآراء نستطيع أن نقف على أهم المشكلات التي يواجهها عالمنا العربي في قضايا البيئة، كالطاقة والأنشطة الاستخراجية والبترول والصناعة، وانعكاس هذه المشكلات على تغير المناخ، مما يفرض إجراءات ضرورية للتحكم في نتائج تلك المشكلات، وأثرها في البيئة.

كما يتناول الكتاب الإجراءات الضرورية والملحة للتكيف مع تلك المشكلات كإنشاء إدارة للبيئة، وسن التشريعات البيئية، وغير ذلك من المؤسسات التي تهتم بشؤون البيئة.

وليس خافياً ما يمثله هذا الكتاب على الصعيد البيئي، إذ إن حماية البيئة والاهتمام بها أمران لابد منهما بعد أن تحول كل شيء في حياتنا إلى صناعة، كما توفر المعلومات الواردة في هذا الكتاب، وما طرحه المؤلف فرصة سانحة لتحسين أداء المنشآت الصناعية، مما يساعد على حماية البيئة من التلوث، ومن ثم حماية الإنسان من الآثار المدمرة التي تخلّفها الصناعة في المحيط الذي نعيش فيه.



السامرائي، نعمان عبدالرزاق/قراءة في النظام العالمي الجديد ـ لندن: دار الحكمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٢٣ص.

يقدم هذا الكتاب رؤية نقدية للنظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، فالكتاب يرى أن الولايات المتحدة ترث اليوم الاستعمار الغربي، بكل قباحاته وشناعاته، وتنصّب نفسها عدواً لدوداً للإسلام وأهله، وصديقاً وحارساً للدولة العبرية، بكل عنصريتها ودمويتها، وهي صديق وحليف لكل من يثور على دولة خارجة عن «بيت الطاعة الأمريكي»، لذا فهي تدعم جهاراً نهاراً «جون قرنق» وجيشه الشعبي، الذي يجند الأطفال ويفعل المنكرات، وتطارد «أوجلان» لأنه يعادي أصدقاءها، وتلقي بكل ثقلها خلف استقلال (٧٥٠) ألف نصراني في تيمور الشرقية، لكنها ترفض استقلال ألبان كوسوفو، وتسمح لإسرائيل بخطف ومحاكمة من تشاء، كما أنها ترفض تشكيل لجنة للتحقيق في مذابح إسرائيل للفلسطينيين، وهي مذابح يراها العالم يومياً على شاشات التلفاز، وتندد براجمي الحجارة الفلسطيني، وتعمى عن قصف الطائرات والدبابات الإسرائيلية.

ويرى الكاتب إنه إذا كانت أمريكا بهذا السلوك ـ هي قائدة العالم نحو النظام الجديد ـ فليبشر العالم بحرب عالمية ثالثة لا تبقي ولا تذر، أو بحروب محلية لا نهاية لها.



قاسم، عبدالعزيز/ مكاشفات، مج١ ـ جدة: المؤلف، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٢٩٦ص.

يحوي هذا الكتاب حوارات مع ثلاثة مثقفين في الساحة الثقافية السعودية، وهم: الدكتور تركي الحمد، والدكتور عوض القرني، والأستاذ محمد سعيد طيب، وقد نشرت هذه الحوارات في صحيفة البلاد السعودية خلال سنة ١٤٢١هـ، ولم تكن هذه المكاشفات مقابلات صحفية تقليدية فحسب، إنما هي فن جديد في الحقل الصحافي يتقاطع فيه أسلوب المواجهة، ويتداخل فيه خطاب المحاورة مع خطاب المحاكمة.

وكان الهدف من هذه المكاشفات رصد ملامح مرحلة فكرية مهمة وتسجيلها في تاريخ الحركة الثقافية في المملكة العربية السعودية التي لم تحظ من قبل باهتمام من مؤرخي الحركة الفكرية، كما هدفت أيضًا إلى الجمع بين الرموز والقيادات الفكرية المختلفة على أرضية من حوار حضاري، ولم تكتف بإيراد المآخذ والتهم على فكر الضيف، بل الاتصال المباشر مع معارضيه، وفسح المجال للجميع بالتعليق والرد.



أحمد، أحمد يوسف (وآخرون)/النظام العربي وآفاق المستقبل ـ عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ومؤسسة عبدالحميد شومان، ٢٠٠٢م، ١٦١ص.

يتضمن هذا الكتاب عددًا من المحاضرات التي أُلقيت في منتدى عبدالحميد شومان الثقافي ضمن برنامج المحاضرات الأسبوعية لعام ٢٠٠١م، وينتظمها موضوع مشترك هو القلق العام والهم المقيم عند غالبية المثقفين العرب على المستقبل العربي، سواء تناول ذلك القلق والاهتمام مجمل النظام العربي أو تفاصيله القُطرية.

فعلى المستوى الكلي يعالج عدد من المحاضرات على التوالي بعض التساؤلات المنهجية حول مستقبل النظام العربي، والمشروع النهضوي العربي وتحديات التنمية في خصوصيتها العربية، إضافة إلى موضوع التعاون الاقتصادي العربي في رؤية عملية، ودور الاقتصاد في النهوض العربي، فضلاً عن شروط النهضة العربية في جانبها العملي.

أما على المستوى القُطري فتناولت المحاضرات الأخرى بعض القضايا والتحولات التي شهدها عدد من الأقطار العربية، حيث ناقشت إحداها واقع الهيكلية السياسية في ليبيا، أما الثانية فتناولت موضوع التغيرات الاقتصادية في سورية، بينما استعرضت المحاضرة الثالثة أساليب التعامل مع الحصار في العراق، أما المحاضرة الرابعة فتطرقت إلى منهجية الدراسات الاستشرافية للمستقبل العربي من خلال تناول موضوع التجربة المصرية في تطبيق هذه المنهجية.

القاسمي، علي/حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والإعلان العالمي ـ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٢م، ١٨٠ص (سلسلة المعرفة للجميع؛ ٢٢).

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء موازنة بين حقوق الإنسان كما أقرتها الأمم المتحدة قبل خمسة عقود، وهذه الحقوق كما جاء بها الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا ونيف، لتخلص إلى أن الشريعة الإسلامية هي أول عقيدة أرست المبادىء الأساسية التي تقوم عليها حقوق الإنسان، وهي مبادىء الكرامة الإنسانية، والمساواة، والحرية، والعدالة، والتكافل.

وجاء الكتاب في أربعة أبواب، هي: «مفهوم حقوق الإنسان وأنواعها»، و«حقوق الإنسان في الإعلان العالمي»، و«حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية»، و«مقارنة بين حقوق الإنسان في الإعلان العالمي وفي الشريعة الإسلامية»، وختمت الدراسة بالخلاصة والاستنتاجات.

قدم للدراسة الدكتور عبدالهادي بوطالب، وتناول في مقدمته إسهام المعتقدات والحضارات القديمة في تأصيل قواعد الأخلاق وقيم الخير التي هي أسس حقوق الإنسان، كما أوضح أيضاً إسهامات الديانات الإبراهيمية الموحّدة الثلاث في ترسيخ حقوق الإنسان.

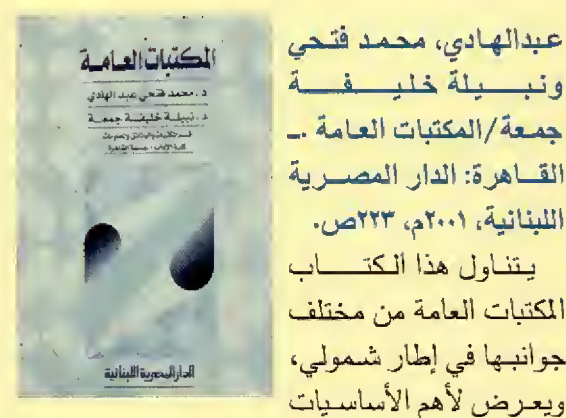
إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني/من الوثائق البريطانية في تاريخ الخليج والجزيرة العربية ـ الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٥٢٩ ص.

تعد الوثائق البريطانية من أهم الوثائق الأصلية والمميزة في تاريخ الخليج العربي، وقد اكتظت أضابير (أرشيف) دار الوثائق البريطانية بكمية هائلة من وثائق هذه المنطقة، على الرغم من أن بريطانيا لم تستعمر الخليج رسمياً، ويعود السر في ذلك إلى أن الخليج يقع في مكان القلب من الإمبراطورية البريطانية، فالخليج في الوثائق البريطانية هو الطريق القديم السريع لحمل الرسائل والربط بين لندن والمقيميات البريطانية في شبه القارة الهندية، وهو زقاق بحري عنيد أعيا بجهاده أعتى الأساطيل الحربية، ثم هو مكمن القوة البريطانية يوم أضحى متراساً تتكسر عنده كل محاولات المد الدولي العسكري ـ وبخاصة الفرنسي ـ لبلوغ الهند درة التاج البريطاني، وهو أخيراً ضرع الطاقة للعالم الغربي.

وتعنى هذه الفهرسة بالوثائق البريطانية الخاصة بالخليج وشبه الجزيرة العربية التي تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين، وتغطي مساحة جغرافية تشمل إلى جانب الإمارات العربية ساحل الخليج وجزره، ونجداً والحجاز والأحساء.

وتعددت موضوعات هذه الوثائق، وضمت موضوعات خاصة بالمنطقة كان لها موقعها في مجلس وزراء الإمبراطورية البريطانية، وأخرى خاصة بالمقيميات البريطانية في الخليج، إضافة إلى تقارير الوكلاء الوطنيين.

ومع ذلك، فإن ما رصد من وثائق في هذا الدليل، لا يشكل إلا غيضاً من فيض الوثائق البريطانية الخاصة بهذه المنطقة والتي لها ـ بحكم الوجود البريطاني البعيد الجذور في المنطقة ـ أهمية تاريخية قصوى.



عبدالهادي، محمد فتحي ونبيلة خليفة جمعة/المكتبات العامة ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١م، ٢٢٣ص.

يتناول هذا الكتاب المكتبات العامة من مختلف جوانبها في إطار شمولي، ويعرض لأهم الأساسيات المرتبطة بالمكتبات العامة، مع الإشارة إلى الاتجاهات الحديثة، والاستشهاد ببعض الأمثلة والنماذج سواء على المستويين العالمي أو المحلي.

ويشتمل الكتاب على ثمانية فصول، يتناول الفصل الأول منها التعريف بالمكتبة العامة وأهدافها ووظائفها وأشكالها ووضعها بين أنواع المكتبات.

ويتناول الفصل الثاني المكتبة العامة من حيث موقعها ومبناها والأثاث والتجهيزات اللازمة، ويختص الفصل الثالث بالجوانب التنظيمية والإدارية للمكتبات العامة، حيث يتناول التنظيم الإداري والعاملين والتشريعات اللازمة للعمل والموارد المالية.

أما الفصل الرابع فيتناول العمليات والأنشطة الفنية التي تتم في المكتبات العامة من تنمية للمجموعات إلى

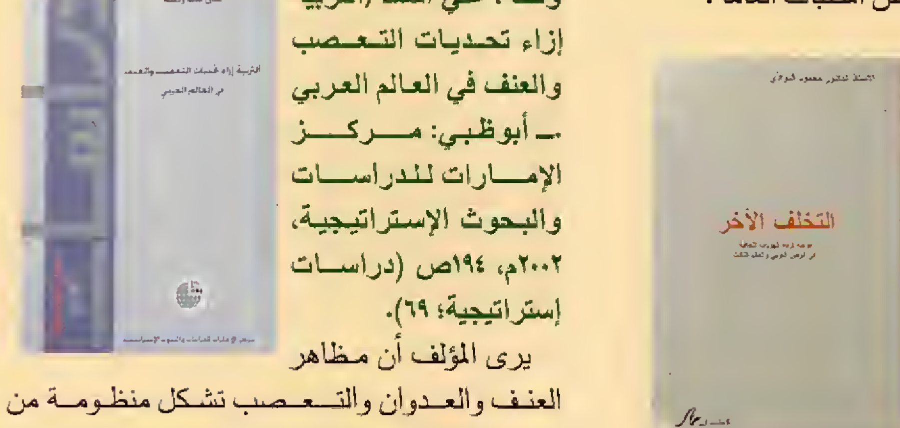
فهرسة وتصنيف إلى تنقية واستبعاد وصيانة وتجليد.

ويستعرض الفصل الخامس الخدمات التي تقدمها المكتبة العامة، مثل الإعارة وخدمات المراجع والمعلومات والخدمات المرتبطة بالمواد السمعية والبصرية، والخدمات الموجهة لفئات معينة من المستفيدين، مثل: القراء في المناطق الريفية أو الشباب أو الأطفال أو المعاقين أو المرضى.

ويكمل الفصل السادس جوانب أخرى مرتبطة بالخدمات، وهي الأنشطة الإضافية مثل حديث المكتبة، وجماعة أصدقاء المكتبة، وترويج الخدمات، والدعاية والإعلان.

ويتناول الفصل السابع استخدام تكنولوجيا المعلومات في المكتبات العامة، ويعرض الفصل الثامن والأخير صورة المكتبات العامة في مصر، بإيجاز سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

ويختتم الكتاب بقائمة ببليوجرافية مختارة، تتضمن أهم المواد العربية والإنجليزية عن المكتبات العامة.



الذوادي، محمود/التخلف الآخر: عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث ـ الجزائر: الأطلسية للنشر، ٢٠٠٢م، ٢١٣ص.

يعرّف المؤلف التخلف الآخر بأنه ظاهرة لغوية ثقافية نفسية تنتشر في مجتمعات العالم الثالث المعاصرة. فالمجتمعات النامية لا تشكو فقط من معالم التخلف الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي والعلمي والصناعي، بل تشكو من نوع آخر من التخلف هو التخلف اللغوي الثقافي النفسي (التخلف الآخر)، وهو يتكون من معلمين رئيسين: معلم لغوي ثقافي، ومعلم نفسي، فالمؤلف يرى أن اللغة والثقافة الوطنيتين تصبحان متخلفتين في مجتمعها إذا لم تستعملا بالكامل في كل شؤون مجتمعهما.

أما معلم التخلف النفسي فهو يعني شعور إنسان مجتمعات العالم الثالث بمركب النقص والدونية إزاء الغرب، ومن ثم الرغبة في تقليده من دون حدود.

يجمع الكتاب بين الجانبين الميداني والنظري في تحليله في ظاهرة التخلف الآخر، وهذا ما تنادي به العلوم الاجتماعية المعاصرة. ففصلا الباب الأول من الكتاب يركزان في الجانب النظري لظاهرة التخلف الآخر، فيستعملان مفهوم الرموز الثقافية (اللغة، والعقائد، والفكر، والمعرفة، والعلم، والقيم، والأعراف، والتقاليد، والثقافة، والأساطير) للتعمق في فهم طبيعة التخلف الآخر، ولكسب الرهان في التنظير السوسيولوجي حوله. أما فصول الباب الثاني والثالث فهي تجمع بين الجانبين الميداني والنظري الفكري في معالجتها لمعالم التخلف الآخر.

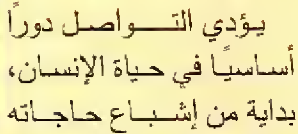
وطفة، علي أسعد/التربية إزاء تحديات التعصب والعنف في العالم العربي ـ أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٢م، ١٩٤ص (دراسات إستراتيجية؛ ٦٩).

يرى المؤلف أن مظاهر العنف والعدوان والتعصب تشكل منظومة من التحديات التاريخية التي تواجه المجتمعات الإنسانية والعقل الإنساني في العصر الحديث. وتشهد الحياة السياسية والاجتماعية العالمية اليوم انفجار موجات رهيبة من التعصب بمختلف تجلياته السياسية والاجتماعية والثقافية، ولا يكاد المشهد الثقافي والاجتماعي العربي يخلو من صور محزنة لواقع التعصب والعنف الذي يتأجج لهيبه في عمق الحياة العربية سياسياً ودينياً واجتماعياً.

وإذا كان التعصب الاجتماعي بأشكاله المختلفة

يشكل الداء الذي يعبث بالوجود الثقافي العربي، والتحدي الذي يعصف بإمكانات التنمية العربية بمختلف أشكالها، فإن ذلك يستدعي بناء إستراتيجية تربوية سياسية ثقافية يمكنها أن تقهر كل إمكانات التعصب والنزعة إلى العنف، مع الأخذ في الحسبان أن إعداد مثل هذه الإستراتيجية يحتاج إلى نوع من المشاركة الاجتماعية الواسعة.

يتناول الكتاب مفهوم العنف والتعصب وأسبابهما، ويناقش جذور التعصب الطائفي والديني والاجتماعي، كما يقدم نموذجًا تربويًا معاصرًا لتربية التسامح، ويعطي منهجية لتأصيل قيم التسامح وحقوق الإنسان، ودور الدين والمؤسسة الدينية في التأصيل التسامحي وحقوق الإنسان، ورؤية لتأصيل القيم الإسلامية في نسق التخاصب مع الفكر الإنساني.



الجيوسي، محمد بلال/أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٣١١ص.

يؤدي التواصل دورًا أساسيًا في حياة الإنسان، بداية من إشباع حاجاته الطبيعية وانتهاءً بتقدير الذات، إلا أن تقدير الذات لا يتم إلا من خلال التفاعل مع الآخرين من الأسرة أو المدرسة أو العمل، وعلى الرغم من أن التواصل موجود في كل زمان ومكان، إلا أن الإنسان يمارسه في الأغلب الأعم بشكل آلي أو فطري، سواء أكان بالإشارة أم باللغة، وهذا يجعل الإنسان عرضة للخطأ والصواب في تحقيق أهدافه.

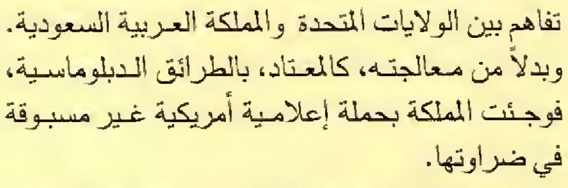
يرمي هذا الكتاب إلى توعية القارىء بمبادىء التواصل، وأشكاله وطرائقه وأهدافه ومشكلاته على نحو يدعم مهاراته التواصلية بما يسهل له إشباع حاجاته، وتحقيق النجاح والسعادة في حياته.

صنف المؤلف كتابه في أربعة عشر مدخلاً غطت الموضوع من جميع جوانبه، إذ اشتملت على: معنى التواصل، والاستمتاع، والإدراك الاجتماعي، والذات في التواصل، واللغة اللفظية في التواصل، والتواصل، والتواصل غير اللفظي، والتواصل الإقناعي، ونظرية العلاقات التواصلية، ونظريات نمو العلاقات، والذكاء التواصلي، والأخلاق في التواصل، وتعليم التواصل، وثمار التواصل.



القصيبي، غازي عبدالرحمن/ أمريكا والسعودية: حملة إعلامية أم مواجهة سياسية؟! ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، ١٣٤ص.

على أثر أحداث ١١ سبتمبر المشؤومة طرأ سوء تفاهم بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية. وبدلاً من معالجته، كالمعتاد، بالطرائق الدبلوماسية، فوجئت المملكة بحملة إعلامية أمريكية غير مسبوقة في ضراوتها.



يحاول المؤلف في هذا الكتاب فهم هذه الحملة، ويبحث في العلاقة التي يراها علاقة عضوية بين الإعلام والنظام السياسي، وتبسيطًا للأمور، استعمل المؤلف «الصحافة» و«الإعلام» ككلمتين مترادفتين، واقتصر حديثه على الإعلام السياسي دون غيره من وجوه الإعلام الكثيرة.

وجاء الكتاب في سبعة فصول: «أسرار المطاعم الثلاثة»، و«ما أدراك ما حرية الصحافة؟!»، و«صورة الآخر في الصحافة البريطانية»، و«رئيس التحرير العربي ... المسكين»، و«حملة إعلامية .. أم مواجهة سياسية؟!»، و«وماذا عن أصوليي أمريكا .. وإرهابييها؟!»، و«العرب: السياسة والإعلام والمستقبل».

أحوال المعرفة

(س٧، ع ٢٦، رجب ١٤٢٣هـ/سبتمبر ٢٠٠٢م)



مجلة فصلية ثقافية جامعة، تصدر عن مكتبة الملك عبدالعزيز.

زخر هذا العدد من الدورية بعدد كبير من الموضوعات المتنوعة التي جاءت تحت عدة أبواب، بدأت بباب «عالم المكتبة»، وفيه تغطية لندوة «الإسلام وحوار الحضارات» التي رعاها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز، وتتبع صالح سليمان وفؤاد إسماعيل، في باب «مكتبات عالمية»، زيارة ولي العهد لمكتبة الإسكندرية، وفي باب «صروح ثقافية» حاور عبدالله الشمري الأستاذ عبدالرحمن العليق مدير مركز الملك فهد الثقافي، وكتب الدكتور محمد عمارة في باب «مقال» عن «الموقف الإسلامي من الحضارات غير الإسلامية»، وعبدالله بن حمد الحقيل مقالاً آخر بعنوان «حديث عن الكتاب والتراث في جامعة أمريكية»، وتتبع عبدالكريم بن إبراهيم السمك «التاريخ السعودي من خلال مدونات الصحافة المحلية والعربية» مستعرضاً ما كتبه المؤرخ الصحفي العربي أمين سعيد حول الدولة السعودية والملك المؤسس ـ رحمه الله.

وكتب الدكتور بكر مصباح تنيرة دراسة عن تاريخ الأندلس متناولاً «جهاد غرناطة وصمودها قبل سقوطها»، وجاء «كتاب العدد» بعنوان «دائرة معارف العالم الإسلامي الحديث (باللغة اليابانية)» قام بإعداده فريق يتكون من أربعة من المستعربين اليابانيين، وقام بالعرض والتحليل الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم.

وتناول محمد حيان حافظ دور المكتبيين في الحصر الوراقي شارحاً كيف تكون «براءات الاختراع مصدراً للمعلومات التقنية؟!»، وليسرى عبدالغني عبدالله مقالة عن «الوقف الإسلامي ودوره في رعاية العلم ونشر المعرفة»، وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بأحوال المعرفة.

العنوان:

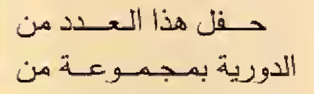
ص.ب: ٨٦٤٨٦ الرياض ١١٦٢٢

هاتف: ٤٩١١٣٠٠

ناسوخ: ٤٩١١٩٤٩

الإسلام اليوم

(ع ١٩، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)



مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ بالعربية والإنجليزية والفرنسية.

حفل هذا العدد من الدورية بمجموعة من البحوث والدراسات التي تعكس سماحة الإسلام، وتبرز خصائصه ومقوماته وقيمه في وجه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها في المجتمعات الغربية، بدأت بموضوع الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري الذي تناول فيه «مفهوم التنوير في التصور الإسلامي»، وأبرز الدكتور عبدالهادي بوطالب خصوصيات الإسلام بوصفه ديناً وحضارة، وما تميز به في أداء رسالته ونشرها عبر العالم، وتفضيله خيار الحوار على خيار الصدام أو الصراع، وفتح القلوب لتقبل رسالته بدلاً من إخضاع الإنسان لسلطانه بالبغي والجبروت، وجاء ذلك تحت عنوان «عالمية الإسلام، ونداؤه للسلام، ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر»، وشرح الدكتور محمد عابد الجابري مفهوم «حوار الحضارات» الذي أصبح اليوم من أهم قضايا

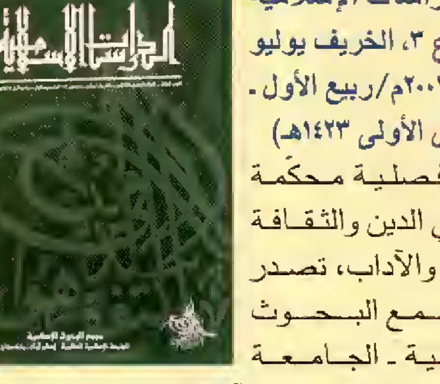
الساعة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وبسط الدكتور أحمد عرفات القاضي وجهة نظره حول سؤال: «الحضارات حوار أم صراع؟ رؤية إسلامية»، وأرّخ الدكتور مفيد الزيدي للإسلام في الصين بموضوع عنوانه «الإسلام في الصين: انبعاث الحاضر وآفاق المستقبل»، وختمت الدورية بباب التعريف بالبلدان الإسلامية، الذي خصص في هذا العدد للتعريف بليبيا.

العنوان:

ص.ب: ٢٢٧٥ ـ الرمز البريدي: ١٠١٠٤ حي الرياض، الرباط، المملكة المغربية.

هاتف: ٣٧٧١٥٢٩٤/٣٧٧١٥٣٠٥

ناسوخ: ٣٧٧٧٢٠٥٨



الدراسات الإسلامية

(مج ٣٧، ع ٣، الخريف يوليو ـ سبتمبر ٢٠٠٢م/ربيع الأول ـ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ)

مجلة فصلية محكَمة تبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية ـ الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد في باكستان.

احتوت الدورية على عدد من البحوث والدراسات التي تناقش المسائل المتعلقة بالعلوم الإسلامية في مختلف المجالات والفروع، بدأت بتعريب محمود أحمد غازي لموضوع «عقائد أهل السنة والجماعة» للإمام المجدد أحمد بن عبدالأحد السرهندي الفاروقي، وتناول أحمد فاضل يوسف «النظام المعرفي عند البيروني في دراسته لعلم الأديان من خلال منهجيته في الديانة الهندية»، وناقش حسن الحياري ومعزوز الشرقاوي «فلسفة التعليم وأخلاقياته في المجتمع الإسلامي»، واستعرض حسين علي حسين الجبوري مسيرة «التعليم في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)»، وتابع ليث سعود جاسم «تطور كتب المغازي والفتوح: نظرة في المفاهيم والمناهج»، وشرح زياد صالح الزعبي «مصطلح الإحالة عند حازم القرطاجني: النشأة التاريخية والتجليات الراهنة»، وتناول عبدالفتاح رواس قلعه جي سيرة «السهروردي الحلبي الحكيم الإشراقي»، واختتم محمد أحمد عمايرة بحوث العدد ببحث عنوانه «اكتساب اللغة عند ابن خلدون وموقعه بين المدرستين المعرفية والسلوكية».

العنوان:

مجمع البحوث الإسلامية ـ ص.ب: ١٠٣٥

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد ـ باكستان

آفاق الثقافة والتراث

(س١٠، ع ٣٨، ربيع الآخر ١٤٢٣هـ/يوليو ـ تموز ٢٠٠٢م)

مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي.

تناولت بحوث هذا العدد من الدورية كثيراً من الموضوعات التراثية، جاءت موزعة على عدة أبواب، بدأت بالافتتاحية التي تناول فيها مدير تحرير الدورية د.عزالدين بن زغيبة «تحقيق المخطوطات بين الناصحين والمتطفلين والتجار المحترفين»، ثم جاء في باب المقالات «مآخذ الفرّاء النحوية في كتاب معاني القرآن على الكسائي» للدكتور حسن أسعد محمد، ودوّنت د.صباح الشيخلي «ملاحظات حول انتشار الثقافة الإسلامية في إفريقية جنوب الصحراء»، ووصف د.المصري مبروك «المسلم في عصر العولمة»، وتتبع د.صالح مهدي عباس الخضيري «النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية من خلال كتاب (عنوان الدراية)» لأبي

العباس الغُبريني، وغير ذلك من المقالات.

وفي باب المقالات العلمية تناول د.نورالدين صغيري «الطب في تراثنا الفقهي»، وشرح د.حسن بيلاني كيفية «تصميم وصناعة الأسطرلاب المعدّل بمعونة الحاسوب»، وتناول الأستاذ عبدالحميد عبدالله الهرامة، في باب من نوادر المخطوطات، «ترميم ما بقي من كتاب: الإرشاد لمعرفة الأجداد» لمحمد بن عبدالكريم العسوسي، وللدكتورمحمود خيّاري تحقيق علمي بعنوان «نصان في فضائل أهل الأندلس»، وختمت الدورية بباب تحقيق المخطوطات، وفيها قدّم د.عمر عبدالرحمن الساريسي تحقيقاً لمخطوطة «رسالة في مراتب العلوم والأعمال الدنيوية» تصنيف الراغب الأصفهاني المتوفى أوائل القرن الخامس الهجري.

العنوان:

دبي ـ ص.ب: ٥٥١٥٦

هاتف: ٢٦٢٤٩٩٩

ناسوخ: ٢٦٩٦٩٥٠

مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية (مج ٨، ع ٢، رجب ـ ذوالحجة ١٤٢٣هـ/سبتمبر ٢٠٠٢م ـ فبراير ٢٠٠٣م).

مجلة نصف سنوية محكّمة.

تنوعت موضوعات هذا العدد من الدورية، وجاءت موزعة على عدة أبواب، بدأت بالدراسات، فقدمت فاتن سعيد بامفلح دراسة للواقع وتطلعات المستقبل لـ «استخدام تقنية المعلومات في مكتبات الأوقاف السعودية»، وشرح مجبل لازم مسلم المالكي مستقبل «المكتبة الإلكترونية في البيئة التكنولوجية الجديدة»، وقدمت نجاح قبلان القبلان دراسة استطلاعية عن «خدمات المكتبات المقدمة للموهوبين»، وغير ذلك من البحوث التي تتناول خدمات المكتبات.

وفي باب الببليوجرافيات تناول منصور بن عبدالعزيز الرشيد «المؤلفات الفقهية في نجد قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري»، وقدم أمين سليمان سيدو ببليوجرافية انتقائية شارحة لرحلات الحج، وأرّخ محمد عبدالرزاق القشعمي لعبدالكريم الجهيمان متناولاً حياته وآثاره وما كتب عنه.

وفي باب المراجعات كتب عبدالله محمد المنيف عن كتاب الرحالة البريطاني وليم جيفورد بالجريف «وسط الجزيرة العربية وشرقها»، وتناول محمد خير البقاعي تاريخ «الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥ ـ ١٩١٤م» من خلال كتاب جولدن صاري يلدز الذي جاء بالعنوان نفسه، وقدم حشمت قاسم عرضاً وتحليلاً لكتاب رون شنايدرمان «الاتصالات الشخصية اللاسلكية»، وأورد وليد نذير عتمة معلومات عن «الكشاف الوطني للدوريات السعودية»، وفي باب أضواء على كتب حديثة، استعرض ماجد حسين بكار عدداً من الإصدارات الحديثة، مع إيراد بعض المعلومات الببليوجرافية عنها. وختمت الدورية بباب البحوث الجارية، الذي أورد في بدايته عبدالله محمد حسين العبد المحسن معلومات عن بحث الباحثة هند آل عروان «الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات مدى تطبيقها في الأقسام النسائية بمؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية»، وعرض نجيب محمد الخطيب وعبدالحميد حسانين حسن «كشاف مجلة عالم الكتب من المجلد الأول حتى المجلد السادس عشر ١٤٠٠ ـ ١٤١٦هـ»، الذي تقوم بطباعته إدارة النشر بمكتبة الملك فهد الوطنية، وغير ذلك من البحوث.

العنوان:

ص.ب: ٧٥٧٢ ـ الرياض: ١١٤٧٢

هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨

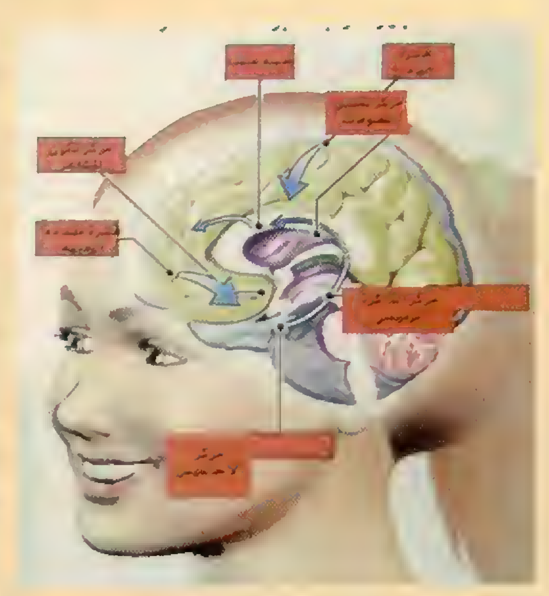
ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١

الكشف عن بوابة دخول الذاكرة وتشكلها

خالص جلبي
القصيم - السعودية

تعدّ آلية عمل الذاكرة حتى الآن لغزاً محيراً من عدة جهات، فهل هناك مركز لها؟ ثم كيف تختزن المعلومات بالضبط؟ بل كيف تتشكل أصلاً؟ وما هي بوابة دخولها؟ وقبل فترة تمكن فريق علمي في جامعة بون في ألمانيا في مركز الصرع الذي يعدّ الأعظم في العالم من كشف النقاب عن بوابة تشكل الذاكرة أي أول الخيط كما يقال، والذي وضع هذا السر بين أيديهم رجوعهم إلى حالة غريبة حدثت في أمريكا على المريض هاري مورجان من مانشستر Manchester من ولاية كونيكتيكت Connecticut الذي كان يشكو من نوبات صرعية، وبرسم المخ وتصويره تبين وجود ورم في منطقة الدماغ الوسطى مما جعل الجراح الأمريكي ويليام سكوفيل William Scoville يومها يقترح على المريض إجراء عملية جراحية لاستئصال الورم. ويوم ٢٣ أغسطس/آب من عام ١٩٥٣م تم استئصال كتلة بحدود ٨ سم من المنطقة الصدغية وقرن آمون وما جاورها. عندما استيقظ المريض من التخدير كانت قدرة التذكر عنده قد محيت بالكامل(١) كما لو أن يداً جاءت فعطلت آلة هائلة تلتقط المعلومة ثم تقوم بتخزينها. فحتى ذلك التاريخ قبل العملية كان الرجل يتذكر الأشياء، أما بعدها فقد أصبح رجلاً آخر. صحيح أنه يقوم بنشاطه العادي فيحسب ويعد، ويحزم حقيبته، ويسلم على ضيوفه، ولكن لا يتذكر أي شيء قبل ذلك، فإن دخل الزائر عليه مرة أخرى بعد ثوان نسي أنه قابله قبل لحظات. وإن وضع مفتاحه في مكان نسي مكانه، ولو كانت قبل ثوان. وإن تحدثت معه بكلمة عن شيء فهمه دون مشكلة، ولكن بعد تركه للحظات تكون الكلمة وما حولها قد تبخرت ودلفت إلى مستودعات النسيان. فلقد تحولت ذاكرة السيد مورجان إلى غربال يتسرب منه كل قطرة من الذاكرة الحديثة. وبكلمة ثانية كانت (آلة) تشكيل الذاكرة عنده قد انعطبت دون رجعة أو أمل في الإصلاح. وبالمقابل فقد بقيت الذاكرة القديمة المحفوظة قبل العملية على ما هي عليه، فهو يتذكر الطفولة كما أن الخبرات القديمة التي تشكلت حافظت على نفسها. ولكن المشكلة كانت في أي إضافة جديدة للذاكرة، وهذا يعني أن عملية تراكم الخبرة توقفت، لأن الإنسان ينمو بنمو الخبرات التي تأتي من الحفاظ عليها بواسطة آلية الذاكرة. وكانت هذه المسألة قد شغلت بال طبيب كندي يعمل في الأمراض العصبية وأبحاثها، وهو وايلدر بنفيلد(٢) فقد قام بإدخال الكترودات (مسابر) في غاية النحافة، ودرس خريطة قشر الدماغ، وتعرف تضاريس دماغنا بشكل مثير، ومنه تحريض الذاكرة، فمن المعروف أن تحريضاً كهربياً لمناطق بعينها يحرض ليس صوراً بل أفلاماً متحركة لذاكرة دفنت في العالم السفلي للذكريات. ونذكر حالة المريض هاري مورجان الآن بعد مرور قريب من نصف قرن، فهو مازال يعيش في نزل للمسنين لأنه كان قد أجرى العملية وعمره ٢٧ سنة. ويعد ما حدث بالنسبة إليه كارثة كاملة ولكنها بالنسبة إلى الطب كنز لا يقدر بثمن؛ لأنه أمكن معرفة أن هناك أساساً مادياً وطرقاً عصبية محددة، ومناطق بعينها تشكل الذاكرة. واليوم في جامعة بون Bonn في قسم مرضى الصرع يقوم فريق علمي مكون من ثلاثة: الأول طبيب العصبية جيلين فيرنانيث Guillen، والفيزيائي يورجن فيل Juergen، وعالم النفس التجريبي بيتر كليفر Peter Klaver بدراسة أدمغة المرضى المصابين بالصرع، ويستعينون بقسم الجراحة الذي يزرع الكترودات قياس لالتقاط موجات الصرع، ومكان تشكيلها حتى يمكن التداخل لاحقاً على نحو محدد لإزالة بؤرة إشعال النوبة الصرعية(٣) وكذلك معرفة الآثار المترتبة على الجراحة لو كانت في منطقة مسؤولة عن الذاكرة أو سواها، كما حدث سابقاً مع هاري مورجان. وبالطبع يجب ذكر الطرائق الحديثة المتطورة نسبة إلى تقنيات عام ١٩٥٣م تلك التي شخص بواسطتها المرض فهناك بين يدينا الآن، فضلاً عن الطنين المغناطيسي، والتصوير الطبقي المحوري آلية انبعاث البزيترون PET- Positon Emission Tomo-gram(٤). وقد توصل فريق البحث بعد جهود مكثفة أكثر من سنة خاصة تلك التي قام بها الفيزيائي (يورجن فيل) في تطوير كمبيوتر يقوم بعزل موجات الدماغ المتشابكة، إلى كشف مهم هو أن ما يشكل الذاكرة هو منطقتان: الأولى تشبه القرن، واسمها ما تحت المهاد في الدماغ المتوسط، والثانية المنطقة الشمية، حيث لوحظ بعد عزل عدد من التيارات الكهربائية أن الذاكرة تشحذ عندما تنطلق الموجات

الكهربائية على شكل متوافق من المكانين، وأن النسيان يلف الذاكرة إذا تم إطلاق موجات المنطقتين على شكل متنافر، وهو يذكر بقانون الليزر في الضوء، فحيث انتثرت الموجات خرج ضوء أبيض عادي لا نلاحظه بأعيننا، وهو بدوره مزيج من سبعة ألوان كما هو معروف في قوس قزح، فإذا اجتمعت الموجات معاً كانت طاقة تعرف اليوم بالليزر، ويشبهها العلماء بمجموعة من الناس تعمل عشوائياً أو بفرقة عسكرية تعمل معاً في اتجاه واحد، كما عرف اليوم أن طاقة الكهرباء التي تعمل هي في حدود ٤٠ هرتز، وقد تكون القاعدة الكهربية للاتصالات في كل الدماغ من هذا المستوى، كما عرف أن هناك منطقة (الاميجدالا)(٥) أو اللوزة، وهي تشبه الخوخة الصغيرة وموجودة في الفص الدماغي الصدغي من كل جانب، وهي مسؤولة عن العواطف والمشاعر؛ فإذا تحرضت هذه المنطقة بما فيه الكفاية مزجت موجات منطقتي القرن والشمية بشكل ممتاز، فحفظت الذاكرة على أفضل وجه، ونحن نعرف أن هناك لونين من الذاكرة على الأقل القريبة لحل مشكلاتنا اليومية التي من دونها نتذكر مرض الزهايمر، وهناك الذاكرة البعيدة حيث تختزن مرتبطة بالانفعالات والوعي، وهذه الذاكرة تنشط مع تقدم العمر فيتذكر الشيخ أحداثاً قديمة وكأنها فيلم يتدفق أمام عينيه. ومن المهم أن ننتبه إلى أهمية مزج العواطف بالتذكر من خوف أو حزن أو غضب أو ألم. وهذا يعني أن مزج الوقائع بالمشاعر يخلد الذكريات في الذاكرة البعيدة. كما لوحظ أنه كلما تحرضت مناطق أكثر في الدماغ زاد رسوخ الذكريات، وهي قضية قديمة يعرفها الحاذقون في تربية الذاكرة بربط الواقعة بعدد من الارتباطات من مشاعر أو قصة أو واقعة وما شابه ذلك. ولقد اكتشفت أنا شخصياً أن هناك ما لا يقل عن عشرة عناصر تساعد على صقل الذاكرة. وهنا حكمة كبيرة نفهمها من نزول القرآن أنه تنزل على مكث بمناسبات حافلة بالمشاعر، وعندما نزلت سورة الأنعام وصفت بأنها كادت تكسر عظام الناقة من ثقلها. ومن الأمور المساعدة على صقل الذاكرة الوقت، ومنه أوصى القرآن ذكر الله قبل شروق الشمس وقبل غروبها، والتكرار، فالحفاظ على الشيء أصعب بكثير من الحفظ، وهو تحد كبير لمن يشتغل بحفظ القرآن؛ لأنه يتطلب منه مراجعة ثلاثة أجزاء على الأقل كل يوم حتى يبقيه طازجاً في الذاكرة، ومنه الفهم، فالنصوص التي تحفظ مع الفهم أدعى للاستدعاء من مستودعات الذاكرة، وهناك أبحاث جديدة عن بروتينات معينة في الدماغ يتميز بها إنسان على آخر بحيث يتميز أحدهما بحدة الذاكرة والآخر بتبخرها. مع هذا فهي ملكة تخضع لقانون الشحذ والتمرين والصقل. يقول الدكتور فيرنانديث مع كشفه الجديد إننا اليوم نستطيع وضع الكترودات في الدماغ بحيث نكتشف أماكن هبوب عواصف الصرع وهو يساعدنا اليوم على الكشف عن الدغل المخي كما يصفه إلكسيس كاريل(٦) بالإضافة إلى البؤر الصرعية، ولكن الأيام معدودة في هذه التقنيات حيث ستتطور تقنيات جديدة دون الدخول إلى المخ والاكتفاء بدراسته من الخارج، ولذا فهي فرصتنا لكشف كيف تتشكل الذاكرة فعلاً بعد أن عرفنا بوابتها، وعندما كشف علي بابا الكنز لم يكتف بالوقوف على بابه بل دخل ليغرف من كنوزه ألواناً، والدماغ البشري هو أعظم وأنبل وأثمن شيء في هذا الوجود، ولا معنى لأي وجود إنساني دون دماغ، فهو مفتاح تواصلنا مع الوجود. *هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه*. لقمان: ١١.



الذاكرة... كيف تتشكل؟!

الهوامش والمراجع

١. وردت القصة بالتفصيل في مجلة در شبيجل الألمانية Der Spiegel العدد ٥٢ من عام ٢٠٠٢م.

٢. يراجع في هذا كتاب العلم في منظوره الجديد. سلسلة عالم المعرفة رقم ١٣٤ تأليف روبرت. م. آغروس، وجورج. ن. ستانسيو. ترجمة كمال خلايلي. فصل العقل ودراسة بنفيلد على قشرة المخ ص ٣٥.

٣. تبين في حالة الإصابة بالصرع أن هناك في قسم منها بؤراً محرضة لانفجار النوبات خاصة بعد حوادث رضوض الرأس المترافقة بانفتاح الجمجمة وانكشاف الدماغ. يراجع في هذا كتاب الأمراض العصبية لفيصل الصباغ. جامعة دمشق. وأمراض الجراحة العصبية لهشام بكداش. في كل منهما قسم لمرض الصرع.

٤. انبعاث البوزترون يقوم على ضرب الإلكترون السلبي بالموجب فقد تم التعرف وتركيب الالكترون السلبي وباصطدام الاثنين تتولد طاقة يمكن التعرف إليها ودراستها في آفات الدماغ.

٥. يراجع في هذا البحث المثير كتاب (الذكاء العاطفي) Emotional Intelligence تأليف دانييل غولدمان. سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٦٢ ص ٣٣ عن الكشف المثير الذي توصل إليه جوزيف لو دو عن دورة المخ العاطفية، وأن الاميجدالا مستودع العواطف، وهي باتصال بدورها بالفص الجبهي الدماغي.

٦. يراجع في هذا كتاب «الإنسان ذلك المجهول» للطبيب إلكسيس كاريل، إذ يصف الحقيقة الإنسانية أنها موكب من الأشباح يمر في وسطها حقيقة مجهولة.